تاريخ الدولة العباسية

الفرقة الثانية
قسم التاريخ – كلية التربية

الأستاذ الـدكتـور
إبراهيم على القلا
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
وعميد كلية الاثار بجامعة الزقازيق

دكتـــــــور
مدحت محمد عبد الحارث
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب – جامعة جنوب الوادى
جامعة جنوب الوادى

2023م

مقدمة

نشأت الدولة العبّاسية إثر دعاية كبيرة ،وقد ضمَّت كلَّ من عارض الأمويّين، وكان شعارها (الرِّضا من آل محمد –عليه السّلام–)، اتّخذوا من بغداد عاصمةً لهم ، واصل المسلمون في العهد العبّاسي الفتوحات الإسلامية حتى فتحوا العديد من البلدان مثل كشمير، وقندهار، وكذلك الملتان، ولم يكتفوا بذلك، فقد واصلوا زحفهم حتى وصلوا صقليّة، من السودان الغربيّ، وقد واصل المسلمون في العهد العبّاسي فتوحاتهم، وانتقلوا إلى شمال آسيا، وكذلك شرقيّ أوروبا، حتى استطاعوا إدخال تركستان في الإسلام، واهتم العباسيون بالعلوم والمعارف وأزدهرت حركة الترجمة عهد الخليفة أبو جعفر المنصور والخليفة هارون الرشيد، والخليفة المأمون ، بالإضافة إلى ازدهار العُلوم الأُخرى في العهد العبّاسي، كالجُغرافيا، والرياضيّات، والفلك، وكذلك عِلم الطبِّ الذي اشتُهِر فيه الطبيب (ابن بختيشوع) في عهد هارون الرشيد. ضعف الدَّولة العبّاسية فى النهاية لعدة أسباب منها سَيطرة الجُند التُّرك، والقادة على الخُلفاء العباسيّين ،وانغماس المُجتمع العبّاسي في الترف؛ اللهو، والفساد، و انتشار الشعوبيّة، وظهور الحركات الانفصاليّة، ونُشوء دُوَل داخل الدَّولة الإسلاميّة، وازدياد الدُّول المُستقلَّة عن الدَّولة الإسلاميّة، واستمرّت من سنة "١٣٢هـ – ٧٥٠م" وسقطت على يد المغول سنة "٦٥٦هـ – ١٢٥٨م.

سقوط الخلافة الأموية وقيام الخلافة العباسية

عندما توسّعت رقعة الخلافة الأمويةحكمها خلفاء ضعفاء، انصرفوا عن أمور الحكم لترف وملذات الدنيا، وقد سُئِلَ بعضُ شيوخ بني أمية ومحصِّليها عقب زوال الملك عنهم إلى بني العباس: "ما كان سبب زوال ملككم؟ قال: "إنا شُغِلْنا بلذاتنا عن تفقُّدِ ما كان تفقدُه يلزمنا فظلمنا رعيتنا فيئسوا من إنصافنا، وتمنوا الراحة منا، وتحومل على أهل خراجنا فتخلَّوا عنا، وخرُبت ضياعُنا فخَلَتْ بيوتُ أموالنا، ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقهم على منافعنا ، وأمضوا أمورًا دوننا أخفوا علمها عنا، وتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا، واستدعاهم أعادينا فتضافروا معهم على حربنا، وطلبنا أعداؤنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا، وكان استتار الأخبار عنا من أَوْكَد أسباب زوال ملكنا[1]"وعندما ننظر إلى حقبة الخلافة الأموية نجد أن جميع خلفائهم من لدن سيدنا معاوية [2] رضى الله عنه إلى آخرهم.. لم يتجاوزوا أربعة عشرة رجلاً وعندما نستعرض سير وأدوار حياتهم نجد عدة أسباب اجتمعت عندهم كانت هي الأسباب الحقيقية لسقوط دولة بني أمية وزوال عزهم ومجدهم.

كانت هناك عدة أسباب لسقوط الدولة الأموية منها:

الانقسام بسبب اختيار الخلفاء كان المسلمون مختلفون على الشروط الواجب توفّرها في الخليفة ، لكن في الدولة الأموية أصبح نظام الحكم بالوراثة، فعارضته بعض الفرق كالخوارج ودخلت في عدة معارك أضعفت قوة الدولة. أصبحت الخلافة ملكًا يرثه الابن من أبيه، والأخ من أخيه، ومن استطاع الغلبة .

---

(١) محمود مقديش : نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت - لبنان١٩٨٨ م ، ج١، ص ٢٠٣.

(٢) معاوية بن أبي سفيان : هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب بن أمية ، وأمه هند بنت عتبة، وُلد قبل الهجرة بنحو خمسة عشر عامًا، ،أسلم عام الفتح، سنة (٨هـ)، ، وأصبح منذ أن أسلم كاتبًا من كتَّاب الوحي لرسول الله ﷺ ، وشارك في في حروب الردة، وفي فتوح الشام ،عينه سيدنا عمر بن الخطابﷺ واليا علي الشام كله سنة (١٨هـ) ،و أقره سيدنا عثمان (٢٣ - ٣٦هـ) علي الشام، وبويع بالخلافة لما تنازل سيدنا الحسن ﷺ عن الخلافة له، ومَاتَ مُعَاوِية ﷺ بِدِمَشْق يوْم الْخَمِيس لثمان بَقِينَ من رَجَب وَهُوَ ابْن اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سنة وَيُقَال ثَمَانِينَ وَيُقَال سِتّ وَثَمَانِينَ وَكَانَت ولَايته تسع عشرَة سنة وَثَلَاثَة أشهر وَعشْرين يوْمًا . خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ،ط٢، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار القلم ، مؤسسة الرسالة - دمشق ، بيروت١٣٩٧ هـ، ص٢٢٦؛ أبو الفداء عماد الدين :المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية(د.ت) ج١، ص١٨٤.

تولية العهد لأكثر من واحد : من الأسباب التي أضعفت البيت الأموي وآذَنَتْ بذهاب ريحه تولية العهد لاثنين يلي أحدهما الآخر.. هذا المسلك ، وأورثهم الحقد والبغضاء ، وأول من سَنَّ هذه السنة مروان بن الحكم [1]، فقد ولى عهده ابنيه عبد الملك[2] ثم عبد العزيز، ولم يأبه بما كان في مؤتمر الجابية حيث بايعوا عبد الملك ثم خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد بن العاص ، وكان من أثر ذلك أن خرج عمر بن سعيد على عبد الملك، سار عبد الملك على سنة أبيه مروان، فقد فكر في خلع أخيه عبد العزيز من ولاة العهد وتولية ابنيه الوليد[3] ثم سليمان[4]، إلا أن وفاة عبد العزيز حالت دون ذلك ولما ولي ، الوليد بن عبد الملك الخلافة عمل على خلع أخيه سليمان من ولايته للعهد وجعلها في ابنه عبد العزيز، وكتب بذلك إلى العمال فأجابه الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق، وقتيبة بن مسلم[5] والي خراسان ومحمد بن القاسم[6]

---

(١) مروان بن الحكم : هُوَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَكَانَ مَوْلِدُهُ سَنَةَ اثْنَينِ مِنَ الْهِجْرَةِ في مكة، وكان كاتب ابن عمه عثمان ودافع عنه يوم الدار، وتولي ولاية المدينة في عهد سيدنا معاوية، بعد اعتزال معاوية بن يزيد الخلافة، دعا مروان إلي نفسه، فبايعه أهل الأردن سنة ٦٤ هـ ، توفي سنة ٦٥ هـ بالطاعون. وقيل: غطَّته زوجته أم خالد بالوسادة وهو نائم، فقتلته. فدام حكمه تسعة أشهر و ١٨ يوماً .ابن الأثير : الكامل ، ج٣، ص ٢٧٥؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج٨،ص ٢٥٧ .

(٢) عبد الملك بن مروان : هوعبد الملك بن مروان بن الحكم بْن أبي العاص بْن أمية بْن عَبْد شمس بن عبد مناف بن قصي ، ولد سنة ست وعشرين، وكانت خلافته من سنة خمس وستين إلي سنة ست وثمانين، استعمله سيدنا معاوية رضى الله عنه علي أهل المدينة وهو يومئذ ابن ست عشرة ، تولي الخلافة بعد ابيه مروان بن الحكم دخل في حروب طاحنة لتوحيد الجبهة الاسلامية أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ سَنَةَ ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ وسمي بعام الجماعة الثاني قام عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ بضَرَبَ الدَّنَانِيرَ وَالدَّرَاهِمَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ. ، وعرب الدواوين. البخاري: التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، ج،ص ٤٢٩؛ابن سعد : الطبقات الكبري، ج٥ ، ص١٧٣ــ١٨١ .

(٣) الوليد بن عبد الملك : فَهُوَ أَبُو الْوَلِيدِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وهو سادس خلفاء بنى أمية، بويع له بالخلافة، في منتصف شوال سنة ست وثمانين، وكان مغرماً بالبناء، فتحت في أيامه الفتوحات الكثيرة. أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر،ج١، ص١٩٨؛ ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت١٩٨٦ م ، ج١، ص ٣٨٨

(٤)سُلَيمَان بْن عَبْد الْملك : هو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم. ،ولد بدمشق، بويع له يوم السبت النصف من جمادي الآخرة سنة ست وتسعين، وتوفي بذات الجنب بدابق لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين وله خمس وأربعون سنة، وصلي عليه عمر بن عبد العزيز، وكانت خلافته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام. ابن سعد: الطبقات الكبري، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم ، ص٩٥. ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ١٩٠٠م ، ص٤٢٠ .

(٥) قتيبة بن مسلم: قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن أسيد بن زيد بن قضاعي. من بني هلال بن عمرو ويكني أبا حفص؛ وقد نشأ محباً للفروسية، ولاه عبد الملك بن مروان الري، وولاه أيضا ولاية خراسان ، فلم يعبأ بشيء سوي الجهاد، فلما وصل خراسان سنة ٨٦هـ علا بهمته إلي فتح بلاد ما وراء النهرين، ونشر دين الإسلام فيها واقام بخراسان ثلاث عشرة سنة وقد قام في سنة ست وثمانيين بغزو بِلَادًا كَثِيرَةً مِنْ أَرْضِ التُّرْكِ. وقتل في سنة ستّ وثمانين في خراسان ؛. الدينوري: المعارف ، ص ٤٠٦-٤٠٧.؛ بن مسكويه : تجارب الأمم وتعاقب الهمم ،ج٢ ، ص ٣٩٣.

(٦) محمد بن قاسم: هو محمد بن قاسم بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب الثقفي ، كان والده القاسم الثقفي ، ابن عم الحجاج بن يوسف الثقي ،ولد سنة ٧٢هـ بمدينة الطائف ، وولي الحجاج محمدا ثغر السند في أيام الوليد =

والي السند، وأجزل الوليد العطاء للشعراء للإشادة بفضل عبد العزيز مما أثار روح الكراهية والبغضاء بينه وبين أخيه، فلما ولى سليمان الخلافة بعد وفاة أخيه الوليد انتقم ممن كان لهم يد في خلعه ، فقد أمر يزيد بن المهلب وكان عدو الحجاج الألد، وصالح بن عبد الرحمن أن يذيقا آل الحجاج أشد صنوف العذاب، كذلك انتقم سليمان من محمد بن القاسم ذلك القائد العظيم الذي بسط نفوذ الدولة على الهند السند، و أدى إلى ظهور العداوة والبغضاء بين الأسر القرشية، وأيضاً بين أفراد البيت الحاكم، وذلك مما أدى في النهاية إلى ضمور قوتهم وزوال شوكتهم[1] .

العصبية القبيلة للعرب كانت الدولة الأموية دولة عربية لحمًا ودمًا، ومن ثَمَّ تعصب الأمويون للعنصر العربى ، رغم أن الدين الحنيف ندّد بالعصبية الجاهلية ونهى عنها، ولكنّها عادت للظهور في عهد بني أمية، مما أجج الصراع بين القبائل العربية، التي تعد سنداً وعماداً الدولة، وكذلك الخلاف بين العرب والموالي؛ وهم المسلمون غير العرب أو الأعاجم. ، وأخذوا ينظرون إلى الموالي نظرة الاحتقار والازدراء، بما أيقظ الفتنة بين المسلمين ، وبعث روح الشعوبية في الدولة الإسلامية، وكان منشأ تلك الحركة اعتقاد العرب أنهم أفضل الأمم ، وأن لغتهم أرقى اللغات، وانحازوا إلى العرب ولم يساووا بينهم وبين الموالي، فأجمع هؤلاء أمرهم وثاروا على الأمويين في عهد عبد الملك بن مروان، فأرسل إليهم الحجاج بن يوسف الثقفي ليقضي على حركاتهم ، ولما ولي عمر بن عبد العزيز[2] الخلافة أمر عماله بوضع الجزية عمن أسلم سواء كان عربيًا أو غير عربي، ولقد نجحت سياسته في حياته، ثم تبدلت الحال بعد وفاته، فعاد الأمويون يفرقون في المعاملة بين العرب والموالي فلا عجب إذا أثارت هذه المعاملة حنق الموالي وسخطهم على الأمويين، وأخذوا يتلمسون الفرص للإيقاع بهم، فانضموا إلى المختار ثم إلى

= ابن عبد الملك. فتح الفتوح العظيمة وانبسطت يده في البلاد فتحا .وجاءته الأنباء بوفاة الحجاج ثم الوليد ابن عبد الملك. وولاية سليمان بن عبد الملك. وكان سليمان شديد النقمة علي الحجاج وعماله، فلما ولي، بعد موت الحجاج عمد إلي اقربائه وكتابه، وعماله فنكبهم، وعزل محمد بن القاسم وأمر بحمله من السند مقيدا، فحمل إلي واسط، وعذب بها، فقال شعرا يعاتب به بني مروان، فأمر سليمان بإطلاقه فأطلق، ثم قتله معاوية ابن يزيد بن المهلب. وقيل: مات في العذاب. وقال ابن حزم: قتل نفسه في عذاب يزيد بن المهلب ٩٨ هـ / ٧١٧ م) الطبري : تاريخ الرسل، ج٦،ص ٤٤٢؛ ابن الإثير : الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٦٢؛ الزركلي : الأعلام، ج٦، ص ٣٣٢- ٣٣٣.

(١) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج٤، ص ١٤١.؛ علي محمد الصلابي: الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار ، ج١، ص ٣٠٢.

(٢) عمر بن عبد العزيز : بويع عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، ويكني أبا حفص وأمه أم عاصم ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب ، اختلف المؤرخون في سنة ولادته والراجح أنه ولد عام ٦١هـ ، وذكر الذهبي أنه ولد بالمدينة زمن يزيد ، تولي الخلافة في اليوم الّذي توفي فيه سليمان، ، وتوفي عمر بدير سمعان يوم الجمعة لعشر بقين من رجب سنة(١٠١ هـ/ ٧١٩م)وله تسع وثلاثون سنة وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام .الطبري :تاريخ الطبري ،ط٢،دار التراث – بيروت، ١٣٨٧ هـ، ج٢،ص ٥٦٥ ؛ المسعودي :التنبيه والإشراف، تحقيق عبد الله الصاوي، دار الصاوي – القاهرة(د.ت)،ص ٢٧٦ .

الخوارج ، واشتركوا في فتنة عبد الرحمن بن الأشعث ، كما ثاروا مع يزيد بن المهلب للقضاء على هذه الدولة، فلما نشط دعاة العباسين انضموا إلى الدعوة العباسية لينالوا حقوقهم المهضومة، وقد فطن العباسيون إلى ما كان يضمره الموالي لبني أمية ودولتهم من كراهة فاستعانوا بهم في نشر الدعوة لهم .

الظلم :

لقد حدثت مظالم عظيمة في عهد الأمويين، فقد سفكوا الدماء بغير حق، وقتلوا بعض صالحي الأمة كالإمام الشهيد الحسين بن علي رضي الله عنه، وهتكوا حرمة المدينة واستباحوها في معركة الحّره [1] سنة (٦٣ هـ/ ٦٨٢م) وتم قتل أربع آلاف رجل من أفناء الناس وسبعين رجلاً من الأنصار وبقر عن بطون النساء واستباحها ثلاثة أيام ،وذلك بعد أن رفضوا مبايعة يزيد، وأجبروا علي المبايعة بالقوَّة[2]. وكذلك حاصروا الكعبة وقتلوا الخليفة عبد الله بن الزبير، وسفكوا دم سعيد بن جبير، وقضوا بعنف على ثورة زيد بن علي ، ولم يلتزم بعض زعمائهم بالعهود كعبد الملك في قتله لعمرو بن سعيد بن العاص الأشدق والذي ترك قتله أثراً كبيراً على وفرضوا زيادات في بعض الضرائب المقررة وأنشأوا ضرائب الدولة الأموية في عهد عبد الملك جديدة لم تكن معروفة، ومالوا لأهل الشام فأكرموهم من أموال الأمة بزيادة الهبات المالية والرواتب الكبيرة جزاء تأييدهم المتواصل للحكم الأموي، واستخدموا أموال بيت المال لتأليف القلوب عليهم ثم الدعاية لأنفسهم طول الوقت وكانوا كرماء مع الشعراء، الذي تكسبوا بالشعر عن طريق الإسراف في مدحهم وخصوصاً في عهد عبد الملك، واستولوا على حق الأمة في اختيار من تشاء في الحكم وجعلوه ملكاً وراثياً قاتلوا عليه بحد السيوف وقد استغل أعداء الدولة الأموية هذه المظالم وأسرفوا في الدعاية ضدها.

الثورات المستمرة ضد البيت الأموى

ثورة سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه: كانت ثورة سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه ضد يزيد بن معاوية من أخطر الثورات ضد الأمويين، لأنه كان يمثل ضمير الأمة الراغبة في

---

(١) المراد بالحرة حرة واقم وهي في شرق المدينة وكان أهل المدينة رفضوا بيعة يزيد وأظهروا عيبه وبايعوا عبد الله بن الزبير، فأرسل يزيد جيشا في قيادة مسلم بن عقبة، فخرج أهل المدينة لمحاربته فانهزموا وقتلوا مقتلة عظيمة . البكري : معجم ما استعجم، ج٢، ص٤٣٧؛الحموي : معجم البلدان، ج٢، ص٢٤٩ .

(٢) محمد بن حبيب: المنمق ، ص٣١٦؛الدينوري : المعارف،ص٣٥١؛ المقدسي : البدء والتاريخ، ج٦، ص١٤ .

الاستمساك بحقها في منح السلطة لمن يستحقها من رجالها، ثم إن استشهاد الحسين رضي الله عنه في كربلاء [١] سنة (٦١هـ/٦٨٠م) [٢] ، كان عامل شحن عاطفي قوي ضد الأمويين أدت إلى حدوث الثورات الأخرى التي واجهها الأمويون مثل حركة التوابين مرة وحركة المختار الثقفي [٣] مرة أخرى وكانت في النهاية إحدى المآسي التي حركت كوامن الغضب عند معارضي الدولة الأموية وقد استغلتها الدعاية العباسية في ضم الأنصار وترتيب صفوف الحركة واستفادت بقوة من مقتل زيد بن علي بن الحسين على يد الأمويين ،فإن ثورة الحسين تقف من ضمن المعالم البارزة التي أسهمت طول الزمن في القضاء على الأمويين ودولتهم

ثورة الخوارج : حيث كان الخوارج خمس طوائف؛ وهم الأزارقة، والنجدات، والبيهسية، والصفرية، والإباضية، وقد كانت آخر ثورتين هما ثورتا الضحاك بن قيس الشيباني، وثورة أبي حمزة الخارجي. اصلوا حروبهم وهجماتهم لتغيير المنكر – حسب معتقدهم – بإزالة الحكم الأموي وإقامة الخلافة الشرعية من منظورهم ،ورغم الجهود وكثرة المعارك التي خاضها الخوارج لم يستطيعوا القضاء على الخلافة الأموية ولكنهم استطاعوا أن يلحقوا بها خسائر كبيرة، ويصبحوا مصدر قلق لخلفائها وولاتها طول الحكم الأموي، لذا فهم من أبرز عوامل الضعف التي أسهمت بقدر كبير في سقوط الدولة الأموية[٤].

---

(١) كربلاء :بفتح أوّله، وإسكان ثانيه، بعده باء معجمة بواحدة، ممدود: موضع بالعراق من ناحية الكوفة، غرب الفرات. البكري : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع،ط٣، عالم الكتب، بيروت ١٤٠٣ هـ، ج٤،ص ١١٢٣ .

(٢)أبو حنيفة الدينوري : الأخبار الطوال، ص ٢٣٠-٢٤٢؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ج٥،ص٣٥٦-٤٤٧ .

(٣) المختار الثقفي : مختار بْن أَبِي عُبَيد بْن مسعود بْن عَمْرو بْن عمير بْن عوف من ثقيف، كَانَ أبوه من جلة الصحابة، وولد المختار عام الهجرة، وليست لَهُ صحبة ولا رواية، خرج يطلب بثأر الْحُسَين بْن عَلي رضي اللَّه عَنْهُما، واجتمع عَلَيهِ كَثِير من الشيعة بالكوفة، فغلب عليها، وطلب قتلة الْحُسَين فقتلهم، فلذلك أحبه كَثِير من المسلمين، ثُمَّ سار إليه مصعب بْن الزبير من البصرة فِي جمع كَثِير من أهل الكوفة وأهل البصرة، فقتل المختار بالكوفة سنة (٦٧هـ/٦٨٦م)، وَكَانَ إمارته عَلَي الكوفة سنة ونصف ، وَكَانَ عمره سبعا وستين سنة. الواقدي : الردة، تحقيق يحيي الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت١٩٩٠ م ، ج١ ، ص٢١٤ ؛ ابن الاثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج٥ ، ص١١٧.

(٤) لمزيد من التفاصيل أنظر : ابن الأثير : الكامل، ج٣،ص٢٧٦؛ ابن كثير : البداية والنهاية،ج٨،ص٢٩٤ ؛ الصلابي : الدولة الأموية، ج١،ص٦٢٩- ٦٣٤ .

اضطهاد الموالي : كان بني أمية متعصبين ضد الموالي استغلوهم واضطهدوهم واحتقروهم وأنه كان من نتائج ذلك سخط الموالي الذي تولد عنه سقوط الدولة الأموية ، واستطاعت الدعوة العباسية أن توظف هذه الشريحة من المجتمع الإسلامي وتقنعها بمبادائها وأهدافها فانضوت تحت لواء الدعوة العباسية وساهمت في القضاء على الدولة الأموية،

انغماس بعض الخلفاء في الترف:

كان لانصراف بعض خلفاء بني أمية إلى حياة البذخ الترف اللذين أخذوهما عن البلاط البيزنطي أثر كبير في سقوط دولتهم، فقد اشتهر يزيد بن معاوية بحبه للّهو..

أما يزيد بن عبد الملك فإنه لم يكن أحسن حالاً من يزيد بن معاوية ، فقد كان كما ذكر البلخي صاحب كتاب "البدء والتاريخ" صاحب لهو فقد شغف بجارية تسمى حبابة واشتهر بذكرها، كذلك اشتهر ابنه الوليد باللهو والمجون وكان شاعرًا مجيدًا له أشعار كثيرة في العتاب والغزل..

خلفاء الدولة الأموية

م	اسم	مدة الحكم بالسنوات الهجرية	مده الحكم بالسنوات الميلادية
١-	سيدنا معاوية بن أبي سفيان	(٤١هـ-٦٠هـ)	(٦٦١م – ٦٨٠م)
٢-	يزيد بن معاوية	(٦٠هـ - ٦٤هـ)	(٦٨٠م – ٦٨٣م)
٣-	معاوية بن يزيد	(٦٤هـ - ٦٤هـ)	(٦٨٣م – ٦٨٤م)
٤-	مروان بن الحكم	(٦٤هـ - ٦٥ هـ)	(٦٨٤م – ٦٨٥م)
٥-	عبد الملك بن مروان	(٦٥هـ - ٨٦هـ)	(٦٨٥م – ٧٠٥م)
٦-	الوليد بن عبد الملك	(٨٦هـ - ٩٦هـ)	(٧٠٥م – ٧١٥م)
٧-	سليمان بن عبد الملك	(٩٦هـ - ٩٩ هـ)	(٧١٥م – ٧١٧م)
٨-	عمر بن عبد العزيز	(٩٩هـ-١٠١ هـ)	(٧١٧م – ٧٢٠م)
٩-	يزيد بن عبد الملك	(١٠١هـ - ١٠٥ هـ)	(٧٢٠م – ٧٢٤م)
١٠-	هشام بن عبد الملك	(١٠٥هـ - ١٢٥هـ)	(٧٢٤م - ٧٤٣م)
١١-	الوليد بن يزيد	(١٢٥هـ - ١٢٦هـ)	(٧٤٣م – ٧٤٤م)
١٢-	يزيد بن الوليد	(١٢٦هـ - ١٢٦هـ)	(٧٤٤م – ٧٤٤م)
١٣-	إبراهيم بن الوليد	(١٢٦هـ - ١٢٧هـ)	(٧٤٤م – ٧٤٤م)
١٤-	مروان بن محمد	(١٢٧هـ - ١٣٢هـ)	(٧٤٤م – ٧٥٠م)

الخلفاء العباسيين

أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس المعروف السفاح (١٣٢-١٣٦هـ /٧٥٠-٧٥٤م).

أبوجعفر المنصور (المؤسس الحقيقي للدولة العباسية)

(١٣٦.١٥٨هـ/٧٥٤.٧٧٥م).

الخليفة المهدى بن المنصور(١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م).

موسى الهادى بن المهدى(١٦٩-١٧٠هـ /٧٨٥-٧٨٦م).

هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ /٨٧٦-٨٠٩م).

محمد عبد الله الأمين(١٩٣-١٩٨هـ / ٨٠٨-٨١٣م).

عبدالله المأمون (ابوالعباس)(١٩٧-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م).

أبو اسحق محمد المعتصم(٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م).

هارون الواثق بالله (٢٢٧-٢٣٢ هـ / ٨٤٢-٨٤٧م).

أولا: العصر العباسى الأول

١٣٢ ــ ٢٣٢ هـ / ٥٧٠ ــ ٨٤٧ م

العباس [١]

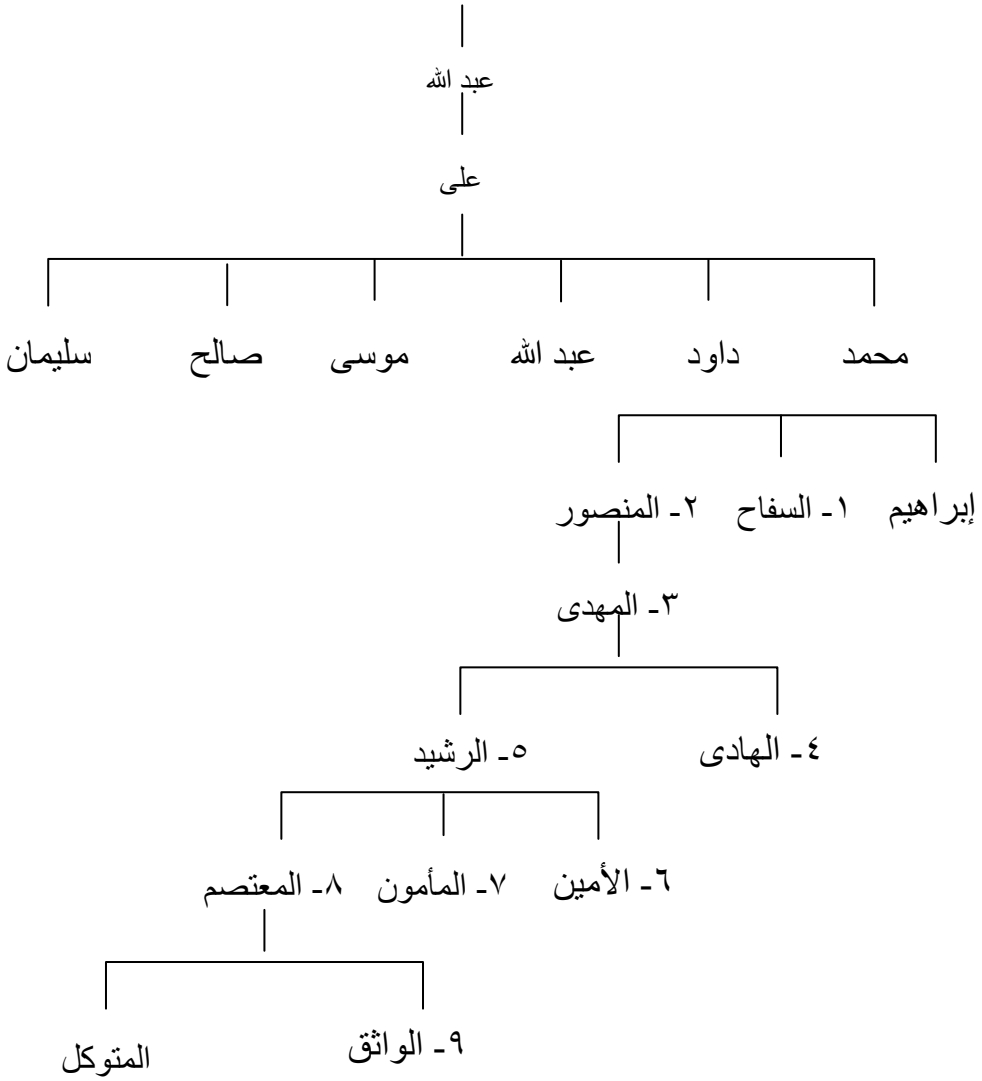

[١] على ابراهيم حسن: التاريخ الإسلامى العام (الجاهلية ، الدولة ، الدولة العباسية)، مكتبة النهضة العربية القاهرة ، ص ٣٣٦.

تنسب الدولة العباسية إلى العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم، أما مؤسس الدولة العباسية فهو أبو العباس بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب، وقد اشتهر بأبي العباس السفاح.

أطوار الدعوة العباسية

مرَّت الدعوة العباسية بطورين هامين :

الطور الأول

يبدأ هذا الطور في مستهل القرن الثاني للهجرة ، وينتهي بانضمام ابي مسلم الخرساني إلي الدعوة ، ويغطي الفترة الزمنية بين عامي (١٠٠-١٢٨هـ/٧١٨-٧٤٦م).

وقد تميزت الدعوة ، في هذا الطور ، بالسرية التامة ،و خلوها من أساليب العنف ، وفي الوقت الذي كانت فيه دولة الخلافة الأموية متماسكة.

نظَّم الدعوة في العراق ثلاثة دعاة هم : ميسرة العبدي ، وهو مولي لعلي بن عبدالله بن العباس ، وبكير بن هامان ويعتبر أهم دعاة العراق ، وأبو سلمة الخلاّل الذي قاد الدعوة في الأعوام الخمسة الأخيرة قبل أن تسلم بني العباس السلطة .

اما في خراسان ، فقد قامت الدعوة علي اكتاف جماعة الدعاة ، اشهرهم أبو عكرمة السراج ، مولي ابن عباس ، ومحمد بن خنيس ، وحيان العطار ، وكثير الكوفي ، وخداش البلخي ، ونقيب النقباء سليمان بن كثير الخراعي .

ويبدو إن السلطات الحاكمة ، علمت بأمر الدعوة ، فطاردت الدعاة وقتلت بعضهم ، كما أن بعضهم الآخر راح ضحية تطرفه كخداش البلخي الإمام محمد بن علي بن عبد الله .

واحدث الامام محمد بن علي العباسي تغييراً استراتيجياً هاماً في فحوي الدعوة جين خصصها لنفسه ، وكشف ذلك لدعاته ، علي ان يبقي هذا الامر وقفاً عليهم فقط دون العامة .

وتوفي الامام محمد في عام (١٢٥هـ/٧٤٣م)، بعد ان قطعت الدعوة شوطاً بعيداً ، وقد أوصي بالامامة من بعده لابنه إبراهيم [١] .

الطور الثاني

يبدأ هذا الطور بانضمام ابي مسلم الي الدعوة العباسية ، واستمر حتي عام (١٣٢هـ/٧٥٠م) وهو العام الذي سقطت فيه دولة الخلافة الاموية ، وقامت دولة الخلافة العباسية .

تعرضت الدعوة العباسية ، بعد وفاة الامام محمد بن علي ، الي الاهتزاز بفعل قيام حركات شيعية مستقلة عنها ، في خراسان ، فخشي الامام إبراهيم بن محمد بن عبد الله أن يفلت زمام الأمور من يده ، وتكتسح هذه الحركات دعوته . لذلك قام ليعيد طاعة الخراسانيين العرب بشكل خاص ، واستطاع ، بنفوذه الشخصي ، ان يستميل زعيمهم سليمان بن كثير الخزاعي .

عرض إبراهيم الامام ، القيادة علي نقيب النقباء سليمان بن كثير ، وكان شيخاً مسناً ، فاعتذر عن قبولها ، وعندئذ اتخذ الخطوة الحاسمة ، واختار أبا مسلم الخرساني ، ممثلاً له في خراسان ، فقلده الأمر وأرسله الي هناك .

كان اختيار ابي مسلم خطوة موفقة وفاتحة مرحلة جديدة في استنهاض حياة الدعوة في خراسان ذات النفوذ الفارسي الواضح .

فاستقامت أمور العباسيين في خراسان نتيجة جهوده السياسية والعسكرية ، واستطاع بما تمتع به من كفاءات ، أن يصبح الداعية العباسي المتحكم في الشرق كله بعد أن اكتسب ثقة سليمان بن كثير [٢] .

وظهرت القوي الجديدة علي مرحلتين : مرحلة ابي مسلم الخرساني ، ومرحلة قحطبة بن شبيب ، وانتهت بقيام دولة الخلافة العباسية .

---

(١) ابن كثير : ج ١٠ ص ٥ .
(٢) محمود ، حسن احمد والشريف ، احمد إبراهيم : العلم الإسلامي في العصر العباسي ص ٤٨-٤٩.

مرحلة أبي مسلم الخرساني

نزل أبو مسلم ، فور وصوله الي خراسان ، في بلخ ، ونال ، بعد فترة قصيرة ، ثقة سليمان بن كثير ، ثم أخذ يدير الأمور بحكمة ودهاء ، فراح يتنقل في قري الشرق ، يحث أهلها علي الالتفاف حول الدعوة ، فاستقطب الموالي ، كما نجح في استمالة الدهاقنة وأهل الريف بتقريبه بين العقيدة الإسلامية والمعتقدات الشعبية ، وخاصة فيما يتعلق بمذهب تناسخ الأرواح [١] ، ثم استقطب القبائل العربية اليمنية ، وانضم اليه المعارضين للنظام الاموي .

اعلان الثورة العباسية ١٢٩هـ:

وفعلاً ، أعلنت الثورة في خراسان يوم الخميس في الخامس والعشرين من (شهر رمضان عام(١٢٩هـ/شهر حزيران عام ٧٤٧م) علي يد سليمان بن كثير . فالتفت شيعة العباسيين حول ابي مسلم ، وقد اتخذوا السواد شعاراً في ملابسهم وألويتهم ، ولذا عرفوا بالمسودة [٢] .

وأقيمت يوم عيد الفطر ، في سفيذنج ، اول صلاة للأنصار العباسيين [٣] ، فانكشف أمرهم . وكان لابد من الصدام مع القوات الاموية لتحديد الموقفين ، السياسي والعسكري .

وهكذا تحرك أبو مسلم علي كافة جبهات القوي السياسية [٤] .ونجح في هزيمة الوالي الأموي علي خراسان وهو نصر بن سيار و تفرد بحكم خراسان ، وفر نصر الي نيسابور [٥] ، وتخلص من الزعماء البارزين الذين اعتبرهم منافسين له علي الزعامة.

وخلا بذلك ، الجو لابي سلمة ، واضحي الحاكم الأوحد لبلاد المشرق ، واتخذ لنفسه لقب ((امير آل محمد)) [٦] .

مرحلة قحطبة بن شبيب

---

(١) ابن اعثم : أبو محمد احمد : كتاب الفتوح ج ٤ ص ٣٤٨ . بارتولد : تركستان من الفتح العربي الي الغزو المغولي : ص ٣١٤ .
(٢)
(٣) الطبري : ج٧ ص ٣٥٧ .
(٤) راجع فيما يتعلق بالسياسة التي انتجها أبو مسلم ، والتي مكنته من التفرد بحكم خراسان : ابن اعثم: ج٤ ص ٣٣٨-٣٤٨،٣٤٤ . الطبري: ج٧ ص ٣٧٧،٣٦٧،٣٥٥-٣٨١ .
(٥) الطبري المصدر نفسه : ص ٣٧٧-٣٨١ .
(٦) الطبري : ج٧ ص٣٨٦-٣٨٨.

ما كادت الثورة العباسية تستقر في خراسان ، وتتهيأ القيادة فيها لتسديد الضربة الأخيرة لنصر بن سيار ، المتقهقر الي نيسابور ، ومعه أنصاره من العرب من قبائل تميم وبكر وقيس ، حتي نُقلت العمليات العسكرية من ابي مسلم الي قحطبة بن شبيب بأمر من الامام إبراهيم بن محمد [١] .

ويبدو ان القيادة العليا في الحميمة تطلعت الي ما وراء خراسان من احداث ، ورأت الا يتجاوز أبو مسلم هذه المنطقة ، وان العمليات العسكرية في المناطق العربية لابد ان تُسند الي قيادة عربية.

سيطر قحطبة علي طوس ونيسابور [٢] ، وادرك نصر ، من جانبه ، استحالة المقاومة واستعادة السلطة ، فهرب من نيسابور الي الري [٣] .

ذعرت الحكومة المركزية في دمشق من هذه التطورات السريعة في خراسان ، فآرسلت الجيش تلو الجيش للقضاء علي قوة الثورة ، الا انها فشلت في مهمتها .

واندفع قحطبة بجيشه نحو الكوفة في جو لانتصارات ، في الوقت الذي كان فيه يزيد بن هبيرة ، الوالي الأموي علي العراق ، يتحرك نحوه ، فجرت بينهما معركة انتهت بانتصار قحطبة . وتقهقر ابن هبيرة الي واسط وتحصَّن بها . لكن قحطبة لم يعش ليري النتيجة النهائية ، فقد غرق وهو يعبر النهر [٤] وخلفه ابنه الحسن في زحفه الظافر ودخل الكوفة في الرابع عشر من (شهر محرم عام ١٣٢هـ/٧٤٩م) واعترف بابي سلمة الخلال رئيس دعاة العراق وزيراً لآل محمد ، وقد اضحي صاحب السلطة الفعلية [٥] .

وبهذا تقرر مصير العراق : وكان استقرار الثورة في هذا البلد ، بعد المشرق ، كسباً عظيماً بحيث اضحي من الممكن ان تظهر الدعوة ، وان يعرف الخراسانيون إمامهم من آل محمد [٦] .

---

(١) المصدر نفسه : ص ٣٨٨.
(٢) الطبري : ص ٣٨٩-٣٩٠.
(٣) المصدر نفسه : ص ٣٩٠ ، ابن أعثم : ج ٤ ص ٣٥٣ .
(٤) ابن أعثم :ج٤ ص ٣٥٧ . اليعقوبي :ج٢ ص ٢٧٧.
(٥) المصدران نفسهما .
(٦) محمود والشريف : مرجع سابق ص ٦٤.

اعتلاء بني العباس السلطة

كان أبو مسلم علي اطلاع دائم بما كان يجري في العراق ، عن طريق مندوبه السياسي ابي الجهم بن عطية ، الذي رافق جيش قحطبة ، وكانت له هيمنة علي القوي المسلحة .وقد اعترف به أبو سلمة الخلّال واقرَّه في منصبه السياسي هذا .

اما أبو سلمة ، فقد كان مسؤولاً عن الكوفة بوصفه ((وزير آل محمد)) [١] ، وهو منصب ولقب استحدثا حديثاً [٢] .

وبعد سيطرة أنصار الثورة علي الوضع في العراق ، حان الوقت لاختيار الشخص من من آل محمد الذي أعلنت الثورة باسمه ، وكان اسم إبراهيم الامام هو الشائع . لكن هذا التداول كشف عنه الغطاء ، وسهل لبني امية اكتشاف الصلة بينه وبين الثورة . لذلك قبض عليه مروان الثاني ، وسجنه في حرّان ، ثم قتله في (شهر محرم عام ١٣٢هـ/شهر ايول عام ٧٤٩م) [٣] ، وأوصي إلي أخيه أبي العباس عبدالله بن محمد ، وجعله الخليفة بعده ، وأمرهم بالمسير معه إلي الكوفة ، وأخبر أصحابه ، قبل موته ، بهذا الاختيار [٤] .

وعندما وصل أبي العباس الي الكوفة ، وأمرهم أبو سلمة بالاختفاء . وكتم امرهم عن جميع القادة والشيعة نحواً من أربعين ليلة ، ورفض ان يدفع لهم نفقات الانتقال [٥] .

واخيراً فرضت الخرسانية مرشحها العباسي ، أبا العباس عبدالله بن محمد اميراً للمؤمنين ، فبويع له بالخلافة يوم الجمعة (الثاني عشر من شهر ربيع الاخر عام ١٣٢هـ/ شهر تشرين الأول عام ٧٤٩م) [٦] .

ولم يكن امام ابي سلمة ، الذي تم الأمر دون علمه ، الا أن يقبل بالأمر الواقع مبرراً موقفه امامهم : ((اني إنما كنت أدبر استقامة الامر وإلا فلا عمل أعمل فيه شيئاً)) [١] .

---

(١) الطبري: ج٧ ص ٤٥٠.
(٢) شعبان ، محمد عبد الحي : الثورة العباسية ص ٢٥٧ .
(٣) الدينوري : الاخبار الطوال ص ٢٥٢-٢٥٣ . اليعقوبي : ج ٢ ص ٢٧٤ . اخبار الدولة العباسية : لمؤلف محهول ص ٣٩٣ .
(٤) الطبري : ج ٧ ص ٤٣٣ .
(٥) المصدر نفسه : ص ٤٣٠ .
(٦) ابن كثير : ج١٠ ص ٥٢ .

ويبدو ان أبا مسلم قد استُشير في الامر قبل حدوثه ووافق عليه ، بدليل ان مندوبه السياسي أبا الجهم قام بنشاط ملجوظ في اختيار ابي العباس [٢] .

الاتجاهات العامة للدولة العباسية

انتهجت دولة الخلافة العباسية ، منذ قيامها ، سياسة مشرقية واضحة ، وتطلعت بوجهها الي خراسان مهد نشأتها . وجاء هذا التحول نتيجة عدة عوامل لعل أهمها :

مناوأة أهل الشام للعباسيين ، لأنهم كانوا لا يزالون علي ولائهم للأمويين .

انتقال العاصمة من دمشق الي بغداد .

التأثير الفارسي علي النظم والحياة العباسية .

انتعاش التجارة المشرقية .

ابتعاد الدولة العباسية عن عالم البحر الأبيض المتوسط .

عدم اهتمام العباسيين بإنشاء اسطول بحري في المتوسط يضارع الاسطول الأموي.

تقسيم تاريخ دولة الخلافة العباسية

حكمت دولة الخلافة العباسية قرابة ٥٢٤ عاماً : (١٣٢-٦٥٦هـ / ٧٥٠ – ١٢٥٨ م) ، وابتدآت بابيالعباس السفاح وانتهت بوفاة المستعصم ، حيث زالت علي ايدي المغول . ولم تكن هذه الفترة الزمنية علي نمط واحد من حيث قدرات الدولة وقوة الخلافة .

اصطلح المؤرخون علي تقسيم تاريخ دولة الخلافة العباسية الي أربعة عصور وفقاً لقدرات الخلافة ، وتطور اوضاعاها السياسية وازدهار الحياة الثقافية والفكرية ، وهي :

---

(١) اليعقوبي : ج٢ ص ٢٨٣ . الطبري : ج٧ ص ٤٢٠ .
(٢) الطبري : ج٧ ص ٤٢٩ – ٤٣١.

العصر الأول:

هو عصر القوة والتوسع والازدهار (١٣٢-٢٣٢هـ /٧٥٠-٨٤٧م).

العصر الثاني :

هو عصر النفوذ التركي (٢٣٢-٣٣٤هـ /٨٤٧ -٩٤٦م)

العصر الثالث:

هو عصر النفوذ البويهي الفارسي (٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٦-١٠٥٥م)

العصر الرابع :

هو عصر النفوذ السلجوقي (٤٤٧-٧٥٧هـ/١٠٥٥-١٢٥٨م).

العصر العباسي الأول : ١٣٢-٢٣٢هـ /٧٥٠- ٨٤٧م.

ابتدأ هذا العصر بخلافة ابي العباس السفاح وانتهي بخلافة الواثق ، وتميز بقوة الخلافة واستقلالها التام ، وتركيز السلطات العليا في الدولة بيد الخلفاء الذين تمتعوا بقدرات شخصية وسياسية وإدارية فذَّة ، استطاعوا من خلالها المحافظة علي وحدة الدولة ، واخماد الفتن والثورات التي قامت في وجهها .

تمتع الفرس في هذا العصر بمكانة مرموقة في الدولة ، وكان لنفوذهم الواسع تأثير كبير في توجيه سياستها ، حتي سيطروا أخيرا علي الجهازين الإداري و العسكري في بغداد والاقاليم الخاضعة لنفوذها ، فأحكموا قبضتهم علي قيادة الجيوش والمناصب الإدارية الكبرى كالوزارة والكتابة والولاية علي البلدان [١] .

وكان افراد الجيش عوناً للخلافة ، واداة طيعة في يد الخلفاء . وقد ختم هذا الدور بانتهاء عهد الخلفاء الذين كانوا يقودون الجيوش بآنفسهم ، ويخوضون غمرات الموت ولا يستسلمون لداعي الترف المضني .

ومثل هذا العصر الزاهي كل من الخلفاء : أبو العباس ، المنصور ، المهدي ، الهادي ، الرشيد ، الأمين ، المأمون ، المعتصم والواثق.

---

(١) الزهراني ، محمد بن مسفر : نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية : ص ١٤.

أبو العباس عبدالله السفاح

١٣٢-١٣٦هـ/٧٥٠-٧٥٤م

التعريف بأبي العباس

هو عبدالله بن محمد بن علي العباسي ، وكنيته أبو العباس [١] . ولد في عام (١٠٥هـ/٧٢٣م) بالحميمة من ارض الشراة من البلقاء بالشام ، ونشأ فيها [٢] . بويع له بالخلافة في الكوفة يوم الجمعة الثاني عشر من (شهر ربيع الاخر عام ١٣٢هـ/شهر تشرين الأول عام ٧٤٩م) [٣] .

ويلاحظ وجود تشابه بين اسمي ابي العباس السفاح وابي جعفر المنصور (عبدالله بن محمد بن علي العباسي) مما دفع المؤرخين الي تلقيب الخليفة السفاح بعبد الله الأصغر [٤] ، نظراً لانه اصغر سناً من أخيه المنصور .

وألقي أبو العباس ، علي عادة الخلفاء لدي انتخابهم ، خطبة في مسجد الكوفة أوضح فيها الهدف الذي من اجله قامت الثورة العباسية ، وندّضد بالامويين الذين وصفهم بمغتصبي الخلافة ، ووعد الكوفيين ، الذين ساندوا الثورة ، بزيادة اعطياتهم ، ولم ينسَ ان يذكرهم بانه : ((السفاح المبيح والثائر المبير)) [٥] .

كان الخليفة أبو العباس مقيماً بالكوفة ، ويبدو انه ادرك وضعها الشاذ بفعل عدم تأييد غالبية سكانها للثورة العباسية ، ركانوا من شيعة علي ، فانتقل منها الي مكان قريب عرف بهاشمية الكوفة ، غير انه لم يمكث فيها طويلا ، وانتقل الي الانبار ، شمالي الكوفة ، علي نهر الفرات في عام (١٣٤هـ/٧٥١م) [٦] .

---

(١) اليقوبي : ج ٢ ص ٢٨٢.
(٢) البغدادي ، الخطيب: تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٤٦-٤٧ ابن كثير : ج ١٠ ص ٥٢
(٣) راجع صفحة ٢٥
(٤) العبادي : ص٤١
(٥) راجع نص الخطبة عند الطبري : ج ٧ ص ٤٢٥-٤٢٦ .
(٦) الطبري المصدر نفسه ص ٤٦٤ . الدينوري : ص ٢٦٣ .

قضي أبو العباس معظم عهده في تثبيت حكمه ، فحارب القادة العرب الذين ناصروا الامويين ، ثم تخلص من بعض القادة الذين ساندوه في الوصول الي الحكم بعدما بدرت منهم بوادر انفصالية مثل أبا سلمة الخلال .

كان أبو العباس كريماً ، وقوراً ،عاقلاً، كثير الحياء ، حسن الخلق . وهو اسخي الناس ، ما وعد عدة فأخرها عن وقتها ، ولا قام من مجلسه حتي يقضيها . ونقش علي خاتمه ((الله ثقة عبدالله وبه يؤمن)) .

وكان أبو العباس يحب مسامرة الرجال ومجالسة العلماء ، شجَّع الادب والغناء ، واجزل العطاء للشعراء والمغنيين . وكان يطرب من وراء الستر [1] .

التفت أبو العباس بعد ذلك إلي تصفية جيوب الأمويين . فبعد ان هزمت قواته بقيادة عمه عبدالله بن علي قوات مروان الثاني علي الزاب وطاردته حتي مصر وقتل بها.

وقام أبو العباس بتصفية المنافس السياسي الذي أراده أن يملك ولا يحكم ، وهو أبو سلمة الخلال وزير آل محمد ، فاتهمه بأنه كان يريد تحويل الخلافة من بني العباس الي آل علي بن أبي طالب ، وقد همَّ أن يفتك به حين بويع بالخلافة لكن ظروف الدولة الناشئة كانت لا تسمح له بذلك ، فأقرَّه علي منصبه هذا وتسميته تلك.

وحانت الفرصة للسفاح بأن يتخلص من وزيره بعد أن قضي علي الحركات المناهضة لحكمه .

ولاية العهد . وفاة السفاح

عهد السفاح في عام (١٣٦هـ/٧٥٤م) لأخيه أبي جعفر بالخلافة من بعده ثم عيسي بن موسي بن محمد وكتب العهد بذلك وأعطاه الي عيسي بن موسي .

ومن هنا نلاحظ أن الحكم قد بدأ وراثيًّا في عهد الدولة العباسية منذ اللحظة الأولى، واقتصر على أهل البيت العباسي، كما أن أكثر الخلفاء كان يُوصي بولاية العهد إلى أكثر من شخص؛ ممَّا أدَّى إلى صراعات ساعدت على تصدُّع الدولة العباسيَّة.

([1]) ابن الطقطقا : ص ١٣٤ . السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٥٨ .

ولقد أصيب السفاح بالجدري وهو بالأنبار ، وتوفي في الثالث عشر من (شهر ذي الحجة عام ١٣٦هـ / شهر حزيران عام ٧٥٤ م) ودفن في قصره بالأنبار [١] .

عبدالله أبو جعفر المنصور

١٣٦ – ١٥٨ هـ/ ٧٥٤ – ٧٧٥ م

التعريف بأبي جعفر

هو عبدالله بن محمد بن علي العباسي ، أبو جعفر المنصور . ولد في الحميمة في عام ٩٥ هـ وأمه أم ولد تدعي سلامة . ترعرع في وسط المجتمع الهاشمي . وطلب العلم وعو شاب ، من مظانّه وتفقه في الدين ، ونال قسطاً من علم الحديث ، فنشأ أديباً ، فصحيحاً ، ملمَّاً بسير الملوك [٢] .

انتقل أبو جعفر مع أخيه وأهله من الحميمة الي الكوفة . ولما افضت الخلافة الي أخيه أبي العباس ، كان ساعده الأشد في تدبير أمور الخلافة . فوَّلاه الجزيرة وأرمينيا وأذربيجان ، ووجه إلي خراسان لأخذ البيعة له ، كما عهد إليه من بعده.

توفي السفاح ، وأبو جعفر في الحجاز أميراً علي الحج ، فأخذ له البيعة ابن أخيه عيسي بن موسي ، في الأنبار ، وكتب إليه بذلك . اتصف المنصور بالشدة والبأس واليقظة والحزم والإصلاح والأهتمام بمصالح الرعية . كره سفك الدماء الا بالحق ، وعرف بالثبات عند الشدائد ، ولا شك بأن هذه الصفة كانت من بين أبرز الصفات التي كلفت له النجاح .

وكان أبوجعفر على حد قول السيوطى "فحل بنى العباس هيبة، وشجاعة، وحزما ورأيا وجبروتا، جماعا للمال، تاركا اللهو واللعب، كامل العقل، جيد المشاركة فى العلم والأدب فقيه الناس، قتل خلقا كثيرا حتى استقام ملكه [٣]

---

(١)ابن الطقطقا : ص ١٣٤ . السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٢٥٨
(٢) ابن كثير : ج ١٠ ص ١٢١ – ١٢٢ .
(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص٢٤٢.

وحين تولَّى أبو جعفر المنصور الخلافة واجه اعتراضًا من عمِّه عبد الله بن علي الذي رفض مبايعته، ودعا لنفسه بالخلافة مدَّعيًا أنَّه ولي عهد أبي العباس، ممَّا دعا المنصور إلى توجيه جيشٍ له بقيادة أبي مسلم الخراساني تمكَّن من القبض عليه والقضاء على دعوته.

نهاية ابي مسلم الخرساني

ساهم الفرس الخراسانيون بدور بارز في قيام دولة الخلافة العباسية ، وعلي رأسهم ابي مسلم الخراساني ، آملين تحقيق تطلعاتهم التي يمكن تلخيصها بما يلي :

إيلاء السلطة الجديدة نظرة عطف لقضاياهم بعد الظلم الذي تعرضوا له ابان الحكم الأموي .

الرغبة في التخلص من الحكم الآنف الذكر الذي أعطي العنصر العربي ميزَّة علي ما عداه تجلّت في ميادين الحياة كافة .

إعادة مجدهم الغابر ، وإحياد سلطانهم الفارسي المندثر (كسري انوشروان) [١] .

وحدَّد العباسيون سياستهم تجاه هذه العناصر الإيرانية المتقدمة ، في المجالين السياسي والعسكري ، من منطلقين :

الأول : المشاركة والموازنة في إطار الطاعة لبني العباس .

الثاني : القمع إذا حصل خروج علي هذا الولاء [٢] .

فقد ثقلت وطأت أبي مسلم علي أبي العباس ، وكثر خلافه له ، وردّه لأمره [٣] . وكان أبو جعفر شديد الحساسية تجاه طموحاته فحثَّ أخاه علي قتله ، لكن السفاح لم يُبد ميلاً جدَّياً لذلك ، بفعل بلائته في خدمة الدعوة العباسية ، بالإضافة الي كثرة اتباعة الذين يؤثرونه علي دينهم ودنياهم ، وقد يصبحون مصدر قلق للدولة [٤] .

أما علاقة أبي مسلم بأبي جعفر ، فقد كانت سيئة جداً ، فقد حدثت أحداث أدت إلي تباعد الرجلين منهما :

---

(١) العمرو : ص ٣٠٧ .
(٢) محمود و الشريف : ص ١٠١ .
(٣) الجهشياري : ص ٩٣ .
(٤) ابن الأثير : ج٤ ،ص ٣٤٦ .

أراد أبو مسلم أن يحج في عام ١٣٦هـ ، وكان يطمع بإمارة الحج ، إلا أن الخليفة أبا العباس السفاح ولاها أبا جعفر ، مما دفع أبا مسلم إلي الغضب [١] .

يبدو أن أبا مسلم كان حريصاً علي أن يُشعر أبا جعفر بقيمته ، فأخذ يحط من هيبته بإنفاقه الأموال الكثيرة في إصلاح الطرق ، وفي الترفيه عن الأعراب ، وبتقدمه عليه في الطريق .

ولما مات السفاح ، وتولي أبو جعفر الخلافة ، تباطأ في بيعته . وكانا عائدين من الحج ، فكتب إليه يعزيه بوفاة أخيه دون أن يهنئه بالخلافة ، أو يبعث إليه بالبيعة أو يتريث في طريقه حتي يلحق به ، متجنباً بقائه مما أدخل الروع والقلق في نفسه [٢] .

ولما تولي المنصور الخلافة ، قرر التخلص منه ، فنهج معه اسلوباً سياسياً قائماً علي الأسس التالية :

إبعاده عن منطقة نفوذه في خراسان حتي لا يؤلب عليه أهلها ، ويستقل بحكمها.

أن يلقاه وحيداً ، مجرداً من النفوذ والسلطان .

تلطيف الأجواء بينهما حتي يزيل الريبة من قلبه .

جعله قريباً من مركز الخلافة حتي تسهل مراقبته .

وانفجرت الأزمة بين الرجلين بعد أنتصار أبي مسلم علي عبدالله بن علي ، فقد حاز علي أمواله وخزائنه ، فأراد المنصور أن يشعره بأنه احد عماله ، فأرسل إليه رسولاً ليحصي الغنائم مما أزعجه وأغضبه وقال معلقاً علي ذلك : ((أمين علي الدماء ، خائن في الأموال)) . ثم بعث إليه المنصور أن احتفظ بما في يدك ، فصعب ذلك علي أبي مسلم ومال إلي خلعه [٣] .

وتزداد إستعلاء أبي مسلم بعد ذلك ، لدرجة أنه كان يأتيه الكتاب من الخليفة ، فيقرأه ثم يلوي شدقه علي سبيل السخرية منه [٤] .

---

(١) الطبري : ج٧ ص ٤٦٩ – ٤٧٠ .
(٢) المصدر السابق : ج٧ ص ٤٦٩ – ٤٧٠ .
(٣) اليعقوبي : ج٢ ص ٣٠٣ ، ابن الاثير : ج٤ ، ص ٣٥٠ .
(٤) الطبري : ج٧ ،ص ٤٧١ .

وكتب المنصور إليه يهنئه بالنصر ويبلغه توليته الشام ومصر ، لكن أبا مسلم كان من الدهاء بحيث لم يُخدع بمثل هذه المناورة التي تهدف إلي فصله عن جنوده من أهل خراسان ، وفطن لغرض المنصور ، وعَّلق عليه بغضب قائلاً ((هو يوليني الشام ومصر ، وخراسان لي)) ، وقرر العودة إلي خراسان مخالفاً بذلك أوامر الخليفة [١] . وقد خشي هذا الأخير ، من عودته بفعل أنه سيعتصم بشيعته ، ويصبح قادراً علي تحدي السلطة المركزية ، فيصعب عند ذلك إخضاعه أو التغلب عليه .

نتيجة لهذا التطور في المواقف ، لجأ المنصور إلي أسلوب الدهاء للإيقاع بعدوه ، فتوجه إلي المدائن ، وكتب إليه يدعوه لزيارته ، وهو في طريقه إلي خراسان ، لأمر مهم . لكن أبا مسلم أدرك مرامي الخليفة ، ورَّد عليه برسالة عبّر فيها عما يجيش في صدره من حذر وحقد [٢] .

لم ييأس أبو جعفر من الإيقاع بخصمه ، ولجأ هذه المرة إلي أسلوب الترغيب والتهديد . ونجح رسوله إليه ، وهو أبو حميد المروزي ، في التأثير عليه ، وانتزع موافقته ، بالرغم من معارضة أركان حربه [٣] .

وهكذا تحقق مثول أبي مسلم أمام المنصور بعد عدة محاولات مزج فيها الخليفة السياسة بالتهديد [٤] .

ودارت بين الرجلين محاورة طريفة كانت أقرب إلي المحاكمة ، وهي تكشف عن أعتداد أبي مسلم بنفسه ، وبالجهود التي بذلها في خدمة بني العباس ، وتنم عن دهاد المنصور ، وخمفه من قيام القوة الخراسانية الفارسية بالانفصال عن السلطة المركزية ، ذلك أن هذا الرجل بدأ يشكل خطراً يهدد أمن الدولة ووحدتها ، كما تدل المحاورة علي عداوة قديمة بينهما ، إلا انها تتضمن ، في الوقت نفسه ، اتهاماً خطيراً لابي مسلم بمحاولة الوصول الي الخلافة عن طريق [٥] .

---

(١) المصدر نفسه : ص ٤٨٢ .
(٢) راجع نص الرسالة عن الطبري : ج ٧ ص ٤٨٣ .
(٣) الطبري : ج ٧ ص ٤٨٤-٤٨٥ . اليعقوبي : ج ٢ ص ٣٠٣ .
(٤) كتاب بدر : ص ٦٢ ، ٦٣ .
(٥) العمرو : ص ٣٢٢ .

تجاوز العلاقات الاجتماعية ، حين خطب لنفسه آمنة بنت علي ، عمة الخليفة [1] .

وضع نفسه فس المكانة الاولي في الدولة ، حين كتب الي ابي جعفر بادئاً بنفيه [2] .

ادعاء النسب العباسي ، حين زعم أنه إبن سليط بن عبدالله بن عباس [3] ، أي أنه جعل لنفسه مكانة مساوية لمكانة والد المنصور محمد بن علي بن عبدالله بن عباس .

الاتهامات التي وجهت لابي مسلم الخراساني:

عاتب الخليفة أبا مسلم الخراساني لعدم تحيته له وسلامه عليه حين زار أبا العباس في الهاشمية.

ذكره لابي جعفر باسمه وليس بكنيته في بعض الرسائل .

عاتبه لأنه تجاوز العلاقات الاجتماعية حين خطب لنفسه أمنة بنت علي ، عمة الخليفة .

عاتبه لأنه وضع نفسه في المكانة الاولي في الدولة ، حين كتب الي ابي جعفر المنصور بتقديم اسمه عليه في بعض الرسائل .

ذكره بتحريضه لعيسي ابن موسي علي التمرد وجنده وطلب الخلافة في الكوفة .

عاتبه علي تدخله في شؤون أبا العباس.

عاتبه لأنه تأخر عليه في البيعة بعد سماعه بوفاة ابي العباس .

ادعاء النسب العباسي ، حين زعم أنه إبن سليط بن عبدالله بن عباس ، أي أنه جعل لنفسه مكانة مساوية لمكانة والد المنصور محمد بن علي بن عبدالله بن عباس .

قتله لسليمان بن كثير نقيب النقباء في خراسان .

قتله لعدد من رؤساء القبائل اليمنية أمثال علي بن جديع الكرماني وأخيه عثمان.

لامه لأنه تقدم عليه في طريق الحج ولم ينتظره .

ذكره بالغنائم التي استولي علي جزء منها وهي أموال عمه عبدالله وجواريه .

وجه اليه التوبيخ ولامه لأنه قرر المسير الي خراسان دون استئذان الخليفة او اخذ موافقته . [1]

---

(1) اليعقوبي : ج ٢ ص ٣٠٥ . المعروف أن البيت العباسي احتل مكانة متميزة حتي عن البيوت العربية الأخرى . واعتبر العباسيون ان زواج العباسية من غير عباسي يعتبر زواجاً غي متكافئ ، لذلك حرصوا علي عدم تزويج بناتهم من احد خارج أبناء بيتهم .

(2) المصدر نفسه .

(3)

قتله لعدد من رؤساء القبائل اليمنية أمثال علي بن جديع الكرماني وأخيه عثمان.

قراره بالسير إلي خراسان دون استئذان الخليفة أو أخذ موافقته .

وبعد أن أنتهي المنصور من مواجهة خصمه بالتهم المنسوبة إليه ، لم يكن لأبي مسلم جواب إلا أن يذكَّر الخليفة بخدماته في سبيل الدعوة العباسية . وقبل أن تضربه السيوف ، أستنجد بالخليفة وأخذ يعتذر أمامه عما بدر منه ، لكن محاولته هذه لم تغنه عن القتل في اليوم الخامس والعشرين من (شهر شعبان عام ١٣٧ هـ/ شهر شباط عام ٧٥٥م) .

وهكذا تخلص المنصور من هذا المنافس الخطر الذي طالما أقضَّ مضجعه مدفوعاً بعوامل سياسية وشخصية . وحينما أبدي إبن أخيه عيسي بن موسي احتجاجاً علي طريقة القتل قال له المنصور : ((والله ليس لك علي وجه الأرض عدو أعدي منه ، وهل كان لكم ملك في حياته ؟)) وعندما عرف جعفر بن حنظلة بقتل أبي مسلم قال للخليفة : ((يا أمير المؤمنين عُدَّ من هذا اليوم خلافتك)). وإن دل ذلك علي شيء ، فإنه يدل علي عظمة شأن ابي مسلم وقوة سلطانه .

ونتيجة لمقتل أبو مسلم الخرسانى ظهرت حركة الراوندية التى ظهرت فى قرية راوند بالقرب من أصفهان عقب مقتل أبى مسلم الخراسانى وهى حركة مستمدة من الأفكار الفلسفية القديمة التى روجها الفرس بدافع الشعور بالقومية الفارسية، ويعتقد أصحاب هذه الحركة بتناسخ الأرواح، ويزعمون أن روح أدم حلت فى عثمان بن نيهك وأن ربهم الذى يطعمهم ويسقيهم هو المنصور، وقد اعتبر المنصور هذه النحلة خروجاً على الدين فحارب أصحابها فانقلبوا عليه وكادوا يفتكوا به لكنه ظفر بهم وقتلهم. ثم تشكلت الراوندية فى حركات متفرعة مختلفة منها الخرمية، وهى فرقة تدعى أيضاً بالمسلمية قطعت بعدم موت أبى مسلم الخرسانى، ومنها المقنعية نسبة إلى رجل

---

(١) اليعقوبي : تاريخه ج٣ ، ص ٧١.
البلاذري : انساب الاشراف ج٣ ، ص١٢٩، ، الطبري : تاريخه ج٧ ، ص٤٩١ ، ابن الاثير : الكامل ج٤ ، ص ٣٥٤
ابن عبدربه : العقد الفريد ج١ ، ص ١٧.

من مرو من أنصار أبى مسلم ادعى الألوهية، واتخذ قناعاً يخفى قبح وجهه، وأباح المقنع ترك الصوم والحج والزكاة، كما أباح النساء لأتباعه، وتم القضاء على هذه الحركة فى زمن المهدى.

بناء مدينة بغداد

يرجع الفضل في بناء مدينة بغداد إلى الخليفة أبي جعفر المنصور، ودفعه إلى ذلك عدَّة أسباب، منها:

ثورة الروانديـة سنة (١٤١هـ= ٧٥٨م)، وما شكّلته من خطر كبير على المنصور نفسه؛ الأمر الذي جعله يفكر جدِّيًّا في الانتقال من الهاشمية: لأنها لم تكن بالعاصمة الحصينة التي يأمن فيها على نفسه.

٢- أن الهاشمية وهي العاصمة المؤقتة للدولة العباسية كانت قريبة من الكوفة مركز التشيع؛ مما يشكل خطرًا على العباسيين.

٣- رغبة المنصور في إنشاء عاصمة جديدة، تليق بالدولة وتخلد ذكره من بعده.

سميت بغداد بعدة أسامي وهي :-

الزوراء لازوراها عن الكعبة والقبلة.

سميت بدار السلام ، وسميت بالروضاء لطيب هوائها.

سميت المدورة لاستدارتها.

وبغداد كلمة فارسية تعني مدينة الله.

كان من بين أهم الأعمال التي قام بها الخليفة أبو جعفر المنصور وتركت أثرها في مستقبل دولة الخلافة العباسية ؛ بناؤه مدينة بغداد . والواقع أن تاريخ هذه المدينة ، باعتبارها قاعدة من القواعد الإسلامية ، يسير جنباً الي جنب مع قيام دولة الخلافة العباسية و سقوطها . وقد ظل العباسيون ، قبل ذلك ، ثلاثة عشر عاماً ، منذ وصولهم إلي الحكم ، دون عاصمة لملكهم حتي بنوا بغداد .

وقد أناط المنصور الاشراف علي بنائها إلي قائده الحجاج بن أرطأه والإمام ابي حنيفة النعمان والذي كان ذا خبرة بالبناء والهندسة.

فاختار موضعاً عند التقاء نهر الصراة بنهر دجلة حيث توجد بغداد البوابة التاريخية التي تؤدي إلي مدن الشرق .

هذا وكانت لدي المنصور من الدوافع السياسية والعسكرية و الأقتصادية والمناخية ما جعله يقدم علي بنائها .

فمن حيث الدوافع السياسية ، فقد تعذر علي العباسيين اتخاذ دمشق عاصمة لهم ، نظراً لما تكنه من إخلاص لبني أمية . فقد كانت هذه المدينة عربية في طابعها وبيئتها وبعيدة عن بلاد فارس مصدر قوة العباسيين ، فكانت لهم مصلحة خاصة في نقل حاضرتهم ناحية الشرق . كذلك ، لم يستقر العباسيون في الكوفة أو البصرة ، وهما المدينتان الكبيرتان ، فقد كان اهل الكوفة ميالين إلي الثورات ، وغلب عليهم التشيع لعلي بن أبي طالب وأبنائه . أما البصرة فكانت لا تصلح حاضرة للدولة بفعل موقعها القاصي في الجنوب .

ويمتاز موقع بغداد بحصانته من الناحية العسكرية ، إذ لا يمكن الوصول إليه إلا علي قنطرة أو جسر ، فإذا قُطعت الجسور وخُربت القناطر لا يصل إليه العدو . وشكّل نهرا دجلة والفرات سوراً وخندقاً طبيعيين ، كما يمتاز هذا الموقع ببعده عن مناطق الحدود البيزنطية مما يجعله آمناً وبعيداً عن غارات البيزنطيين.

وتبدو المظاهر العسكرية جلية في أسلوب بناء بغداد وطريقة تحصينها . فقد أحيطت بسورين وخنادق يحيط بها خندق خارجي عرضه ستة أمتار تجري فيه المياه بهدف إحاطة المدينة بالمياه من كافة جوانبها حتي تكون جزيرة . وجهزت أبواب المدينه الأربعة بدهاليز كبار تنحرف عن الأبواب الخارجية . وبهذا الطراز الهندسي أكتسبت المدينة قدرة دفاعية. فحين يحاول الأعداء الدخول إليها يضطرون إلي الانحراف نحو اليسار للدخول من مدخل ثانٍ مما يجعل جوانبهم

الايمني مكشوفة وعرضة للسهام الموجهة إليهم [1] . يضاف الي ذلك ، أن إمكانات الوظيفة العسكرية تتأثر بحجم المدينة ويقتضي بالتالي إقامة توازن بين مساحة المدينة ، وهدد المدافعين عنها ، وهذا يفسر بناء بغداد علي شكل دائري إذ تقل مساحة هذا الشكل علي مساحة الشكل المربع في الأرض الواحدة [2] ، كما يجعل وجود مركز في المدينة علي مسافات متساوية من أجزاء الدائرة ، وكان ذلك تعبيراً عن حرص المنصور علي المساواة بين موظفيه [3] ، كما يعّرض كل أجزائها للشمس والهواء .

وتروى المصادر أهمية المكان الذى وقع عليه الاختيار لبناء بغداد ، حيث نبهه بعض العقلاء النصارى على فضيلة مكانها فقال : "يا أمير المؤمنين تكون المدينة على الصراه بين دجلة مع الفرات فإن حاربك أحد كانت دجلة والفرات خنادق لمدينتك ، ثم أن الميرة تأتيك فى دجلة من ديار بكر تارة ، ومن البحر والهند والصين والبصرة تارة أخرى ، وفى الفرات من الرقة والشام وتجيك الميرة أيضا من خراسان وبلاد العجم فى شط تامرا ، وأنت يا أمير المؤمنين بين أنهار لا يصل عدوك إليك إلا على جسرا أو قنطرة ، فإذا قطعت الجسر أو خربت القنطرة لم يصل إليك عدوك ، وأنت متوسط للبصرة والكوفة وواسط والموصل والسود ، وأنت قريب من البر والبحر والجبل ٠

هذا من حيث موقع المدينة أما من حيث مخططها ففيه يتجلى ذكاء كبير ، حيث جاء تخطيط بغداد مما استحدث فى تخطيط المدن الإسلامية ، فقد جعلها أبو جعفر المنصور مدوره ، وأقام بمركزها قصر الخلافة ، وإلى جانبه الجامع الذى سمى بجامع المنصور ٠

وضع المنصور بيده أول لبنه وقال : "بسم الله والحمد لله ٠ الأرض لله يورثها من يشاء والعاقبة للمتقين" ثم قال ابنوا واستغرق بناء المدينة عاما كاملا ، فابتدأ بها فى سنة خمس وأربعين ومائة ،

---

(1) طاهر العميد : المظاهر العسكرية في بناء بغداد المدورة .مجلة كلية الاداب ، بغداد ١٩٦٩ ، العدد ١٢ ، ص ٣٠٣ – ٣١١ .
(2) سامح ، كمال الدين : العمارة فس صدر الإسلام . ص ٥٦ – ٥٧ .
(3) الخطيب : ج١ ، ص٧٢ .

وتمها فى سنة ست وأربعين ومائة ، وجعل لها أربعة أبواب هى باب خراسان ، وباب الشام ، وباب الكوفة ، وباب البصرة ٠

جعل المنصور بين كل باب من أبوابها والباب الآخر ميل ، وبجانب كل باب أبنية كبيرة لإقامة الفرق العسكرية ، والأبواب الأربعة تقضى جميعا إلى الساحة الواقعة فى المركز عند قصر الخلافة ، حيث كان الخليفة يستطيع أن يراقب هذه الشوارع جميعا من قصره وأن يعرف ما يجرى فيها ، وقد بنى المنصور فيها الخضراء فوق ايوان ، وكان ارتفاعها ثمانين ذراعا ، وهى تاج بغداد ومأثره من مآثر بنى العباس ، ويذكر ابن طبطبا أن تكاليف بناء المدينة بلغت أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثين درهما ٠

اهتم المنصور عند تخطيط بغداد بالمرافق الهامة وخاصة الأسواق حيث عمل على توفيرها فى كل ربض من أرباض المدينة ، وذكر اليعقوبى أنه حدد لكل أصحاب ربع ما يصير لكل رجل من الأذرع ولمن معه من أصحابه وما قدره الحوانيت والأسواق فى كل ربض ، وأمرهم أن يوسعوا فى الحوانيت ، ليكون فى كل ربض سوق جامعة ، تجمع التجارات ٠

وحدد لهم المنصور أن يجعلوا عرض الشوارع خمسين ذراعا بالسوداء ، والدروب ست عشره ذراعا ، وأن يبتنوا فى جميع الأرباض والأسواق والدروب من المساجد والحمامات ما يكتفى بها من فى كل ناحية ومحله ٠

وعمرت المدينة وازدحمت بالناس ومن ثم اقطع الخليفة قواده وعماله القطائع خارج أسوار بغداد ، حيث رأى المنصور أن ينقل التجار خارجها محافظة على أمنها ونظافتها وتوفير الهدوء فيها ، وأنشأ " الكرخ" ليضم التجار جميعا ، وكان تخطيطه مثالا جيدا يعكس المستوى الذى وصل إليه تخطيط الأسواق حيث حدد لكل أهل تجارة مكانها ، وفصل بين أهل التجارات والحرف فخصص لكل حرفة أيضا منطقة خاصة بها ونتيجة لازدحام بغداد أمر المنصور ببناء الرصافة وجعلها ثكنات للجيش ٠

بناء الرصافة (١٥١هـ / ٧٦٨م):

بني الخليفة أبو جعفر المنصور مدينة الرصافة أو ما أطلق عليها أسم بغداد الشرقية ، لابنه المهدي ، وذلك علي الجانب الشرقي من دجلة مقابل مدينة بغداد من الجهة الغربية وقد عرفت باسم "عسكر المهدي " [١] .

وكان الهدف من بنائها هو هدف استراتيجي حيث أراد وضع المهدي جنده فيها ليكون من في خارج بغداد عوناَ في قمع الاضطرابات التي قد تنشب داخلها [٢] ، وأدرك الخليفة أبو جعفر المنصور أنه لن يكون أمناً كل الأمن علي نفسه بإقامته في بغداد ، وجهزت الرصافة بسور وميدان وبستان وأُجري عليها الماء وربط بينها وبين بغداد بثلاث جسور علي نهر دجلة وضع المنصور القواد فيها القطائع [٣] ، وسرعان ما عمرت الرصافة حتي قاربت بغداد في الاتساع ، وانتهي بناء الرصافة في عام ١٥٩هـ / ٧٧٦م خلال عهد الخليفة المهدي .

– المنصور وعبد الله بن على:

على حين كان الخطر الذى تهدد العباسيين أموياً فى عهد أبى العباس السفاح، تهدد أباجعفر المنصور خطر عباسى تمثل فى عمه عبدالله بن على الذى تطلع إلى الخلافة بعد موت السفاح[٤] فى سنة ١٣٧هـ/٧٥٤م، حيث زعم أن أبا العباس السفاح عندما أراد توجيه الجنود إلى مروان بن محمد دعا بنى أمية فأرادهم على المسير إليه فهو ولى عهدى"[٥] فلم ينبر للأمر غيره، وتشعر عبارة عبدالله بن على أن هذا كان أكبر حافز له للسير إلى حرب مروان حيث يقول:

---

(١) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤١٤

(٢) محمد سهيل طفوش : الدولة العباسية ص ٧٢.

(٣) الخطيب البغدادي : شارع بغداد ج١ ، ص ٨١.

[٤] العدوى: نهر التاريخ الإسلامى، ص٣٠٥.

Amir Ali, A short history of the saracenes, P. 213.

وكان عبد الله يعرف بعبد الله الأصغر لأن له أخوان أحدهما عبد الله الأكبر والثانى عبد الله الأوسط، عبدالمنعم ماجد:: تاريخ الدولة العباسية، ص٥٦.

[٥] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٧٤؛ العيون، ص٢١٧؛ نهر التاريخ الإسلامى، ص٣٠٥.

"فعلى هذا خرجت من عنده وقتلت من قتلت"[١]، وشهد على صدق قول عبدالله عدة من قواد خراسان، وقد شق عبدالله عصا الطاعة على المنصور ونادى بنفسه خليفة، وبايعه على ذلك قواد جيشه من العباسيين والجند الخراسانيين، وتوجه عبدالله إلى حران، وأسر حاكمها فقاتل العكى واستولى على حصنه بعد حصار دام أربعين ليلة"[٢].

وعلى الجملة، تمكن أبومسلم الخراسانى قائد المنصور من هزيمة عبدالله بن على، وأنقذ الدولة العباسية الناشئة من خطر داهم وقد فر عبدالله عند هزيمته هارباً إلى البصرة[٣] تاركاً جيشه لمصيره خاتماً بذلك حياته شر ختام بهروبه من ميدان القتال[٤]، وأقام لدى سليمان بن على، وذلك فى سنة ١٣٧هـ/٧٥٤م[٥].

وعلى هذا الأساس اشخص عبدالله بن على إلى المنصور، ولكن المنصور ما لبث أن غدر به ونقض عهده، وجاءت خاتمة عبدالله مثالاً صادقاً على غدر المنصور ونقضه لعهوده، وذلك أن المنصور أراد أن يتخلص من عيسى بن موسى ابن أخيه وولى العهد من بعد المهدى آنئذ وكذلك من عمه عبدالله بن على.

ويقول صاحب شذرات الذهب: انهدم الحبس على الأمير عبدالله بن على.... سجنه المنصور سراً وقيل أنه قتله سرا وهدم الحبس قصدا"[٦].

ويقول ابن كثير: "أنه سجنه بدار جدرانها مبنية من ملح فلما كان من الليل أرسل على جدرانها الماء فسقط عليه البناء فهلك"[٧].

- المنصور وعيسى بن موسى:

---

[١] ابن الوردى: تتمية المختصر، ج١، ص١٩٣. وأنظر: Shaban , Islamic history, PP. 6-11.

[٢] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٤٧٥؛ أبوالفدا: المختصر، ج١، ص٢١٤. وأنظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص٦١.

[٣] الجهشيارى: الوزراء والكتاب، ص١٠٤؛ مجهول: العيون، ص٢١٩.

[٤] الخضرى: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، ص٥٦.

[٥] أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج١، ص٣٣٣.

[٦] ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج١، ص ٢١٩.

[٧] ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص ١٠٤.

عقد السفاح فى سنة ١٣٦هـ/٧٥٤م قبل وفاته لأخيه أبى جعفر عبدالله بن محمد من بعده، وجعل ولى عهد المسلمين[١]، ومن بعد أبى جعفر المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى[٢] بن محمد بن على، وجعل العهد فى ثوب وختمه بخاتمه وخواتيم أهل بيته، ودفعه إلى عيسى بن موسى، وقد أخطأ أبوالعباس السفاح فى توليته العهد اثنين، وكان ذلك من عوامل ظهور الخلاف والنزاع بين البيت العباسى[٣]، فلما توفى السفاح كان أبوجعفر بمكة، فأخذ عيسى بن موسى البيعة لأبى جعفر، وأرسل إليه يخبره بوفاة السفاح والبيعة له[٤].

وفى نفس الوقت أرسل عيسى بن موسى إلى عبدالله بن على بالشام يخبره بوفاة السفاح ويأمره بأخذ البيعة للمنصور فكان من أمره ما ذكرناه.

وكان المنصور يضمر إزاحة عيسى بن موسى عن ولاية العهد حتى أنه عندما أرسله إلى قتال محمد النفس الزكية قال: "لا أبالى أيهما قتل صاحبه"[٥]، فلما انتهى أمر محمد النفس الزكية وجه المنصور بعيسى بن موسى إلى قتال إبراهيم بن عبدالله أخى محمد النفس الزكية وفى نفسه الرغبة نفسها.

وفى سبيل إزاحة عيسى بن موسى من ولاية العهد لم ينال المنصور بما سبق وعقده السفاح ولجأ إلى أساليب غير نظيفة[٦] فى سبيل تحقيق هذا الهدف أوجزها ابن العماد الحنبلى فى قوله: "ألح المنصور وتحيل بكل ممكن على ابن عمه ولى العهد عيسى ابن موسى بالرغبة والرهبة حتى خلع

---

(1)Amir Ali, A short history of the Saracenesp, P. 213.

وقد توفى السفاح فى الأنبار بعد حكم دام أربعة سنين وتسعة شهور.

H. Ibrahin, history and Islamic culture, P. 103.

(٢) ويبدو أنه ولاه بقصد أرضا أعمامه وربما حدا لطموح عبد الله بالذات. عبدالمنعم ماجد:: تاريخ الدولة العباسية، ص ٥٧.

(٣) جمال سرور: الحياة السياسية فى الدول العربية الإسلامية، ص ١٠٨.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص ٧٤٧.

(٥) ابن الأثير: نفس المصدر، ج٥، ص٨.

(6) Amir Ali, A short history of the saracenes, P.

نفسه كرها، وقيل بل عوضه عشرة آلاف درهم وعلى أن يكون أيضاً ولى عهده بعد المهدى بن المنصور".[1]

فبدأ المنصور يتغير عليه فى مجالسه ويشعره بذلك فى تحد سافر، فكان يأذن للمهدى قبله فى الدخول، ويجلسه عن يمينه فى مكان عيسى بن موسى من قبل، فإذا ما دخل عيسى جلس دون مجلس المهدى عن يمين المنصور أيضاً ولا يجلس عن يساره فى مكان المهدى سابقاً، فكان ذلك يغبط المنصور، ثم زاد المنصور: فكان يأذن للمهدى ثم لعيسى بن على، وبعد فترة يأذن لعبد الصمد ابن على، وأخيراً يأذن لعيسى بن موسى وكان يوهم عيسى بن موسى بأنه إنما يقدمهم لحاجة تعرض ولمذاكراتهم بالشئ من أمره والتزم عيسى بن موسى بضبط النفس فلم يشك ولم يستعتب.

ثم خطا المنصور خطوة أخرى فى إهانة عيسى بن موسى فكان يسمع فى الحجرة التى يجلس فيها مع بعض ولده حتى يؤذن لى بالدخول إلى المنصور، الحفر فى أصل الحائط وينظر إلى لخشب من سقف المجلس قد حفر من أحد طرفيها لتقلع فيسقط التراب وقال يا عيسى ما يدخل على أحد بمثل هيئتك من كثرة الغبار عليك والتراب عليك والتراب، أفكل هذا من الشارع؟ فيجيبه عيسى: احسب ذلك يا أمير المؤمنين[2].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وصل إلى دس السم له فى شراب شربه، أحس بعده عيسى بالماء فى بطنه فارتحل إلى الكوفة، وأراد الله له أن يشفى بعد أن أشرف على الموت، وحاول المنصور تبرئة نفسه من أن يكون له دخل فى ذلك فأظهر الفزع مما أصاب عيسى، وأمر طبيبه بختيشوع بمعالجته، ولم يخف الأمر على عيسى بن موسى وعلى خاصة الخليفة، وقد أوعز الطبيب بختيشوع إلى عيسى بأن يعالج فى الكوفة وليس فى قصر الخلافة وقال لعيسى: "والله ما

---

[1] ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج١، ص ٢١٩.

[2] ابن طباطبا: المصدر السابق، ص ١٧٣، النويرى: نهاية الأرب، ج٢٢، ص٩٣.

اجترئ على معالجتك بالحضرة، وما آمن على نفسى"[١].

وكان ما أصاب عيسى بن موسى من آثار هذا السم شديداً أثر فى مسمعه وفى بصره بل إنه أدى إلى سقوط شعره.

ويبدو أن بختيشوع نفسه هو الذى نفذ أمر الخليفة أولاً باسقائه السم، ومن ثم فكان يعرف ترياق ما أعطاه، ويعرف طريقة علاجه، ولعل حرص على ألا يرجع المنصور فى أمره بعلاجه أو يصدر أمراً آخر ينهى حياة عيسى فطلب من عيسى ألا يعالج فى قصر المنصور.

فقال أهل الكوفة: هذا الذى كان غدا فصار بعد غد[٢] هكذا تنازل الرجل عن حقه مكرها،فهل تصبح بذلك بيعة؟ وهل تنعقد بذلك خلافة؟ وأن ولاية العهد للمهدى على هذا النحو سبة فى جبين عهد المنصور توضح بجلاء خلة الغدر وعدم احترام العهود والعقود.

وقد أردف المنصور إكراه عيسى بن موسى على التنازل عن ولاية العهد بإكراهه على أمر آخر وهو أن يجعل نفسه تالياً فى ولاية العهد للمهدى ابن المنصور.

وهكذا أجبر المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى فى الأول وفى الآخر، ونقض عهد أخيه أبى العباس السفاح دون نظر إلا إلى أنانية نفسه فى ولاية ابنه.

ونتيجة لرضا عيسى بن موسى وانصياعه فى النهاية لأمر المنصور أنصلح أمره وأمر بنية عند المنصور، وأقبل عليه بعدما كان أعرض عنه"[٣].

وتوفى المنصور فى سنة ١٥٨هـ/ ٧٧٥م بالقرب من مكة، وهو فى طريقه للحج.

٣- الخليفة المهدى بن المنصور(١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م).

هو محمد بن عبدالله المنصور، بويع له بمكة ، لان الناس سبق لهم ان بايعوه بولاية العهد .

وحكم المهدى قرابة ١١سنة قضتها الدولة فى سلام، وساعد على ذلك ميله إلى السلم، واستقرار أمور الدولة فى حياة أبيه، وقد عكف المهدى على الفنون، وخاصة العمارة فأقام سور

---

[١] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١١.

[٢] ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص٢٤.

[٣] الطبرى: نفس المصدر السابق، ج١٠، ص١٤.

الرصافة، وبنى مسجدها، ووسع المسجد النبوى بالمدينة وجملة بالفسيفساء والعمد، وكسا الكعبة كسوة جديدة فى سنة ١٦٠هـ/٧٧٧م، وطلى جدرانها بالمسك والعنبر، وبنى على جوانب الطريق المؤدى إلى الحج منازل ومحطات لراحة الحجاج، وأمر كذلك بالزيادة فى المسجد الجامع بالموصل فى سنة ١٦٣هـ/ ٧٨٠م وكان المهدى من أكثر الخلفاء العباسيين حباً للموسيقى والغناء، وكان بلاطه يكتظ بالمغنيين وذوى المواهب الفنية أمثال حكم الوادى، وسياط، وإبراهيم الموصلى، وبشير بن خلكان إلى أن الموصلي كان أحسن الناس صوتاً، وكان ابنه أبو إسحق من كبار المغنيين الموسيقيين فى بلاط الرشيد والأمين، وعد إبراهيم زعيم الحركة الموسيقية الإبداعية الفارسية، بخلاف إسحق الموصلى الذى تزعم المدرسة التقليدية العربية[١].

وكان المهدى شديداً على أهل الضلال والزندقة لا تأخذه فى إهلاكهم لومة لائم[٢]، ففى عهده ظهرت حركة المقنعية بزعامة المقنع الخراسانى سنة ١٥٩هـ/٧٧٦م قادها رجل من أهل مرو– موطن النحل الفارسية– أعور، قصير القامة، دميم الخلقة، اتخذ لوجهه قناعاً من ذهب لإخفاء قبح وجهه، وادعى الألوهية، وكان يقول أن الله خلق آدم، فتحول فى صورته نوح، وهكذا هلم جرا إلى أبى مسلم الخراسانى ثم تحول إلى هاشم، وسمى نفسه هاشماً، وكان يقول بالتناسخ، وتجمع حوله حشد كبير من التابعيين، وتحصنوا فى قلعة بسنام وسنجردة من رستياق كش، وأعانه الترك فى بخارى والصند[٣]، ولكن هذه الحركة لم يطل أمدها، فقد انتهت بهلاك المقنع، ذلك أن المهدى سير إليه جيشاً بقيادة معاذ بن مسلم ، وسعيد الحرشى أوقع بأصحاب المقنع فهزمهم فلما أيقن المقنع بالهلاك جمع نساءه وأهله وسقاهم السم، وأمر أن يحرق هو بالنار حتى لا يمثل بجثته[٤].

---

[١] راجع فارمر، تاريخ الموسيقى الأندلسية، ترجمة الدكتور حسين نصار، القاهرة، ١٩٥٦م، ص١٤٢.

[٢] ابن طباطبا ، ص١٦١.

[٣] ابن الأثير: الكامل،ج٥، ص ٣٩، ابن طباطبا ، ص١٦٢

[٤] ابن الأثير: الكامل،ج٥، ص ٥٢،. ابن طباطبا ، ص١٦٢

كذلك ظهرت فى أيام المهدى حركة الزندقة، وكان أصحاب هذه الحركة ينادون بالإباحية المطلقة والفوضى والتحلل من جميع القيم والروابط الاجتماعية، وقد تتبع المهدى الزنادقة فى كل مكان، ونكل بهم وعين لمطاردتهم رئيساً يعرف بصاحب الزندقة، قتل منهم أعداداً هائلة، وبلغه أن صالح بن أبى عبيدالله كاتبه زنديق، فأحضره فلما تأكد لديه ذلك قتله[١]، والمهدى أول من أمر بتصنيف كتب الجدل فى الرد على الزنادقة والملحدين .

– المهدى وعيسى بن موسى:

سار المهدى على نهج أبيه، واتخذ نفس السبيل ليجعل عيسى بن موسى يخلع نفسه من ولاية العهد لصالح موسى بن المهدى، وذلك بعد مضى سنة واحدة من خلافته[٢]، وأرهبه وأرغبه[٣]، ولم تسمح نفس موسى بأن يتكرر معه مع المهدى نفس ما حدث مع المنصور فرفض النزول عن حقه الذى سبق أن زحزح عنه بغير وجه حق، ولكن كيف له أن يتمسك حتى النهاية والمهدى يتهدده قائلاً: "أنك أن لم تحين أن تنخلع منها حتى أبايع لموسى وهارون استحللت منك بمعصيتك ما يستحل من العاصى وأن اجبتنى عوضتك منها ما هو أجدى عليك وأعجل نفعا"[٤]، فأجاب إلى خلع نفسه، فأعطاه المهدى عشرة ملايين من الدراهم، وضياعاً بالزاب وكسكر"[٥]

وإن كان المهدى زاد فأبعد عيسى تماماً، حيث جعل ولاية العهد من بعده لموسى ثم لهارون، ومن ثم فقد ابتعدت الخلافة عن عيسى بن موسى بنفس القدر الذى ابتعد به خلفاء بنى العباس عن الوفاء بعودهم.

وفى عهد المهدى ساءت العلاقات بين البيزنطيين والعباسيين فلم تنقطع الحرب البرية البحرية بينهما، فمنذ سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م توالت حملات المهدى على البيزنطيين، وقد رد

---

[١] اليعقوبى، ج٢، ص٤٠٠.

[٢] الجهشارى: الوزراء والكتاب، ص١٤٥.

[٣] ابن طباطبا: الفخرى، ص١٨٠.

[٤] النويرى: نهاية الأرب، ج٢٢، ص١١١.

[٥] النويرى: نفس المصدر، ص١١٢.

البيزنطيون على تلك الغارات، فأغاروا على مرعش وأحرقوها، فجعل ابنه هارون فى حلب لمهاجمة البيزنطيين، وعمل هارون على مقاتلتهم، فوصل جيشه إلى سواحل البسفور، وأرغم الإمبراطورة إيرين الوصية على ابنها قسطنطين السادس على أن تدفع للمسلمين مبلغاً قدره سبعون ألف ديناراً سنوياً، وعقدت الهدنة بين المهدى وإيرين لمدة ثلاث سنوات.[١]

٤- موسى الهادى بن المهدى (١٦٩-١٧٠هـ /٧٨٥-٧٨٦م).

هو محمد موسى الهادى بن المهدى بويع له بالخلافة فى اليوم الذى توفى فيه المهدى، وفى عهده القصير ضعفت الخلافة العباسية، فقد أصبحت أموال الدولة تصرف على المقربين والمتصلين به من الشعراء وغيرهم، كذلك بدأ نساء القصر يتدخلن فى شئون الدولة، مما قلل هيبتها.

- نقض الهادى لعهد المهدى:

واستمرارا لسلسلة نقض العهود فى البيت العباسي نفسه سلك الهادى مسلك جده وأبيه مع أخيه هارون الرشيد، فعمل على خلعه من ولاية العهد وتوليهة ابنه جعفر[٢]، فعرض عليه أن يعطيه ما يشاء ليخلع نفسه[٣]، فرفض بإيحاء من يحيى بن خالد البرمكى، وقد نصح يحيى الهادى قائلاً: "يا أمير المؤمنين، إنك أن حملت الناس على نكث الإيمان، هانت عليهم إيمانهم وأن تركتهم على بيعة أخيك، ثم بايعت لجعفر من بعده كان أوكد لبيعته"[٤].

وظهر الإجرام فى نقض العهود فى تصرف موسى الهادى بعد ذلك ليتخلص من هارون ومن يحيى ، ولما أراد هرثمة نصحه بالابتعاد عن ذلك هدده قائلا: "عليك أن تسمع وتطيع وإلا ضربت عنقك"[٥].

---

[١] ابن الأثير: الكامل، ج١، ص ٢٢-٢٣.

[٢] محمود شاكر: الدولة العباسية، ج١، ص١٥٢.

[٣] الريس: الخراج فى الدولة الإسلامية. وأنظر: السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٢٨٠.

Brokwlman, History of Islamic people, P. 114.

[٤] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٠٩. Brokelman , Ibid, P.114

[٥] العيون، ص٣٨٨.

هكذا وصل الأمر بعدم احترام العقود والعهود المبرمة إلى درجة أن يريد الأخ قتل أخيه، ولم يتم الأمر للهادى كما أراد، حيث مات قتيلاً على يدى أمه الخيزران بعد أن استعطفته ألا يقدم على قتل أخيه، وكشفت له رأسها وبكت، فقال لها: "ان أمسكت وإلا ضربت عنقك"[١]، وراح الهادى ضحية لرغبته فى قتل أخيه غير عابئ بعهد أبيه، ولأسباب أخرى منها سوء تصرفاته مع أمه الخيزران[٢].

٥- هارون الرشيد

أعظم وأعدل خلفاء بني العباس(١٧٠-١٩٣هـ /٨٧٦-٨٠٩م).

هو أبو جعفر هارون بن محمد المهدى، من أعظم خلفاء بنى العباس وأكثرهم ذكراً فى التاريخ العباسى، لما اتصف به من كرم وجود، ولما وصلت إليه الدولة الإسلامية فى عهده من نهضة حضارية بلغت الأوج، وفى عهده نكب بالبرامكة سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٢م بعد أن سيطروا على الدولة اقتصادياً وإدارياً، وكانوا يهيمنون على جميع مرافق الدولة فى الحكم، والشئون المالية، والإدارة والعلوم، والفنون، وسنتحدث عن نكبتهم بالتفصيل عند تعرضنا لعلاقة العباسيين بالفرس.

أما عن علاقة الدولة العباسية بالدولة البيزنطية فكانت علاقة حرب بخلاف علاقتها بالدولة الكارولنجية التى إرتبط عاهلها شارلمان (٧٦٨-٨١٤هـ/ ١٥١-١٩٩م) مع الرشيد بعلاقات المودة والصداقة، وتبادل الجانبان الهدايا والسفارات، ومن المعروف أن الرشيد قاد الحملات ضد البيزنطيين بنفسه، ففى سنة ١٨١هـ/٧١٧م خرج على رأس جيش كثيف إلى آسيا الصغرى، واجتاز منطقة الثغور، واقتحم المواقع البيزنطية فى آسيا الصغرى، وافتتح حصن الصفصاف، كما غزا قائده عبدالملك بن صالح بلاد البيزنطيين فى نفس السنة فبلغ أنقرة[٣]، فاضطرته الإمبراطورة إيرين إلى شراء سلم مهين لبيزنطة من العباسيين، وعلى أثر ذلك زحف

---

[١] مجهول: العيون، ص ٣٨٨.

[٢] أنظر كتابنا: نفوذ النساء، ص ١٨.

[٣] ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص١٥٨.

بجيوشه مخترقاً آسيا الصغرى حتى نزل على هرقلة، ففتحها وغنم غنائم كثيرة، وانتصر على البيزنطيين فى عدة مواقع، وأرغم الإمبراطور نقفور على إبرام معاهدة صلح تعهد فيها بدفع الجزية من جديد. ولكن البيزنطيين نقضوا هذه المعاهدة مرة ثانية، وهاجموا الدولة العباسية والرشيد فى طريق عودته، وهزموا المسلمين فى جنوبى آسيا الصغرى منتهزين إنشغال الخليفة ببعض الفتن الداخلية، ولكن الرشيد خرج فى سنة ١٩٠هـ/٨٠٥م وفتح هرقلة والصفصاف وملقونية وغيرها، وأسر من البيزنطيين ستة عشر ألفاً وفرض جزية عليهم قدرها خمسون ألف دينار.

نقض الأمين والمأمون لعهد الرشيد:

كان الرشيد قد وثق عهوده لولديه الأمين والمأمون أوثق توكيد حيث وضعها فى الكعبة المشرفة، وأشهد عليه أهل بيته ووزراءه وقواده ومواليه وكتابه ومن كان معه فى الكعبة.

وقال: "أن السيوف ستسل والفتنة ستقع، والتنازع فى الملك سيظهر"[١] وقد وقعت الفتنة فعلاً، وغدر كل أخ بأخيه، وعن ذلك يعبر الطبرى بقول عزم كل واحد منهما بالخلاف على صاحبه فيما كان والدهما هارون أخذه عليهما العمل به"[٢]، وانتهى الأمر هذه المرة بأن قتل الأخ أخاه وأمر برفع رأسه على خشبة فى صحن الدار، ومنح الجنود الأعطيات ابتهاجًا بانتصاره"[٣] ، توفى الرشيد وهو غاز بخراسان، فدفن بطوس فى ٣ جمادى الآخرة سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٨م، وكان قد بايع بولاية العهد لأولاده الثلاثة: الأمين سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١م، ثم المأمون سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م ثم المؤتمن سنة ١٨٦هـ/ ٨٠٢م، وقسم دولته بينهم، فعهد بالقسم الشرقى إلى المأمون، وبالجزيرة والعواصم إلى المؤتمن، أما الأمين فتولى الشام والعراق إلى آخر المغرب.

---

[١] المسعودى: مروج الذهب، ج٣، ص٣٦٤. وأنظر كتاب: صفحات فى تاريخ العباسيين (حول الصراع بين الأمين والمأمون)

[٢] الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٦٥؛ الجهشيارى: الوزراء والكتاب، ص٢٧٥.

[٣] المسعودى: مروج الذهب، ج٣، ص٤٢٣، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٣٠٠. وأنظر:

M. Ibrahim: History and Islamic culture, PP. 121-122.

٦- محمد عبد الله الأمين (١٩٣-١٩٨هـ / ٨٠٨-٨١٣م):

هو ولد الرشيد من زبيدة أم جعفر بنت جعفر بن المنصور ، ولى الأمر بعد الرشيد صبيحة الليلة التى توفى فيها، وكان المأمون حينئذ بمرو، وعلى الرغم من الانتقادات التى وجهها المؤرخون اليه، وإقباله على اللهو وانقطاعه إلى معاشرة المجان عن تدبير الدولة، وتوجيهه إلى جميع البلدان فى طلب الملهمين، واستخفافه بأخويه، وبقواده، وإسرافه فى الإنفاق على ملذاته ومتعه على الرغم من ذلك كله فقد كان شجاعاً فصيحاً أديباً كريماً[١]

ونصحه بعض الناصحين بأن يستسلم لأخيه وينزل له عن الخلافة فقبل أن يسلم الخاتم والقضيب والبردة، وهى من مخلفات الرسولﷺ، لطاهر، ويسلم نفسه إلى هرثمة بن أعين لكبر سنه، ولما عرف من قسوة طاهر، غير أن طاهر خشى ألا يكون الأمين جاداً فى تنفيذ ما اعتزمه لاسيما وقد بلغه من قبل أنه كان ينوى الخروج من بغداد إلى الجزيرة وبلاد الشام، فوضع حول القصر كميناً بالسلاح، فلما أرسل هرثمة إلى الأمين حراقة على باب خراسان ونزل الأمين بالحراقة أرسل طاهر جماعة من العوامين خرقوها بالسهام، وقيل قلبوها بمن فيها، وسبح الأمين إلى الشاطىء فقبض عليه بعض عساكر المأمون وذبحوه فى المحرم سنة ١٩٨هـ/ ٨١٢م وطافوا برأسه فأرسلها هاطر إلى المأمون فحزن المأمون لقتله، وكان يرغب فى أن يرسل إليه حياً ليرى فيه رأيه، فحقد بذلك على طاهر بن الحسين وأهمله إلى أن مات طريداً بعيداً.

٧- عبدالله المأمون (ابوالعباس) (١٩٧-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م).

ولد المأمون في عام ١٧٠هـ في اليوم الذي تولى فيه أبوه الخلافة، وأمه أم ولد فارسية تدعى مراجل أشتراها الرشيد لتلد له، لأن زبيدة أبطأت في الحمل فولدت له عبد الله المأمون، ثم حملت زبيدة بعد ذلك بقليل بمحمد الأمين فوقع بين الوالدتين التحاسد، وسرعان ما إنتقل ذلك

---

[١] ابن طباطبا، ص١٩٣. ومن الأمثلة الدالة على كرم عنصره أن الفضل الربيع اقترح عليه لما تأزم الموقف بعد هزيمة قوات الأمين أن يأخذ ولدى المأمون رهينة حتى ينفذ له مطالبه فإذا أبى تنفيذها قتلهما فرد عليه الأمين: أنت إعرأبى مجنون ، أدعوك إلى ولاية أعنة العرب والعجم وأوليتك خراج الجبال إلى خراسان وأرفع منزلتك على نظراتك من أبناء القواد والملوك وتدعونى إلى قتل ولدى وسفك دماء أهل بيتى. ابن الأثير: الكامل،ج٥، ص ٢٥٤.

التحاسد الى الحاشية ورجال الدولة، فأنضم العرب بزعامة الفضل بن الربيع الى جانب الأمين بينما أنضم الفرس بزعامة البرامكة ثم الفضل بن سهل الى جانب المأمون وإنتهى ذلك الصراع بمقتل الأمين وتولي المأمون الخلافة. وأتسمت سياسة المأمون بأنها تجمع المواقف المتناقضة ومحاولة التوفيق بينها، فهو يميل الى الفرس تارةً والى العلويين تارةً أخرى، فأستطاع بتلك السياسة المرنة أن يجمع بين المواقف المتناقضة ويرضي جميع الأحزاب ويتغلب على جميع الصعاب.

بويع له بالخلافة وهو بخراسان فى سنة ١٩٧هـ/٨١٣م، وبويع له البيعة العامة ببغداد فى سنة ١٩٨هـ/٨١٤م، وفى هذه الأثناء كان الفضل بن سهل يستبد بأمور الدولة ويدبرها من مرو التى كان ينوى اتخاذها داراً للخلافة، ويحول الإدارة المركزية من العراق العربى إلى خراسان الفارسية، ولكى ينفذ هذا المخطط الخطير حجر على المأمون ومنع أهل بيته وكبار قواده من الدخول إليه إلا بإذن منه، ثم أمر على لسان المأمون بتعيين أخيه الحسن بن سهل على إقليم العراق والحجاز واليمن[١]، تمهيداً لجعل بلاد الشرق العربى ولايات تابعة لخراسان، وقد أثار هذا الوضع ثائرة العرب فى بغداد وغيرها من الحواضر العربية واستاء له العباسيون.

– ثورة العلويين على المأمون :

فى سنة ١٩٩هـ/ ٨١٤م ظهر أبوعبدالله محمد بن إبراهيم بن الحسن ابن الحسين بن على بالكوفة ودعا إلى الرضا من آل محمد والعمل بالكتاب والسنة وهو المعروف بابن طباطبا وقاد الثورة أبوالسرايا السرى بن منصور القيم بأمره فى الحرب، ونجح فى إيقاع الهزيمة بالجيوش التى وجهها إليه الحسن بن سهل، واستولى على الكوفة، وعلى الرغم من وفاة محمد بن إبراهيم بن طباطبا فجأة فقد تولى مكانه محمد بن محمد بن زيد بن على بن الحسين بن على، وانتشر

[١] السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ٢٧٩.

الطالبيون فى البلاد[1]، وضرب أبوالسرايا الدراهم بالكوفة وعاثت جيوشه بالبصرة وواسط ونواحيهما فتغلب على البصرة والمدائن، ثم ولى عمالاً على مكة واليمن والأهواز والبصرة والمدائن، واستفحل خطر حركة أبى السرايا واستعصى على الحسن بن سهل قمعها، فاستنجد بالقائد هرثمة بن أعين الذى تمكن من هزيمة أبى السرايا وحمله على الفرار من الكوفة فى سنة ١٩٩هـ/٨١٥م إلى القادسية، ومن هناك مضى إلى خوزستان وانتهى به الأمر إلى الوقوع فى يد الحسن بن سهل الذى قتله وبعث برأسه إلى المأمون وفى نفس الوقت كانت الثورات تجتاح سائر أقاليم الدولة العباسية لاسيما فى الحجاز واليمن ومصر والشام، ويرجع سبب هذه الثورات إلى تغلب الفضل بن سهل على المأمون" وأنه أنزله قصرا حجبه فيه عن أهل بيته وقواده وأنه يستبد بالأمر دونه فغضب لذلك بنو هاشم ووجوه الناس واجترأوا على الحسن بن سهل وهاجت الفتن فى الأمصار[2].

ومن بين الثورات التى قامت فى عهد المأمون:

١- ثورة عرب مصر وأقباطها سنة ٢١٦هـ/ ٨٢١م:

قامت بالوجه البحرى بسبب تعسف الولاة وتشددهم مع الأقباط والعرب فى جباية الضرائب والجزيات، وقد شملت هذه الثورة كل بلاد الوجه البحرى، واضطر المأمون إلى الخروج بنفسه إلى مصر فى سنة ٢١٣هـ/ ٨١٨م، لتهدئة الأحوال فأقام بها ٤٧ يوماً، والظاهر أن المأمون استخدم العنف فى القضاء على هذه الثورة، وعهد إلى الأفشين بمحاربتهم وخاصة قبط البشرود من أهل الحوف فقتل منهم الأفشين عدداً كبيراً وسباهم فنزلوا على حكم المأمون. واستفتن المأمون فى ذلك فقيهاً مالكياً بمصر يقال له الحارث بن مسكين فقال: "إن كانوا خرجوا لظلم

---

[1] وثبت بالمدينة محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن على ووثب بألبصرة على بن محمد بن جعفر بن محمد ابن على بن على بن الحسن بن على ، وزيد بن موسى بن محمد بن على بن الحسين المعروف بزيد النار لكرة مت أحرق بألبصرة من دور العباسيين وظهر فى اليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسن بن على وفى مكة محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين الذى دعت إليه السبيطية من فرق الشيعة وقامت بإمامته. المسعودى ، ج٣، ص٤٣٩؛ اليعقوبى ، ج٢، ص٤٤٥.

[2] اليعقوبى ، ج٢، ص٤٤٦ وما يليها.

نالهم فلا تحل دماؤهم وأموالهم. فقال المأمون: أنت تيس ومالك أتيس منك وهؤلاء كفار لهم ذمة إذا ظلموا إلى الإمام وليس لهم أن ينتصروا بأسيافهم ولا يسفكوا دماء المسلمين فى ديارهم . "وأخرج المنصور رؤساءهم فحملهم إلى بغداد.

٢- حركة بابك الخرمى:

بدأت هذه الحركة فى سنة ٣٠١هـ/٩١٣م فى الجاويدانية وهم أصحاب جأويدان بن سهل صاحب اليد، وادعى بابك أن روح جاويدان حلت فيه وقال بالتناسخ، واستفحل خطر هذه الحركة الأمر الذى دفع المأمون إلى محاربة بابك فسير إليه فى سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م قائده يحيى بن معاذ ولكنه لم ينجح فى مهمته ثم أعاد المأمون الكرة فى سنة ٢٠٦هـ/٨٢١م، وسير لمحاربة بابك قائده عيسى بن محمد بن أبى خالد، ولكن بابك هزم قوات المأمون ونكبها[١]، وتابع المأمون تسيير قواته لمهاجمة بابك ففى سنة ٢٠٩هـ/٨٢٤م عهد إلى على بن صدقة المعروف برزيق واليه على أرمينية وأذربيجان بمحاربة بابك، ولكن بابك أسر أحد القادة الذين سيرهم رزيق لمحاربته[٢]، وظل أمر بابك يشتد وجموعه تتكاثر حتى آلت الخلافة إلى المعتصم، فتولى قائده الأفشين مطاردته على النحو الذى سنشير إليه فيما بعد.

وعلى الرغم من الفتن والثورات التى ملأت عهد المأمون فإن عهده يعتبر من أزهى عهود الدولة العباسية من الناحية العلمية، فقد اهتم بالمسائل العلمية والفلسفية وشجع على النهضة الفكرية ونشر العلوم فزود دار الحكمة التى كان الرشيد قد أسسها فى بغداد بمختلف أنواع الكتب من الهند وبلاد الروم والفرص حتى أصبحت دار الحكمة أشبه بجامعة علمية تضم دار الكتب، يجتمع فيها شيوخ العصر للترجمة والتأليف والتحصيل كما خصص فيها مواضع للنساخين، وذكروا أنه استخرج كتب الفلاسفة واليونان من جزيرة قبرص[٣]، واطلع على الكثير مما جاء فيها

---

[١] ابن الأثير: الكامل،ج٦، ص ٣٢٨.

[٢] ابن الأثير: الكامل،ج٦، ص ٣٩. أسر بابك القائد أحمد بن الجنيد الاسكافى.

[٣] السيوطى ، ص٣٠٣. وقد اهتم بترجمة هذه الكتب وغيرها من لغاتها إلى العربية واشتغل بذلك حنين بن اسحق وبخيتشوع والحاج بن مطر وثابت بن قرة.

فكان أول من فحص من الخلفاء عن علوم الحكمة وحصل كتبها وأمر بنقلها إلى العربية وشهرها وحل إقليدس ونظر فى علوم الأوائل، وتكلم فى الطب وقرب أهل الحكمة[١]، وجره ذلك إلى القول بخلق القرآن[٢]، وامتحان القضاة والشهود والمحدثين بالقرآن فمن أقر أنه مخلوق محدث خلى سبيله، ومن أبى أعلمه به ليأمره فيه برأيه، وممن امتحنهم فى ذلك الإمام أحمد بن حنبل الذى أصر على أن القرآن كلام الله، فأمر به فشد فى الحديد، ثم أمر به فأرسل إلى طرسون مع جماعة ممن خالفوا المأمون فى مقالته[٣].

وكان المأمون يحب لعب الشطرنج ويولع به وكان يبرر ذلك بقوله "هذا يشحذ الذهن" واقترح فيها أشياء وكان يقول: "لا أسمعن أحد يقول تعالى حتى نلعب، ولكن يقول: نتدوال أن نتناقل[٤].

وكان المأمون يشترك فى المناظرات فى الفقه، فأوجد مجالس المناظرة، وكان يجلس لذلك يوم الثلاثاء من كل أسبوع وكانت المناظرة تناول المسائل الكلامية وتجرى داخل غرفة مفروشة، وجرت العادة أن يبدأ المأمون مع من يناظره من الفقهاء بتناول الطعام والشراب، فإن فرغوا بخروا بالمجامر وطيبوا ثم يبدأ فى مناظرتهم إلى أن تغرب الشمس ثم تنصب الموائد ثانية فيطعمون وينصرفون[٥].

---

[١] ابن طباطبا ، ص١٩٨.

[٢] السيوطى ، ص٢٨٤. أيد المعتزلة فيما ذهبوا إليه من القول بأن القرآن مخلوق.

[٣] ابن الأثير: الكامل،ج٥، ص ٤٢٧.

[٤] المسعودى ، ج٣، ص٤٣٢؛ السيوطى ، ص٣٠٣.

[٥] ابن طباطبا ، ص١٩٧؛ السيوطى ص٢٨٤.

وقد أجمع المؤرخون على أن المأمون كان أفضل رجال بنى العباس حزماً وعزماً وحلماً ورأياً ودهاءً وهيبة وشجاعة، وأنه لم يل الخلافة من بنى العباس أعلم منه.

وفى عهد المأمون قامت فى الدولة البيزنطية ثورة يتزعمها الصقلى ضد الإمبراطور البيزنطى ميشيل الثانى العمورى فى سنة ٢٠١هـ /٨٢١م كادت تطيح بعرض الإمبراطور، وقد أيد المأمون ثورة توماس، وأمدها بقوة إسلامية مقابل أن يتنازل له توماس بعد أن يتحقق هدفه عن بعض الحصون البيزنطية، ولكن ثورة توماس فشلت بعد عامين في سنة ٨٢٣م.

٨- أبو اسحق محمد المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م).

هو ابن الرشيد من ماردة أم ولده التركية بويع له بعد وفاة أخيه المأمون وهو فى غزوته الأخيرة إلى بلاد البيزنطيين فى رجب سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م، وقد سار المعتصم على سياسة أخيه فى حمل الناس على القول بخلق القرآن فأهان ابن حنبل إهانة بالغة، فقد أحضره أول خلافته وامتحنه بالقرآن، فلم يجب إلى القول بخلقه فأمر به فجلد جلداً شديداً حتى غشى عليه وتقطع جلده وحبس مقيداً[١]، كذلك تشدد المعتصم مع العلويين فتخلص من الإمام محمد الجواد بن على الرضا بن موسى فى ٥ من ذى الحجة سنة ٢١٩هـ/ ٨٣٤م، فقد قيل أن أم الفضل بنت المأمون سمته لما قدمت معه من المدينة إلى المعتصم[٢]، كذلك قبض على محمد بن القاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين العلوى فسجنه فى أزج اتخذه فى بستان بمدينة سر من رأى، ثم دس له السم فمات[٣]، وإن كان فريق من الزيدية اعتقدوا أنه مهدى هذه الأمة[٤].

كان المعتصم شجاعاً قوياً من أشد الناس بطشاً، وكان قائداً موفقاً فى حروبه، لقد استحق لقب الخليفة القائد، وهو أول من أدخل الأتراك فى الديوان، وكان يتشبه بملوك الأعاجم ويمشى مشيتهم، واعتمد المعتصم على الأتراك اعتماداً كلياً فى الجيش[١]، وأسقط العرب من ديوان

---

[١] ابن الأثير: الكامل،ج٥، ص ٤٤٥.

[٢] المسعودى ،ج٣، ص٤٦٤.

[٣] المسعودى ج٣، ص٤٦٥.

[٤] المسعودى ج٣، ص٤٦٠؛ السيوطى ٣١٠.

العطاء، وأهمل الفرس فقويت شوكة الأتراك، وارتكبوا الكثير من أعمال الشغب ببغداد مما أثار عليهم العامة[٢]،

مدينة سامراء (٢٢١هـ):

اضطر المعتصم إلى تأسيس مدينة تتسع لجنده الأتراك فأسس مدينة سامراء فى سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٦م[٣]، وانتهى من بنائها فى ٢٢٣هـ/٨٣٧م، وأقام فيها مسجداً جامعاً، وأفرد سوقاً لأرباب الحرف والصناعات، ونقل اليها الأشجار والثمار وأقام القصور العظيمة التى بلغ عددها سبعة عشر قصراً.

ذكر المقدسي أن مدينة سامراء كانت حصِر عظيماً ومستقر الخلفاء في القديم اختطها المعتصم وزاد فيها بعده المتوكل حتي صارت مرحله وكانت عجيبة حسنة حتي سميت سرور من رأي ثم اختصر فقيل سرمري ، وبها جامع كبير كان يختار علي جامع دمشق قد ليست حيطانه بالمينا وجعلت فيه اساطين الرخام وفرش به وله منارة طويلة وأمور متقنة.

ويعد جامع سامراء آيه من آيات الفن المعماري الإسلامي ويتميز بأنه لم يهدم ولم يتم توسعته منذ نشأته وهو من أكبر المساجد ، كما أنه مشهور بمأذنته الملوية المتميزة بشكلها الحلزوني وارتفاعها الشاهق

موقعها:

كانت سامراء تقع بين بغداد و تكريت علي الجانب الشرقي لنهر دجلة ، وهي تبعد عن بغداد بثلاثين فرسخاً.

سبب بناء سامراء رتاريخ بنائها:

---

[١] المسعودى ج٣، ص٤٦٥.

[٢] المسعودى ج٣، ص٤٦٠.

[٣] ذكر المسعودى أنه كان يحب جمع الأتراك وشراءهم من أيدى مواليهم فاجتمع له منهم ٤ آلاف فألبسهم أنواع الديباج والمناطق المذهبة ، وميزهم فى الزى عن سائر جنوده وكان قد اصطنع قوماً من حوف مصر فسماهم المغاربة واستكثر من الفراغنة والأشروسية: المسعودى ج٣، ص٤٦٥.

وقع اختيار الخيفة المعتصم علي موقع سامراء ليقيم عليها المدينة ليسكنها هو وجنده وحاشيته وخواصه حتي يحول دون تفاقم الفتن بين جنده الأتراك والمجلوبين من أواسط أسيا من ناحية وبين أهالي بغداد من ناحية أخري.

وحالما كان ينشب من مصادمات بين الطرفين تراق فيها الدماء وتزهق فيها الأرواح .

بدأ بناء مدينة سامراء سنة ٢٢١هـ/٨٣٦م وعمرت وزاد عمرانها واتسعت رقعتها حتي بلغت مساحتها حوالي ٢٠ كم ووصل عرضها علي ضفة نهر دجلة نحو ٥ كم.

وفى عهد المعتصم ازداد خطر بابك الخرمى الذى لاذ بالأقاليم الجبلية الشمالية الشرقية منذ سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٦م ، ولكن المعتصم وضع كل إمكاناته العسكرية للقضاء عليه، وعهد بهذه المهمة إلى قائده الأفشين الذى نجح فى القبض عليه وسيره إلى الخليفة بسامراء حيث قتل شر قتلة فى سنة ٢٢٣هـ/ ٨٣٧م [١].

والمعتصم هو بطل عمورية ففى عهده ساءت العلاقات بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية، وكان الإمبراطور البيزنطى تيوفيل بن ميشيل العمورى يعين بابك الخرمى بمعونات عسكرية انتقاماً لما فعل العباسيون زمن المأمون من مساعدتهم لتوماس الصقلى، فقد أغار البيزنطيون فى سنة ٢٢٣هـ/ ٨٣٧م على مدينة زبطرة وفتحوها بالسيف، ثم أغاروا على ملطية وقتلوا ونهبوا وسبوا فاستنفر المعتصم قواته وسار على رأس جيش ضخم يقوده الأفشين وأشناس، وتمكن من هزيمة الإمبراطور البيزنطى فى أنقره، ثم حاصر عمورية ودخلها بالسيف وتركها أربعة أيام نهباً للسلب والتدمير وأراد المسيرة إلى القسطنطينية ومحاصرتها براً وبحراً فبلغه عزم العباس بن المأمون على الخروج عليه ومكاتبة الإمبراطور البيزنطى فعجل المعتصم فى مسيره وقبض على العباس وأنصاره وفى نبج منع عنه الماء فمات بها[٢].

---

[١] التفاصيل فى: اليعقوبى، ج٢، ص٤٧٤؛ المسعودى، ج٣، ص٤٧٠؛ ابن الأثير، ج٦، ص٤٧٨.

[٢] اليعقوبى ، ج٢، ص٤٧٦؛ ابن الأثير: الكامل،ج٦، ص ٤٩١-٤٩٢.

حركة المبرقع:

وفى أيام المعتصم أيضاً خرج أبو حرب المبرقع اليمانى بفلسطين سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م ، ويرجع السبب فى ثورته إلى أن بعض الجند اعتدوا على إحدى نسائه بالسوط فأصابها إصابة دامية فغضب وقتل الجندى ثم هرب، وألبس وجهه برقعاً ودعا إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ورغم أنه أموى فسمي بالسفيانى فلما كثر أتباعه وانضم إليه جمع من رؤساء اليمنية خاف المعتصم أن يستفحل أمره فسير إليه رجاء بن أيوب الحضارى فى نحو ١٠٠ ألف مقاتل فرآه رجاء فى حشود هائلة فكره مواقعته وعسكر تجاهه وكان الوقت أوان الزراعة فانصرف من كان مع المبرقع إلى عملهم وبقى فى نحو ألف أو ألفين.

وتوفى المعتصم فى هذه الأثناء، وولى الواثق واتفق أن ثار القيسية بدمشق أيضاً، فأمر الواثق القائد رجاء بالشروع فى إخماد فتنة دمشق والعودة بعد ذلك إلى المبرقع، ولكن المبرقع وقع أسيراً فى يد رجاء فأرسل إلى سامراء[١].

٩- هارون الواثق بالله (٢٢٧-٢٣٢ هـ / ٨٤٢-٨٤٧م).

هو أبوجعفر الواثق بالله هارون بن المعتصم وأمه أم ولد رومية اسمها قراطيس، وكان الواثق يشارك أباه المعتصم فى ميوله وآرائه الفلسفية فتشدد مع الفقهاء، وألزمهم باعتناق آرائه، وانتصر للمعتزلة، وقد أثار بهذه السياسة مشاعر أهل بغداد فسخطوا عليه، وأنكروا القول بخلق القرآن، وتزعم هذه الحركة أحمد بن نصر الخزاعى فى سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥م ، ولكن الواثق وصل إلى القبض على زعماء الحركة أحمد بن نصر الخزاعى فى سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥م ، ولكن الواثق توصل إلى القبض على زعماء الحركة، وجلس لهم مجلساً عاماً فيه أحمد بن أبى دؤاد قاضى القضاة، وناظر أحمد بن نصر فى مشكلة خلق القرآن فأنكر عليه ابن نصر ذلك فقام إلى سيف يقال له الصمصامة وضربه على رقبته ثم طعنه بطرف سيفه فى بطنه، وأمر بصلب رأسه عند باب

---

[١] ابن الأثير: الكامل،ج٦، ص ٥٢٢-٥٢٣.

الخرمى ببغداد[1]،وبوفاة الواثق فى سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م ينتهى خلفاء العصر العباسى الأول.

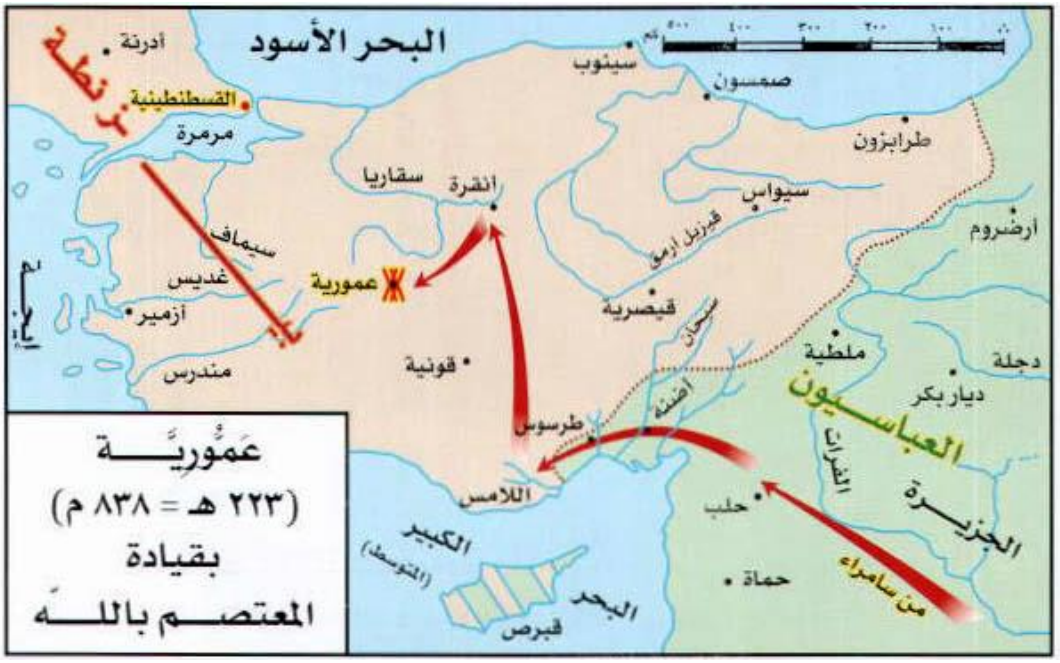

خريطة توضح فتح عمورية بقيادة الخليفة المعتصم [2]

(١) ابن الأثير: الكامل،ج٧، ص ٢٢ ، السيوطى ، ص٣١٥.

[2] شوقى ضيف : أطلس التاريخ العربى الإسلامى ، ص١٠٠.

<u>الدولة الإسلامية حتى نهاية العصر العباسي الأول</u> (١)

---

(١) حسين مؤنس : أطلس التاريخ الإسلامي ص١٤٦

العصر العباسى الثانى

ازدياد نفوذ الأتراك
الدول الإسلامية المستقلة فى الشرق وعلاقتها بالخلافة العباسية
الدولة الطاهرية
الدولة الصفارية
الدولة السامانية
الدولة الغزنوية .
الدول الإسلامية المستقلة فى الغرب وعلاقتها بالخلافة العباسية
ظهور السلاجقة وازدياد نفوذهم فى الدولة العباسية
الخوارزميون والمغول
سقوط بغداد وانهيار الخلافة العباسية

الدول الإسلامية المستقلة فى الشرق وعلاقتها بالخلافة العباسية

لقد كان للعنصر التركي والعنصر الفارسي دور كبير في تأسيس الدويلات المستقلة عن الخلافة العباسية ، وكان تغلغل الترك ظاهرًا في الدولة العباسية زمن الخليفة العباسي المُعتصم بالله ، لقد عملوا على توطين العنصر التركي في الدولة العباسية وتسليمهم المناصب العليا في الدولة العباسية ، ولقد لعب عنصر البعد الجغرافي عن حواضر الخلافة الإسلامية المتعاقبة دورا كبيرا في جعل مناطق المشرق مكانا يلجأ اليه الناقمين على الخلافة طلبا للامان وهربا من بطش الخلفاء .

الدويلات المستقلة تقسم أيضًا إلى قسمين ، كان القسم الأول يعترف بالخلافة العباسية بشكلٍ اسمي تصبح البلاد فيه تابعة للخلافة اسمًا (فقط) بحيث تستمد منها مكانتها الروحية ،امّا القسم الثاني فقد انفصل كليًا عن الخلافة العباسية دون الاعتراف بالخليفة العباسي ، وهذه الدويلات المستقلة عن الدولة العباسية توزعت في مناطق جغرافية متعددة من العالم الإسلامى ، وقامت في المشرق الإسلامي دول انفصالية منها الدولة الطاهرية (٢٠٥ . ٢٥٩هـ) ، والدولة الصفارية (٢٥٤. ٢٩٨هـ) ، والدولة السامانية (٢٦١. ٣٨٩هـ). وكذلك زادت الدول المستقلة ، في مغرب الدولة الإسلامية وخاصة في مصر ، مثل: الدولة الطولونية (٢٥٤. ٢٩٢هـ) ، والدولة الإخشيدية (٣٢٣ـ ٣٥٨هـ) ، والدولة الفاطمية في بلاد المغرب ومصر (٢٩٧ـ ٥٦٧هـ) . وظهرت دول أيضًا في وسط الدول الإسلامية فقد قامت الدولة الحمدانية في الموصل (٣١٧ـ ٣٨٠هـ) وفي حلب (٣٣٣. ٣٩٤هـ)..

والسبب لقيام الدويلات المستقلة في المشرق هو الضعف الذى بدأ يدب في أركان الخلافة العباسية ، بالإضافة إلى سيطرة العنصر التركى عليها ،وهروب العديد من افراد البيت العلوي ومؤيديهم منذ العصر الاموي إلى تلك المنطقة من المشرق الإسلامي امثال زيد بن علي وابنه يحيى . وبالتالي اثرت هذه الاحوال المتردية في الولايات التابعة للدولة العباسية وهو ما ادى

لظهور حركات جعلت من ابرز برامجها اصلاح احوال الدولة الاقتصادية او الخروج على الدولة والاستئثار باموال الولايات التي يحكمونها طالما ان الدولة ضعيفة وعاجزة عن تسيير الجيوش ، وذلك فى الوقت الذى برز العديد من القادة اصحاب الطموح للسيطرة على المناطق التي يديرونها واستخلاصها من الدولة لانفسهم .

فيما يلى نذكر هذه الدول والإمارات التى انفصلت عن دولة الخلافة العباسية (استقلال كامل – ودول استقلت عن الدولة العباسية استقلال جزئى محتفظة بالولاء الروحى وهى:

الإمارة الأموية فى الأندلس

الدول فى بلاد المغرب (الدولة الرستمية ، دولة الأدارسة، دولة الأغالبة)

الدول فى بلاد الشرق : (الدولة الطاهرية، الدولة الصفارية، الدولة السامانية، الدولة الغزنوية)

٤ – الدول فى مصر والشام : (الدولة الطولونية ،الدولة الإخشيدية، الدولة الحمدانية، الدولة الفاطمية، الدولة الأيوبية، الدولة المملوكي.)

الدويلات المستقلة فى المشرق الإسلامى

الدولة الطاهرية : ٢٠٥–٢٥٩هـ / ٨٢٠–٧٨٢ م

الدولة الطاهرية دولة اسلامية فارسية . وهي اول دولة مستقلة او شبه مستقلة عن الدولة العباسية في المشرق قامت الدولة الطاهرية في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي في سنة ٢٠٥هـ واستمر وجودها حتى سنة ٢٥٩هـ، اختلف المؤرخون حول نسب الطاهريين ولكنهم اجمعوا على اصلهم الفارسي ،– يطلق على الطاهريين اسم (الخزاعيين) نسبةإلى جدهم مصعب بن زريق الذى اشترك في الدعوة العباسية وانظم الى ابي مسلم الخراساني . وكانت مهمته قراءة كتب الامام الى رجال الدعوة في خراسان .

مؤسس الدولة : – تنسب الدولة الطاهرية الى الى قائد المأمون طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق ، كان طاهر بن الحسين وصل الى حكم (فوشنج) بعد وفاة عمه طلحة بن زريق . وكان

يحكمها نيابة عن المأمون خلال ولاية المأمون على خراسان ، كان للجهود التي بذلها طاهر بن الحسين في تحقيق الانتصار النهائي على جيوش الخليفة الامين ووصول المأمون الى الخلافة ان ارتفع شانه عند المأمون فأكرمه المأمون واسند له ولاية الجزيرة وولاية الشرطة في بغداد ، ولم يقتنع طاهر بن الحسين بما ولاه المأمون وكان يطمع بولاية خراسان وقد حصل عليها بالفعل بعد ان قلده اياها المأمون سنة ٢٠٥هـ ولم يكتف بذلك بل قلده جميع البلاد الواقعة شرق بغداد ، عمل طاهر على توطيد نفوذه في خراسان واتخذ من مدينة نيسابور عاصمة له ، استمر الطاهريون يدفعون خراج سنوي لخزانة الدولة طوال مدة حكمهم ، اسند العباسيون للطاهريين مناصب عليا في الدولة وعلى رأسها ولاية الشرطة في بغداد والتي اصبحت وراثة في اسرة ال طاهر سقطت الدولة الطاهرية على يد يعقوب بن الليث الصفاري،حيث دخل خراسان واستولى على نيسابور سنة ٢٥٩هـ.

خريطة توضح الدولة الطاهرية [١]

[١] شوقى ضيف : أطلس التاريخ العربى الإسلامى، ص ٥٢.

الدولة الصفارية

٢٤٥-٢٩٠هـ/ ٨٦٧-٩٠٣م.

هي دولة فارسية اسلامية ظهرت في المشرق الاسلامي وهي سنية المذهب ،دام حكمها ٤١سنة،قامت في سجستان (التي كانت خاضعة للطاهريين بتفويض من الخلافة العباسية)

والذي ساعد على قيام الدولة الصفارية هو سوء معاملة عمال الطاهريين للأهالي ، بالإضافة إلى الضرائب الباهظة التي فرضها الطاهريون واستيلائهم على ممتلكات الاهالي .

بدا يعقوب بن الليث بالظهور الى مسرح الاحداث في عهد الخليفة الواثق ٢٢٧-٢٣٢هـ. حيث كان عبد الله بن طاهر واليا على خراسان وسجستان .

- كان يعقوب أحد العيارين الذين دعاهم صالح بن النظر واستعان بهم للاستيلاء على مدينة بست . وكان في صغره يعمل صفارا باجر ١٥ درهم .

- أعجب به صالح بن النظر الكناني حاكم بست وجعله نائبا عنه وكلفه بقتال زعيم الخوارج في سجستان فهزمه يعقوب،ودب الخلاف بين صالح بن النظر ويعقوب بن الليث فانشق يعقوب عن صالح وهو ما اضعف جيش صالح وادى الى هزيمته على يد طاهر بن عبد الله بن طاهر ومقتله ، تولى يعقوب ولاية بست وعندما قتل صالح بن النظر تولى بعده شخص لا يحمل من الكفاءة القدر الذي يؤهله للإدارة وهو درهم بن الحسين مما جعل اتباعه يعزلونه ويقوموا بتولية يعقوب بن الليث بدلا عنه ،- بدا يعقوب في توسيع حدود ولايته حيث تجاوزت حدود سجستان بدا من ٢٥٣هـ،وعمل على توسيع حدود مملكته على حساب الطاهريين في خراسان

- تمكن يعقوب من دخول نيسابور عاصمة الطاهريين سنة ٢٥٩هـ وقبض على افراد البيت الطاهري .

وراوحت العلاقة بين الود والعداء وكانت تقوم على المصالح الخاصة لكلا الطرفين في بداية تأسيسها حظيت الدولة الصفارية باحترام الخلافة لأنه اظهر الالتزام والطاعة للخلافة ، استخدم يعقوب اسلوب المداهنة مع الخلفاء الذين عاصروه وحاول التقرب اليهم للوصول الى احلامه . حيث كان يرسل الهدايا الثمينة للخلافة وطلب من الخليفة استلام فارس .

وفى النهاية تمكن السامانيون من انهاء دولة الصفاريين سنة ٢٩٨هـ

الدولة السامانية ٢٦١– ٣٨٩هـ

- قامت في خراسان وما وراء النهر ، تنسب الى سامان كبير الاسرة السامانية / وهو فارسي الاصل ينحدر من اسرة بهرام جوبين ، سبب تسمية سامان بهذا الاسم (لانه بنى قرية وسماها سامان) ويرى اخرون انها مكونة من كلمتين سامان وخداة بمعنى (حاكم سامان)

– اغلب الاراء تشير الى نسبهم الفارسي وليس التركي بدليل خوضهم حروبا طاحنة مع الاتراك والذين كانوا يشنون غزوات متتالية على حدود دولتهم ، وكذلك فهم من مدينة بلخ الفارسية / كما بذلوا جهودا كبيرة في احياء الشعر الفارسي .

قام اسد بن سامان باعمار مدينة بلخ موطن الاسرة السامانية بعد ان دمرت اثر هجمات الاتراك عليها .ونقل لها معسكره من برقان وجعلها مقر اقامته ليتمكن من قتال الاتراك والدهاقين بعد ان تولى المامون الخلافة اسند ولاية خراسان الى غسان بن عباد وامره بان يولي ابناء اسد بن سامان على مدن خراسان فاسند اليهم ولاية سمرقند الى نوح بن اسد وولاية اشروسنة الى يحيى بن اسد وهراة الى الياس بن اسد واستطاع كل منهم ضبط ولايته على اكمل وجه وقد اعجبت الدولة العباسية بحسن ادارتهم وطاعتهم .وحفاظهم على ممتلكات الدولة في المشرق .

بعد ان توفي احمد بن اسد والي فرغانة والشاش كان له سبعة من الاولاد وقد خلفه على ولاية سمرقند ابنه نصر ، وبقي واليا عليها طوال حكم الطاهريين حتى سقوط دولتهم على يد الصفاريين سنة ٢٥٩هـ ، ثم اصدر الخليفة العباسي المعتمد امره بتولية نصر بن احمد اميرا على بلاد ما

وراء النهر عام ٢٦١هـ / ٨٧٤م وبذلك دخلت الاسرة السامانية عهدا جديدا من تاريخها . اتخذ السامانيين مدينة سمرقند عاصمة لهم ،– كان نصر بن احمد مستقلا بدولته لكنه يخضع لسلطان الخلافة العباسية الروحي ويتبع مباشرة الحكم المركزي في بغداد بعد ان كان تابعا لولاية خراسان ، تميزت العلاقات بين الخلافة والسامانيين بالحسنة وخاصة في الفترة التي مرت فيها الخلافة بالضعف . وسبب ذلك ان الدولة العباسية في ظل ظروفها الصعبة والقاسية وطمع بعض الدويلات باملاكها وجدت في الدولة السامانية في بلاد ما وراء النهر منقذا وحيدا لاملاكها من اطماع الصفاريين والزيديين واعتبرتها حليف لها بعد سقوط الدولة الطاهرية . ووجد حكام الاسرة السامانية كل الدعم والمساندة من قبل الخلافة العباسية حتى قامت هذه الدولة، و اسندت الخلافة للسامانيين مهمة الدفاع عن ممتلكاتها في المشرق الاسلامي . اعتمد العباسيون على اسماعيل الساماني ومن ثم ابنه احمد بن اسماعيل في تثبيت سيادتها في الشرق وتمكن اسماعيل من ازالة الدولة الصفارية بعد عجز الخلافة عن ذلك، و ادى ضعف الدولة العباسية الى معاناة الدولة السامانية من المتاعب بسبب تصديها للاخطار التي كانت تحيط بها دون مساعدة او مؤازرة من الخلافة العباسية . ورغم ذلك استمرت على طاعتها والوفاء بالتزاماتها تجاه الخلافة حتى تمكن البويهيون من السيطرة على مركز الخلافة ،وعمل البويهيون على قطع اية صلة تربط بين السامانيين والخلافة العباسية . وتحريض الخلافة ضد السامانيين وتشجيع خصومهم .

وأجبر البويهيين الخلفاء على منحهم الولايات التي كانت تابعة للسامانيين وتوقفت الخلافة العباسية عن تعيين الولاة السامانيين على الولايات التابعة لها . كما وقفت الخلافة موقفا سلبيا من الاخطار التي كانت تتعرض لها ممتلكات الدولة السامانية من الدولة المجاورة لها . وهو ما ادى الى زوال سلطة السامانيين عن المناطق الهامة في المشرق . وتوزعت املاكها بين عدة دول منها الغزنوية والبويهية والخانية .

وفى النهاية تمكن محمود الغزنوي زعيم الدولة الغزنوية من مهاجمة خراسان وضمها الى املاكه كما تمكن القائد بغراخان من احتلال بخارى ٣٨٣هـ دون مقاومة واستولى على املاك السامانيين

. الدول الإسلامية المستقلة فى الغرب وعلاقتها بالخلافة العباسية

تمكن الخوارج من اقامة بعض الدول فى بلاد المغرب الإسلامى بالمغرب العربي ، والذي ساعدهم على ذلك أن بلاد المغرب كانت مهيأة لذلك بسبب سوء سياسة الولاة الأمويين وانعدام العدل والمساواة فبثوا دعاتهم الى لبلاد المغرب . وأول اماراتهم:-

ثانيا دولة بني رستم الاباضية (١٦١- ٢٩٦ هـ /٧٧٧- ٩٠٨م)

أمراء الدولة :

(١) عبد الرحمن بن رستم (١٦١- ١٦٨هـ /٧٧٦ ٧٨٤م)

(٢) عبد الوهاب بن الرحمن (١٦٨- ١٩٨ هـ /٧٨٤ ٨١٤م)

(٣)الأفلح بن عبد الوهاب (١٩٨- ٢٤٧هـ/. ٨١٤ – ٨٦١م)

(٤) أبو بكر بن الأفلح (٢٤٧- ٢٦٠هـ/ ٨٦١- ٨٧٣م)

(٥) محمد بن الأفلح (أبو اليقظان) (٢٦٠- ٢٨١ هـ/ ٨٧٣ -٨٩٤م)

(٦) يوسف بن محمد (أبوحاتم) (٢٨١- ٢٩٤ هـ/ ٨٩٤- ٩٠٧م)

(٧) يعقوب بن الأفلح (٢٩٤- ٢٩٦ هـ/ ٩٠٧- ٩٠٨م)

تنسب دولة بني رستم إلى عبد الرحمن بن بهرام بن رستم الفارسي مؤسس هذه الدولة وكان أبوه بهرام من موالى الخليفة عثمان بن عفان (٢٣-٥٣هـ) وعندما مات بهرام تزوجت أرملته والدة عبد الرحمن من أحد الحجاج المغاربة الذي اصطحبه إلى بلاد المغرب ،وقد تلقى عبد الرحمن مذهب الخوارج الإباضية وتربى في القيروان ثم ذهب إلى البصرة لتلقى مذهب الخوارج الإباضية هناك .

وعاد الى المغرب ونزل بالقيروان في محاولة لجمع شمل الخوارج الإباضية ولكن أهلها ثاروا على الخوارج أضطر عبد يتوجهوا هاربين نحو المغرب الأوسط حيث بعض القبائل البربرية التي تدين بالمذهب الإباضي واتجه عبد الرحمن الى تاهرت القديمة وفيها قبائل هوارة ولواتة ومكناسة واغلبهم اباضية ،وقد اختار عبد الرحمن منطقة تاهرت لإقامة دولتهم وذلك لأنها منطقة داخلية .

وبويع لعبد الرحمن بن رستم بالإمامة في عام ١٦٠هـ / ٧٧٦م ، ووقع الاختيار على منطقة تاهرت لموقعها الجبلي وتوفر العصية البربرية البترية التي تدين بالمذهب الإباضي وغنى الموقع بالماء والمراعي . وكما هي العادة في بناء المدن الإسلامية ، فقد بدى» بتخطيط المسجد الجامع وتلى ذلك بناء القصور والبيوت والأسواق والحمامات والفنادق . وقد أجمع مشايخ الإباضية على اختيار عبد الرحمن لتدينه وصفاته الحميدة ، وشرع بعد بيعته في العمل على توطيد حكمه وإرساء أركان دولته وأولى النواحي الاقتصادية والعمرانية اهتماماً كبيراً بعد أن هادن الخلافة العباسية وبنى مدرار ، فتذكر المصادر جهوده الزراعية في مجال زراعة البساتين وشق القنوات وإقامة المطاحن، كما زاد في تعمير تاهرت وأقام الفنادق والمباني التجارية والأسواق فكانت مركزاً تجاريا لتجار فارس والعراق والمغرب وبلاد السودان وقد اشتهر عبد الرحمن بإقرار العدالة في توزيع الأموال والأرزاق بين أبناء دولته وكان يعاونه في الحكم : القضاة ويمثلون الطبقة ويتلوهم أصحاب الشرطة الذين يمثلون نواب القاضي من المحتسبين المشرفين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأسواق والقبائل وبعدهم تأتى طبقة العمال من جباة الأموال المعروفين بالطوافين وبعد توزيع الطعام ورواتب عمال الصدقة السنوية من الزكاة كان على أعوان الإمام أن

يوزعوا الأموال على الفقراء والمساكين كما كان عبد الرحمن يقوم بكسوة أبناء دولته بالأكسية الصوفية وملابس الفرو وتوزع على أهل كل بيت حسب حاجته وحسبما تسمح به الأحوال .

أما الإمام وأعوانه من الحشم والقضاة وأصحاب الشرطة وسائر معاونيه فكانت أرزاقهم السنوية تقتطع من مال الجزية وخراج الأرض حيث كان من رعاية دولة بني ستم يهود ونصارى وباقى المال يصرف في مصالح المسلمين فيما يخص المرافق العامة كالمساجد والمصليات ودور العلم والضيافة والحمامات أو شراء السلاح والخيل أو تحصين العاصمة وتوسيع أسوارها .

وعندما إطمأن عبد الرحمن إلى سلامة دولته من الأخطار الخارجية ولكي يضمن إستمرار هذا الاستقرار أوصى قبل وفاته بتعيين مجلس شورى يختار إمام الدولة من بين أعضائه وقد اضطربت أحوال الدولة الرستمية بعد وفاة عبد الرحمن بن رستم في عام ١٦٨هـ . فامتلأت بالفتن السياسية والانشقاقات المذهبية والصراع العنصرى وعلى ذلك مرت الدولة بثلاثة مراحل :

–المرحلة الأولى وتشمل عهدي عبد الوهاب بن رستم وابنه أفلح وتمثل هذه المرحلة قوة الدولة وقدرتها على إحباط الحركات المناهضة ضد الإماميةالإباضية.

–والمرحلة الثانية فتشمل عهدي أبي بكر بن أفلح وأخيه أبي اليقظان محمد وتتميز بالصراع العنصرى والقبلي وفيها ضعفت الإمامة ونجحت بعض العناصر في اغتصاب السلطة في تاهرت

–وتقسم المرحلة الثالثة والأخيرة والتي تشتمل عهدي أبي حاتم يوسف بن محمد واليقظان بن أبي اليقظان بتداعى الدولة وتحكم عامة تاهرت في تعيين الأئمة وعزلهم وطمع الطوائف والفرق غير الإباضية في إنهاء الحكم الرستمي الإباضي وخروج الأقاليم الشرقية عن العاصمة كما تفاقمت الخلافات داخل البيت الرستمى نفسه للاستيلاء على الحكم وقد تضافرت هذه العوامل جميعها على سقوط دولة بني رستم في عام ٢٩٧ هـ / ٩٠٩م .

وتناولاً لبعض هذه العوامل فنجد أن الصراع القبلي والعنصري والذي ميز المرحلة الثانية (٢٥٨ – ٢٨١ هـ / ٧٨٨ – ٨٩٥م) قد بدت بوادره على عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم حيث تمردت بعض القبائل البربرية ، فقد ضمت الدولة الرستمية بائل متعددة من البربر مثل قبائل : هوارة ونفوسة ولواته وسدراتة وغيرها ، فضلاً عن عناصر مختلفة من الفرس والعرب والجند الإفريقي .

وقد ساعدت فترة الهدوء الطويلة التي عاشت بها الدولة في فترة حكم أفلح بن عبد الوهاب (١٩٨ – ٢٤٧هـ) على أحداث تحول خطير في أحوال هذه العناصر والقوى المختلفة . فالقبائل البدوية البربرية كانت تعيش حول تاهرت وفضلت حياة الاستقرار والاشتغال بالزراعة والتجارة وجئت من وراء ثروة طائلة . وبلغت العناصر الفارسية في الدولة الرستمية شأنا كبيراً لأن الأئمة الرستعيين كانوا من أصل فارسي لذا وكل إليهم قيادة الجيوش والمناصب العليا فضلاً عن سيطرتهم على النواحي التجارية والثقافية

كما وفدت على تاهرت جموع من العرب والجند الأفريقي بعد فشل ثوراتهم على الأمراء الأغالبة فأقيلوا على سكنى تاهرت هرباً من بطش هؤلاء الأمراء من ناحية وطمعا في الثراء عن طريق الاشتغال بالتجارة التي ازدهرت في عاصمة الرستميين من ناحية أخرى

لذا نجد أن القتال ينشب بين العرب والبربر وبين البربر وبعضهم البعض مما يؤدى إلى تناحر قبلي وصراع عنصري ، يؤدي إلى إنهيار هيبة الأئمة وإضعاف مكانة الإمامة حيث أصبح تنصيب الأئمة وعزلهم لعبة في أيدي عامة المدينة وهو ما يميز المرحلة الثالثة من تاريخ دولة بني رستم (٢٨١ – ٢٩٧هـ / ٨٩٥ – ٩٠٩م) ، فقد استغلت الطوائف الدينية والمذهبية تلك الظروف لاغتصاب الحكم في تاهرت فعمدت إلى التدخل في النزاع بين أفراد البيت الرستمي وإذكاء الخصومة بين المتنازعين منهم على منصب الإمامة ومن المرجح أن هذه الطوائف قد تحالفت مع قوى خارجية كالعباسيين والأغالبة والأدارسة والشيعة الفاطميين لإسقاط دولة بني رستم ، ومن هذه الطوائف فرق الخوارج الصفرية التي كانت تعيش في كنف الدولة الرستمية ،

كما كانت تعيش فرق المعتزلة وتواجد كثير من معتنقى مذهب المالكية السني في تاهرت نفسها كما كان للمذهب الشيعي أنصاره في العاصمة ،وقد علا شأن هذه الطوائف والفرق في تاهرت أواخر العصر الرستمي بسبب ضعف العصبيات القبلية والعنصرية نتيجة للصراع بينهما ويسبب سياسة التسامح التي اتبعها أبو اليقظان محمد في أواخر سنوات حكمه مع أتباع هذه المذاهب والفرق .

وكانت علاقات دولة بني رستتم الخارجية تتأرجح بين العداء والصداقة ففيما يخص العداء فقد ناصبت الدولة الرستمية العداء مع الخلافة العباسية نظراً للخلاف المذهبي والسياسي ، وقد وجد إباضية المغرب في دولة بني رستم ملاذاً حصيناً من خطر ولاة العباسيين في القيروان ، وتذكر المصادر أن عبد الرحمن بن رستم قد أرسل إلى روح بن حاتم – والى افريقية – يطلب الهدنة منه للتفرغ لبناء دولته واستمرت سياسة تحاشي الصدام بين أئمة تاهرت وأمراء القيروان قائمة حتى عام ١٨٤هـ / ٨٠٠م حيث قامت دولة الأغالبة في إفريقية والتي تعتبر وريثة العباء مبين في عدائها للدول المستقلة ببلاد المغرب ومن بينها دولة بني رستم .

كذلك رحب العباسيون بالثوار الخارجين على بني رستم وتعاون العباسيون معهم على إسقاط الحكم الرستمي في تاهرت ، وقد اتضح تأمر العباسيين على إسقاط إمامة تاهرت في المرحلة الثالثة والأخيرة من العصر الرستمي ، حيث لعبت طائفة الكوفيين دورا بارزا في مناهضة الإمامة الرستمية في ذلك الحين وتواطات مع زعماء العامة في العاصمة الرستمية تاهرت لإقصاء أبي حاتم يوسف عن السلطة وطرده خارج المدينة وبالتبعية كانت العلاقة بين بني رستم والأغالبة – السنة – علاقة عدائية ، فقد فرضت الظروف الجغرافية على الدولتين أن تتخذ العلاقات بينهما شكلا عدوانيا فكان لابد من الصدام والاشتباك المسلح بين الطرفين وخصوصاً في المنطقة الحدودية بين البلدين ، حيث أحاطت الدولة الرستمية بإفريقية الأغلبية من الشرق والغرب والجنوب ولم يكن هناك ما يمنع رعايا الدولتين من القبائل البربرية غير المستقرة من الحركة

والانتقال في مناطق الحدود ومثال على ذلك إقليم الزاب الذي شهد صراعاً دامياً بين فقهاء المالكية وأتباع المذهب الإباضي

كما كانت حدود دولة الأغالبة الشرقية غير واضحة المعالم، فقبائل نفوسة الإباضية كانت مواقعها قرب طرابلس التابعة لبنى الأغلب وامتدت مواقعها حتى قريبا من القيروان ومن ثم كانت هذه المناطق ميدانا حافلا بالصراع بين الدولتين ، وقد دأب الطرفان الأغلبي والرستمي على بث الفتن وضع العراقيل وإذا كان الرستميون الأوائل قد أحرنوا النصر في المرحلة الأولى فإن الأغالبة ظفروا به بعد ذلك في أواخر العصر الرستمي ، لذا نجد أن النزاع بين الطرفين كان على مدينة طرابلس الأغلبية ولكن الخوارج الإباضية امتد نفوذهم عليها وحاول أمراء البيت الرستمي تحريض القبائل على زعزعة الحكم الأغلبي في تلك المناطق – خاصة – المغرب الأدنى ولكن الرستميون نظراً لصراعاتهم الداخلية على الحكم تركوا أباضية المغرب الأدنى وحدهم في صراعهم مع الأغالبة حتى ضعفت قوتهم وكان إضعاف قوتهم إضعاف لقوة الرستميين أنفسهم ، ولولا ما حل بدولة الأغالبة من اضطراب سياسي في عهدها الأخير وانصراف أمرائها لمجابهة الخطر الشيعي لأمكنهم أيدي الفاطميين في عام ٢٩٧ هـ / ٩٠٩م

وبالنسبة لعلاقات بنى رستم السياسية مع الدولة الأموية بالأندلس ، فقد بدأت بعد رحيل عبد الرحمن ابن رستم إلى المغرب الأوسط واختطاطه مدينة تاهرت ، فقد استعان ابن رستم بخبره الأندلسيين في إنشاء المدينة وتعميرها ، واستمرت صلات المودة في عصر عبد الوهاب بين رستم حيث قرب الأمير الأندلسي عبد الرحمن بن الحكم كثير من آل البيت الرستمي واتخذ منهم الوزراء والحجاب والقوادوتوطدت العلاقات الودية بين أفلح بن عبد الوهاب ومحمد بن عبد الرحمن الأندلسي (٢٣٨ – ٢٧٣ هـ) وتطلع نحو بلاد المغرب لتدعيم صلته مع تاهرت وسجلماسة وقبلها أرسل الأمير الرستمي أفلح ابن عبد الرحمن بخبر إحراقه لمدينة العباسية التي بناها الأغالبة عام ٢٣٩ هـ / ٨٥٤م إلى الأمير الأندلسي تقرباً إليه فأرسل إليه الأمير الأندلسي مائة ألف درهم تأكيدا على تضامنه معه ضد عدوهما المشترك ، وظلت هذه العلاقات الودية

قائمة بعد موت أفلح على الرغم مما تعرضت له الدولتين من خطر الفوضى والتمزق السياسي حتى سقوط دولة بني رستم في يد الفاطميين الشيعة في عام ٢٩٧ هـ / ٩٠٩م .سقطت تاهرت في يد الفاطميين ولم يقدم أبو عبد الشيعي علي فتح المغرب الأوسط والأقصى إلا بعد سقوط رقادة عاصمةالأغالبة في عام ٢٩٦ هـ / ١٠٨م، وبعدها شرع في غزو سجلماسة لتحرير عبيد الله المهدي ثم إلى تاهرت فخضعت له مقاومة دخل المدينة وأعطى أهلها الأمان وقتل من بها الرستمية وبعث برؤوسهم أخيه حيث طيف بها القيروان وعلقت على باب رقادة ، لذا تم التخلص من أبي اليقظان ابن اليقظان وبنيه ، وأمر أبو عبد الله بإحراق المكتبة الرستمية المعروفة بالمعصومة بعد انتقى منها الكتب الخاصة بالحكم والفنون والرياضيات كما أحرق مدينة تاهرت وغادرها متوجها إلى سجلماسة ووجه من فرسانه إلى وارجلان متعقبا يعقوب بن أفلح الذي هرب إليها مع بعض أصحابه ولكن نجا من مذابح أبي عبد الله الشيعي، وبسقوط تاهرت وانقراض الرستميين انتهى حكم بني رستم الذي استمر يزيد على مائة وثلاثين عاماً.

***مظاهر الحضارة في دولة بني رستم**

استفاد عبد الرحمن بن رستم من خبرة الفرس في وضع نظم الدولة الرستمية نفكان يختار عماله وقضاته وأصحاب شرطته ومحتسبيه ممن يثق في علمهم وقدراتهم وكان نظام الجباية والصدقات ونواحي أنفاقها تجرى حسب شرائع المذهب ووفقا لتعاليم الاباضيه .

على ان خوارج المغرب لم يلتزموا بالفكر السياسي عند الخوارج ولم يراعوا تعاليم المذهب وشرائعه بعد انتهاء حكم مؤسيي دولتيهما في سجلماسة وتاهرت حيث برزت النعرات العصبية وتحكمت في مقاليد الحكم ونظم الإدارة فقد تحولت الإمامة إلى ملك وراثي واتخذ الوزراء والحجاب وأصحاب وظائف الدولة حكراً على عصبيات بعينها أستأثرت بها دون العناصر الأخرى.

وعلى المستوى الاقتصادي استنزفت ثورات الخوارج –صفرية واباضية –جهود الولاة ومواردهم المالية ،فقد أنفقوا الكثير على اعداد الجيوش ومضاعفة الاعطيات لمواجهة هذة

الثورات كما أسفرت عن هدم العمائر وأزهقت أرواح أعداد كبيرة من الناس وأدى كله إلى حدوث الأزمات الاقتصادية والمجاعات المتكررة ، ولكننا نجد باستقرار احوال بلاد المغرب السياسية بقيام الدول المستقلة شهدت البلاد نهضة وازدهارا اقتصاديا ملموساً في النواحي الاقتصادية.

لقد قامت دولتي الخوارج مناطق صحراوية ومع وإكب الزراعة والصناعة ورواجا التجارة اهتم أئمة بني رستم بالزراعة فاختاروا موقع عاصمتهم تاهرت مكان جيد الهواء كثير المياة خصب الأرض توافرت المياه لأقليم تاهرت وقد عنى الرستميون بالاستفادة من هذه المياه فشقوا القنوات وأقاموا الطواحين على الأنهار فزرعوا والسمسم وسائر الحبوب على اختلافها جانب غرس الأشجار وإقامة البساتين على مساحات رحبة كما ازدهرت الزراعة أيضا في واحة وارجلان اعتمادا على الآبار فاشتهرت بأشجار النخيل والزينون والحبوب كما اشتهر الرستمية بمراعيها الواسعة تاهرت منتجعا للقبائل الرعوية في شمالي الصحراء.

واستفاد بنو رستم خبرة والحريرية والقوارير الزجاجية وأواني الخزف والتحف المعدنية وقامت الدولة الرستمية الوسيط التجارة عبر الصحراء شرقا وغربا شمالا وجنوبا .

ولذا كانت دولة بني رستم إحدى الدول التي دول المشرق والمغرب والأندلس إفريقية جنوبي الصحراء وكذلك أقام بتاهرت طائفة من التجار العراقيين كانت مساجدهم ومنازلهم وفنادقهم وأسواقهم الخاصة اهتم أئمة بني رستم بتجارة الشرق فشاركوا فيها وأشرفوا بأنفسهم وأولوا التجار رعايتهم وكفلوا لهم الحماية والأمان

كان لقيام الدولة الرستمية عام ١٦١ هـ / ٧٧٩م آثاره الاجتماعية في حياه سكان بلاد المغرب الأوسط فقد تحول إقليم تاهرت من غابات إلى مدينة عامرة بالسكان والعمائر كذلك تحولت المناطق الإباضية الأخرى مثل غدامس ووارجلان وترتب على ذلك انتقال السكان من حياة البداوة إلى حياة الحضارة والاستقرار ، ولما كان أئمة بني رستم من الفرس ، فقد جنيت تاهرت كثيراً من العناصر الفارسية حيث شكلوا قوة اجتماعية لها وزنها ، كما احتوت دولة بني

رستم جماعات كبيرة من العرب ، نزحوا إلى تاهرت لشهرتها التجارية أو فرارا من الاضطهاد السياسي أو المذهبي أو هرباً من إفريقية بعد فشل ثوراتهم على الإمارة الأغلبية

كما تشبه بنو رستم بأهل المشرق في إقامة المآدب لأطعام الفقراء أيام الأعياد والمناسبات الهامة فكانت تقام الاحتفالات التي يحضرها وفود من كافة أنحاء العالم وكان عمال الإمام ورؤساء القبائل ينزلون في قصر الأمير ويعودون إلى عمالاتهم بعد أن تجرى عليهم الأرزاق وتوزع عليهم الهدايا وفضلاً عن ذلك كان اختلاط البربر بالعناصر الوافدة له حسناته كما كان له مساونه أيضاً فقد أقام البربر في ظل الحكم الرستمي قصوراً منظمة وأبنية فخمة وأسواقاً مزدحمة ومساجد متعددة وتنوعت الملابس والفرش وشتى المظاهر الاجتماعية الأخرى ، وفي مقابل ذلك أدت مظاهر الترف إلى وجود نوع من الانحلال والفساد الأخلاقي في أواخر عصر الدولة

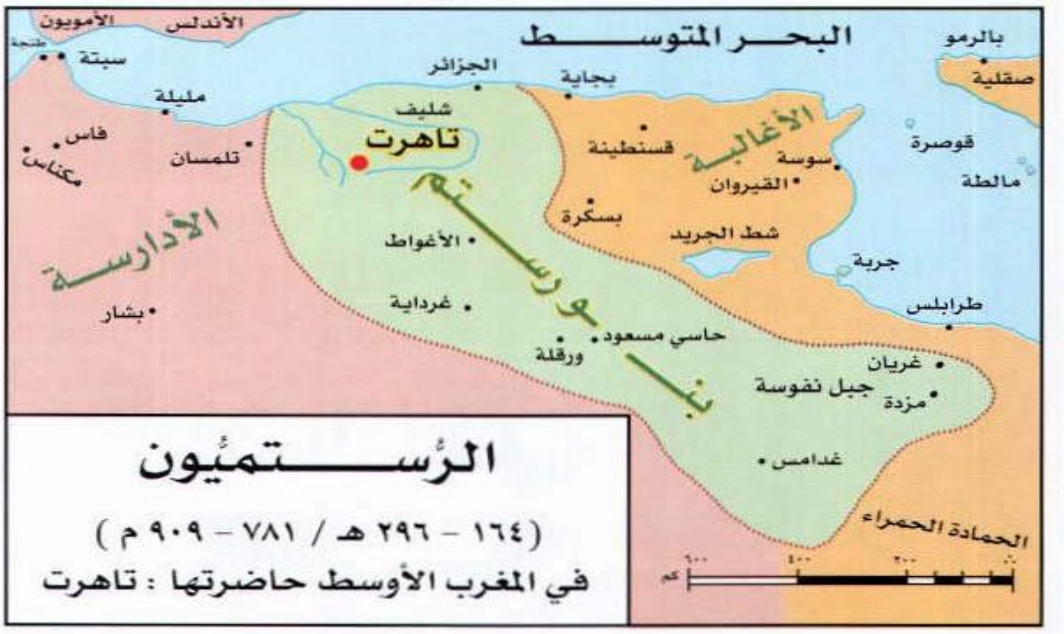

خريطة توضح دولة بنى رستم [1]

[1] شوقى ضيف : أطلس التاريخ العربى الإسلامى، ص ٥١.

٢- دولة بني مدرار (بني واسول) الصفرية ١٤٠-٢٩٧هـ /٧٥٧-٩٠٩م)

استطاع الخوارج الصفرية(*) في عام ١٤٠ هـ / ٧٥٧م أن يستفيدوا من اضطراب الأحوال في إفريقية ويقيموا دولة لهم في سجلماسة على وادي ملوية وهو إقليم نائي من بلاد المغرب ويقع في منطقة شديدة الوعورة .

وقد اعتمد بنو مدرار على قبائل مكناسة كما أسهمت عناصر أخرى غيرها في قيام الدولة مثل قبائل : صنهاجة وزويلة وزناتة وزنوج السودان وأهل الربض الأندلسيين وتجدر الإشارة إلى أن أول من تولى الإمامة في الدولة كان سودانيا يدعى عيسى ابن يزيد الأسود[١] . امرس وقد تمكن زعيم مكناسة : أبو القاسم سمكو بن واسول من ضم قبليته على المذهب الصفري الذي اتصل بعكرمة – ناشر هذا المذهب في إفريقية – ابتداء من عام ١٣٨هـ ،وعندما اجتمع لديه الأنصار بايع أبو القاسم بالإمامة لعيسى بن يزيد الأسود وهو من موالى العرب ، وذلك في عام ١٤٠هـ / ٧٥٧م . وفي نفس العام ابتدأ في تخطيط مدينة سجلماسة لتكون حاضرة للدولة الجديدة وقد أصبحت سلجماسة مركزا للإمارة ومقرا للمذهب الصفري،وانتقلت الإمامة بعد ذلك إلى أبي القاسم سمكو وكان السبب في هذا أن قبيلة

(٠) ينسب الخوارج الصفرية إلى عبد الله بن الصفار أو زياد بن الأصفر حسبما تختلف كتب الفرق الدينية ، وقد ظهروا حيثما خالف عبد الله بن الصفار ، نافع بن الأزرق حول مسألة القعدة عن القتال في ٦٥ هـ / ٦٨٤م وعقيدتهم تتضمن : عدم إسقاط الرجم وعدم قتل أطفال المشركين وتفكيرهم مثلما كان الأزارقة كما قاموا بتكفير مرتكب الكبيرة وقد دخل هذا المذهب بلاد المغرب

على يد شخص يدعى عكرمة وهو مولى لفقيه شهير : ابن عباس ، وقد انتشر هذا المذهب بين قبائل مكناسة وزناتة وتغلغل في سائر أرجاء المغرب الأقصى وبعض نواحي إفريقية والمغرب الأدنى : مكناسة زادت قوتها بعد أن تجمعت فروعها نحو العاصمة الجديدة فأرادوا أن

---

[١] البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب،ص١٤٨؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٥، ص ٢٦٢.

تكون لهم السلطة والحكم ، وبذلك آلت الإمامة إلى أبي القاسم سعكو وظلت من بعده محصورة في صفرية مكناسة التي اختصت باختيار الأئمة من آل بيت أبي القاسم وأخذ البيعة لهم من جمهور الصفرية في سجلماسة وأعمالها.

وفي فترة إمامة أبي القاسم (١٥٥ – ١٦٨هـ) عكف على إرساء دعائم دولته ولم يشارك في ثورات الخوارج الصفرية في بلاد المغرب طوال العصر العباسي الأول (١٣٢ – ٢٣٢هـ) وذلك لاعتقاده بعدم جدوى هذه الثورات غير المنظمة والانشغال ببناء الدولة الجديدة

وعلى المستوى الداخلي تأثرت الأحوال في دولة بني مدرار على العنصر والمذهب بمعنى أن كل ما مرت به الدولة من صراعات داخلية وثورات وامتداد للدولة أو تقليص لها كان سببه إما الصراع القبلي أو الخلاف المذهبي وتجدر الإشارة أن مجتمع سجلماسة قد ضم العديد من العناصر من بربر وسودان وأندلسيين ومعتزلة ويهود وخوارج إباضية،وتعزى بعض الاضطرابات الداخلية في الدولة إلى وجود بعض الخوارج الإباضية الذين قاموا ببعض الفتن ضد الدولة المدرارية.

فقد قامت بعض الفتن في عهد إليسع بن أبي القاسم (١٧٤ – ٢٠٨هـ) واستطاع إخمادها بمنتهى القسوة والعنف وذلك نظراً لأن الخوارج الإباضية أرادوا الإستقلال ببعض النواحي المملوكة لبنى مدرار وهو ما جعل بنى مدرار يلقبونه بأبي المنصور.

وقد تسببت هذه الفتن في إحداث أضرار جسيمة في مدينة سجلماسة فخربت بعض عمائرها وسورها مما دعى أبي المنصور اليسع بأن يقوم بإخلاء المدينة ويعيد تخطيطها

فأمر القبائل بترك سجلماسة وسكنى الصحراء إلى حين بناء مسجدها الجامع وبنا أغلب القصور وتحصينها ببناء سور جديد أنفق عليه أموالا طائلة بنى أثني عشر باباً من الحديد،وعندما انتهى من استكمال تعمير سجلماسة أعاد القبائل مرة أخرى إليها بعد أن قسم خططا بالمدينة لكل قبيلة وبما يضمن السيطرة على جميع أجزائها وكذلك السيطرة على كل سكانها ، لذا كانت فترة حكمه – أبو المنصور اليسع – عصر ازدهار واستقرار في تاريخ دولة بنى مدرار.

وتوثقت الروابط بين خوارج سجلماسة الصفرية وخوارج تاهرت الإباضية بزواج سفر و سياسي يضمن للإباضية الأمان من الصفرية كما يضمن لإخوانهم الموجودين تحت رعاية الدولة المدرارية الاستقرار والأمان ، فتزوج مدرار بن أبي المنصور اليسع من ابنة عبد الرحمن بن رستم – زعيم بنى رستم – وعليه حمدت ثورات الإباضية في سجلماسة حتى وفاة أبي المنصور في عام ٢٠٨هـ . ولكنها عادت مرة أخرى في عهد ابنه مدرار – المنتصر –

وكان لمدرار بن اليسع ولدين كل منهما يحمل اسم ميمون ، أحدهما من زوجته الرستمية والآخر من زوجة أخرى تدعى بقية فعرف بميمون بن بقية . وكان المنتصر يفضل ابن الرستمية على أخيه حتى أنه عهد إليه بولاية عهده ولكن ذلك كان يعتبر انتصارا للخوارج الإباضية الموجودين في سجلماسة الصفرية .

لذا قام الصفرية بمؤازرة ميمون بن بقية لأحقيته في الولاية ودخل الجانبان في صراع استمر ثلاثة أعوام (٢٢١ – ٢٢٤هـ) ولم يكتف المنتصر بأن يقف موقفا سلبيا من هذا الصراع ولكنه قام بخلع نفسه وتولية ميمون ابن الرستمية مكانه بعد أن طرد ولده الثاني ميمون بن بقية من سجلماسة

فما كان من صفرية سجلماسة – الذين غضبوا من المنتصر الذي انتهك تعاليم الصفرية وخشوا من ازدياد نفوذ الإباضية بينهم – إلا أن خلعوا ابن الرستمية وطردوه بتحريض من أخيه ميمون بن بقية وبويع له بعد فترة نزاع في عام ٢٢٤هـ / ٨٣٨م ولقب بالأمير وقام الأمير برا أبيه مدرار من سجلماسة فظل في إحدى القرى حتى وفاته في عام ٢٥٣هـ / ٨٦٧م .

واستمر ميمون بن بقية في الحكم حتى توفي في عام ٢٦٣ هـ / ٨٧٧م . وكان في فترة حكمه مناهضاً لبعض فتن الإباضية وهو ما استمر في عهد ابنه محمد بن ميمون الذي استطاع أن يقضى على قوة الإباضية في تلك المناطق طوال فترة حكمة وقد توفى في عام ٢٧٠هـ / ٨٨٤م

وعلى الرغم من أن دولة بنى مدرار كانت دولة داخلية صحراوية لم تسهم بدور كبير وفعال في أحداث بلاد المغرب وقتها مثل جيرانها من الدول المستقلة ، لكنها لم تكن بعيدة نظرا للعزلة

السياسية التي كلانوا يتصفون بها ونظراً لطبيعة دولتهم الجغرافية التي جعلتهم بعيدين مكانا وحضورا بين أحداث المغرب .

وعليه كانت سياسة بنى مدرار الخارجية تسير في إتجاهين بارزين : علاقات عدائية تجاه الخلافة العباسية ودولة الأغالبة ودولة الأدارسة وعلاقات ودية مع بني رستم والأمويين بالأندلس فبالنسبة للعلاقات مع الدولة العباسية ، فقد كان قيام دولة بنى مدرار بسجلماسة على حساب النفوذ العباسي في بلاد المغرب فقد تم اقتطاع هذا الجزء نهائياً سلطان الخلافة واستقل به أمراء بني مدرار عن العاصمة : القيروان وخلعوا طاعة الخلفاء العباسيين كذلك زاد المذهب الصفري الذي اعتنقه أمراء سجلماسة وأهلها من معادة العباسيين الذين اعتبرهم الخوارج بكافة فرقهم مغتصبين للخلافة وليس لهم حق فيها ولهذا يجب الخروج عليهم وقتالهم وعليه كان من مظاهر العداء مع الخلافة العباسية بالمشرق والتي اتسمت بالقسوة والعنف مع الخوارج الصفرية في بلاد المشرق وخاصة في العصر العباسي الأول أن يقوم بنو مدرار بتحسين علاقاتهم السياسية مع الدولة الأموية بالأندلس .

والدولة الأخرى التي كانت معادية للدولة المدرارية هي دولة الأغالبة «السنية» التي كانت تمثل نفوذ العباسيين على أرض المغرب والحاجز الذي أقامته الخلافة العباسية لوقف خطر الدول المستقلة الخارجة عن طاعة العباسيين ومنها دولة بني مدرار ولم يتعد العداء بين الأغالبة والمدراريين سوى العداء الشكلي نظراً للبعد الجغرافي بين الدولتين وقيام دولة حاجزة بينهما وهي دولة بني رستم فلم تسجل الأحداث التاريخية استعداد أو تفكير أي من الطرفين في التوجه نحو الآخر ومواجهته عسكريا.

وعلى الجانب الآخر نجد أن المدراريين قاموا بتكوين علاقات سلمية بين إخوانهم الرستميين (إباضية تاهرت) حتى يتفرغ هؤلاء للأغالبة – عدوهما المشترك – كذلك تأصلت روابطهم السياسية مع الدولة الأموية بالأندلس حتى يستطيعوا وقف أطماع الأغالبة في المغرب الأقصى والحيلولة دون السيطرة عليه والتوغل إلى ما وراء حدود إفريقية أو المغرب الأدنى .

أما الأدارسة فقد كانت الدولة الثالثة التي اتسمت علاقاتها مع دولة بنى مدرار العداء الصارخ والصريح ، فقد قامت دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى في عام ١٧٢هـ

على حساب نفوذ الخوارج الصفرية وزاد هذا العداء الاختلاف المذهبي بين الدولتين فالأدارسة من الشيعة الزيدية وبنو مدرار من الخوارج الصفرية ولا يخفى العداء القديم بين الشيعة والخوارج.

ورغم وجود حاجز يفصل بين الدولتين وهو حاجز طبيعي ممثل في الطبيعة الجبلية،غير أن ذلك لم يمنع من إمكانية أن تعزو دولة منهما الأخرى ولكن الظروف السياسية الداخلية التي مرت بها كل دولة منهما حالت دون ذلك . فقد عزم الأدارسة على إنهاء نفوذ المدراريين الصفرية ولكن الصراع الحاد مع الأغالبة الذين نجحوا في تدبير المؤامرات لقتل إدريس الأول والثاني ، وحالة الضعف التي دبت في جسد الدولة الإدريسية بعد موت إدريس الثاني والصراعات الداخلية في داخل الدولة كانت من الأسباب التي أدت إلى تقاعس الأدارسة عن غزو سجلماسة فاكتفوا بتصفية نفوذ الصفرية داخل دولتهم . كما اكتفى المدراريون بإثارة القلاقل في دولة الأدارسة عن طريق الخوارج الصفرية الموجودين بها.

وكان من مظاهر العداء الواضح بين الدولتين ما قام به إدريس الأول من حملات ض الصفرية بتلمسان عام ١٧٣ هـ / ٧٩٠م وحمله ابنه إدريس الثاني في عام ١٩٧هـ/ ١٣ على نفس المنطقة .

وتمثل رد فعل المدراريين في تحريض الخوارج الصفرية الموجودين بفاس – الثورة ضد الأمير علي بن عمر بن إدريس واستمرت هذه الثورة حتى عام ٢٩٣/٩٠٧م .

أما فيما يخص العلاقات الودية فقد كانت مع دولة بني رستم في تاهرت والدولة الأموية بالأندلس فبالنسبة لدولة بني رستم فقد اتخذت العلاقات بينها وبين بنى مدرار شكلا وديا فانعدمت الحروب بينهما على الرغم مما كان بين الصفرية والإباضية من تنافر فالعداء المشترك للدولة العباسية وعمالهم الأغالبة بالقيروان وكذلك الأدارسة جعلت الطرفين يدخلان في علاقات سلمية وتحاشي التدخل في خلافات خاصة وأن في كل من الدولتين رعايا أو أنصار تابعين للدولة الأخرى فيوجد في دولة بني رستم خوارج صفرية ويوجد في دولة بنى مدرار خوارج إباضية وقد توجت العلاقات

الودية بين الطرفين بزواج سياسى فتزوج مدرار بن إليسع ابن أبي القاسم من أروى بنت عبد الرحمن بن رستم وذلك تأكيداً على علاقات الود والتضامن بين دولتي الخوارج .

وبالنسبة للدولة الأموية بالأندلس فقد اشتملت العلاقات بينها وبين بنى مدرار على صلات ودية وذلك لعدائهما المشترك ضد العباسيين والأغالبة والأدارسة فقد ارتفعت المصالح السياسية على الاختلاف المذهبي بين الدولتين وعلى الخلاف القديم بين الخوارج والأمويين

ورغم أن دولة بنى مدرار كانت دولة داخلية بمعنى أنه ليس لها موانى على البحر المتوسط ولكنهم استطاعوا إيجاد منافذ بحرية على المحيط الأطلسي تجعلهم على صلة بموانئ الأندلسيين ومن ثم تواجدت عناصر صفرية بالأندلس في الوقت الذي توافرت فيه عناصر أندلسية في سجلماسة

ووضحت هذه العلاقات الودية في مساندة المدراريين للأمويين في القحط الذي أصاب بلاد الأندلس عام ٢٣٢هـ ٨٤٧م في عهد الأمير الأموى عبد الرحمن الثاني فقام ميمون بن مدرار بإرسال بعض المواد الغذائية تغلبا على هذا القحط

ولم تخل العلاقات بينهما من تغير حيث ساءت في أواخر عهد الأمير الأموى الحكم ابن هشام (١٨٠ – ٢٠٦هـ) بعدما أخمد ثورة الربض بقرطبة مما أدى إلى نزوح عدد كبير من الأندلسيين إلى بلاد المغرب وخاصة سجلماسة ، ولكنها عادت إلى طبيعتها الودية في عصر عبد الرحمن الثاني الأموى.

وتجدر الإشارة إلى أن الإمام الفاطمي عبيد الله المهدي – أول الخلفاء الفاطميين – كان قد أتى من بلاد المشرق مختفيا بعدما نشر أبو عبد الله الشيعي دعوتهم – دعوة الفاطميين – بالمغرب تمهيدا لإعلان الدعوة الفاطمية وقد دخل هذا الإمام مدينة سجلماسة وعندما تنبه الأمير المدراري : إليسع بن مدرار إلى حقيقة شخصيته قام بسجنه ولكن أنصار المهدى وعلى رأسهم أبو عبد الله الشيعي استطاعوا توجية جيش نحو سجلماسة واستطاعوا تخليص إمامهم من السجن وتقويض دعائم الدولة المدرارية في عام ٢٩٧هـ/٩٠٩م وهي أول دولة مستقلة في بلاد المغرب تسقط في

أيدي الفاطميين تمهيدا لاكتسحاهم بلاد المغرب وإقامة خلافتهم الشيعية على بلاد المغرب ابتداء من عام ٢٩٧هـ . ويأتى سقوط دولة بنى مدرار الصفرية إثر استدعاء أبو عبد الله الشيعي لمولاه عبيد الله المهدي في عام ٢٩٢ هـ / ٩٠٥م فخرج إليه مختفيا عن أنظار العباسيين وعمالهم حيث مر بمصر والمغرب حيث مر على طرابلس وبلاد الجريد حتى وصل إلى سجلماسة وكان أميرها في ذلك الوقت اليسع بن مدرار وتمتع المهدى بحياة آمنة كما حظى باحترام أهل المدينة . ولكن عندما تأكدت للأمير المدراري نوايا عبيد الله المهدي قبض عليه وسجنه بسجن سجلماسة ، فما كان من المهدي إلا أن أرسل لداعيته أبي عبد الله الشيعي ليأتي لإنقاذه.

وأرسل أبو عبد الله الشيعي الرسل إلى اليسع يطلب منه إطلاق سراح المهدى غير أن اليسع رفض وقتل الرسل وكرر الشيعي المحاولة فقتل إليسع الرسل في المرة الثانية.

فلم يجد أبو عبد الله الشيعي سوى أن يضرب الحصار على سجلماسة ونجع الشيعي في ذلك وفي قتال جيش بنى مدرار فهرب إليسع بن مدرار وغادر سجلماسة سرا مع أهله وذويه نحو الصحراء وقام الشيعي بتخليص المهدي من سجنه واستطاع الفاطميون أن يقبضوا على إليسع وأهله وجيء به إلى المهدي حيث عذب وأمر المهدى بقتله هو وأهله وصودرت أمواله ثم أمر المهدي بإحراق سجلماسة فاضرمت فيها النيران ، وغادر المهدى سجلماسة في عام ٢٩٧هـ بعد أن بويع بالخلافة فيها وبعد أن عين واليا عليها من قبله .

وهكذا سقطت دولة بنى مدرار على يد الفاطميين بعد انتصار كتامة على مكناسة وتغلب البرانس على البتر وهزيمة الخوارج على أيدي الشيعة .

ثانياً:- إمارة الأدارسة(١٧٢-٣٧٥هـ/٧٨٨-٩٨٥م)

ملوك الادارسة

ادريس الاول بن علي بن عبدالله بن الحسين بن الحسن(١٧٢هـ/٧٨٨م)

ادريس الثاني بن ادريس الاول.....(١٧٧هـ/٧٩٣م)

محمد بن ادريس الثاني.....(٢١٣هـ/٨٢٨م)

علي الاول بن محمد .....(٢٢١هـ/٨٣٦م)

يحيى الاول بن محمد.....(٢٣٤هـ/٨٤٩م)

يحيى الثاني بن يحيى.....

على الثاني بن عمر بن ادريس الثاني.....

يحيى الثالث بن قاسم.....

يحيى الرابع بن ادريس بن عمر.....(٢٩٢هـ /٩٠٤م)

الحسن بن قاسم.....(٣١٠هـ/٩٢٢م)

امراء متناثرون.....(٩٨٥م)

ينتسب الأدارسة الى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن الإمام علي بن ابي طالب((رضي الله عنه)) ، الذي فر من موقعة فخ بالقرب من مكة سنة(١٦٩هـ/٧٨٥م) بصحبة مولاه راشد باتجاه بلاج المغرب العربي [١] ، ونزل بمدينة وليلى سنة(١٧٢هـ) ، وفيها يومئذ إسحق بن محمد بن عبد الحميد ، أمير قبيلة أوربة وزعيمها ، فأجاره وجمع البربر على القيام بدعوته ، واجتمعت عليه العديد من القبائل المغربية مثل (زواغة ولواتة ونفزه ومكناسة وغمارة، وغيرهم) ، فبايعوه وقاموا بأمره ، وأول خطوة اتخذها إدريس بعد بيعة تلك القبائل ، تكوين جيش منهم يمكنه من تحقيق الأهداف التي وضعها ، وبدأ بالزحف بعد ذلك الى منطقة تامسنا لمحاربة البرغواطيين ، إذ كان أغلب سكان تلك النواحي على دين اليهودية والنصرانية فأسلموا على يديه ، ولكنه مات بعد أن دس إليه السم سليمان بن جرير الشماخ ، فتوفى سنة ١٧٧هـ/٧٩٣م ، ودفن في مدينة وليلى[٢].

---

[١] البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب،ص١١٨.

[٢] الطبرى : تاريخ الرسل والملوك، ج٨ ، ص ١٩٩ ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج٤، ص١٢.

لقد ترك إدريس بن عبد الله زوجته حاملاً ، وبعد وفاته وضعت ولداً أسمه إدريس الثاني[١]. وكانت زوجته تدعى كنزة ، وهي من قبائل البربر التي نزل عندهم . وبعد ولاة إدريس الثاني تولى تربيته ورعايته مولى أبيه راشد حتى بويع بالإمارة سنة ١٨٨هـ/٨٠٤م ، وهو ابن إحدى عشرة سنة ، وقد وفدت على إدريس الثاني قبائل العرب من أفريقية والأندلس، ولما يتمتع به إدريس الثاني من مكانة كونه من آل بيت محمد((صلى الله عليه وسلم)) فقد استماله هذه القبائل لكونه أوفر حظاً عندهم من الخوارج . ولذلك تمكن من توطيد حكمه وتحقيق الأمن في بلاد المغرب، وضاقت فى عهده مدينة وليلى بالسكان ولذلك عزم إدريس الثاني على إختيار موضع جديد يؤسس فيه مدينة فاس سنة(١٩٢هـ) [٢].

توفى إدريس الثاني سنة(٢١٣هـ)،. وقد ترك اثنى عشر ولداً ذكراً ، وعهد بأمر البلاد الى ابنه الأكبر محمد ، وبإشارة من جدته (كنزة) قَسمَ الأمير محمد بن إدريس الثاني ، إدارة الإمارة بين إخوته واختص هو لنفسه مدينة فاس حاضرة المغرب التي سارت مركزاً سياسياً احتل شهرة مرموقة في جميع انحاء العالم الإسلامي[٣] .

وانتهت دولة الأدارسة على يد الدولة الأموية بالأندلس، ففي خلافة عبد الرحمن الناصر أرسل جيشه بقيادة غالب الناصرى الذى تمكن من هزيمة الحسن بن كنون ، وفي سنة(٣٧٣هـ) تمكن قائد المنصور بن أبي عامر المدعو عسكلاجة من ألحاق الهزيمة بالحسن الذي فر الى مصر ثم عاد فيها متسلماً للمنصور بن أبي عامر الذي دبر اغتياله سنة ٣٧٥هـ ، ووضع بذلك نهاية للإمارة الإدريسية في بلاد المغرب[٤] .

---

[١] البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب،ص١٢٢؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ، ج٥، ص ٢٦٢.

[٢] ابن ابي زرع : الأنيس المطرب،ص٣٨-٤٠؛ محمد سعيد رضا، تاريخ المغرب والأندلس،ص١٢٠.

[٣] ابن خلدون : تاريخه، ج٤، ص١٤.

[٤] ابن عذارى : البيان المغرب، ج١، ٣٣٧.

ثالثاً:- إمارة الأغالبة (١٨٤-٢٩٦هـ/٨٠٠-٩٠٨م)

مؤسس دولة الأغالبة [١]هو إبراهيم بن الأغلب الذي رحل الى مصر بعد وفاة أبيه ، وكانت أهدافه في تولي أمر أفريقية ، و كان ابن الأغلب يتمتع بسمعة طيبة لدى الخلافة العباسية بعدأن حسن هرثمة بن أعين والي أفريقية السابق صورته في نظر الخليفة هارون الرشيد كمدافع عن العباسيين في بلاد المغرب. واشاد بكفايته واخلاصه للخلافة ، وحب الرعية له فكتب له الرشيد العهد بولاية أفريقية في المحرم من عام ١٨٤هـ [٢]، وقام ببناء مدينة جنوب القيروان أسماها العباسية ، إذ شرع ببنائها سنة (١٨٤هـ) ،لقد أتخذ من مدينة العباسية مقراً له ولحاشيته ، إذ اسكن فيها خمسة آلاف من حرسه الخاص السود الذين جيء بهم لخدمته وحمايته[٣].

وتسلم أبو العباس عبد الله بن إبراهيم مهام الإمارة بعد وفاة أبيه ، وذلك في صفر سنة (١٩٦هـ) ، تولى أبو العباس عبد الله الإمارة لمدة خمس سنوات (١٩٦-٢٠١هـ) واتسم عهده بالهدوء والاستقرار في إمارة متكاملة الأجزاء ، لكنه وُصِفَ بأنه مكروهاً من أُسرته ورعيته، إذ عُرِف بأذلاله أخيه الصغير زيادة الله ، ونكل بأصحابه ، كما تجبر في جمع المال من الناس وأَخذه الضرائب ، ولم يسمع نصائح الفقهاء ، فكره لذلك من الرعية طوال مدة ولايته حتى توفي في ذي الحجة من سنة(٢٠١هـ) ، وبويع زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب أميراً لإمارة الأغالبة بعد موت أخيه من ذي الحجة سنة (٢٠١هـ) ، وشرع في فتح جزيرة صقلية سنة٢١٢هـ واصبحت الجزيرة منذ ذلك التاريخ هدفاً للحملات التجارية ،وقام زيادة الله بسلسلة من الحملات البحرية على جزر البحر المتوسط ، ففي سنة(٢٠١هـ) جهز حملة على جزيرة سردانية ، وفي سنة(٢٠٤هـ) جهز حملة بقيادة عمر بن عبد الله بن الأغلب على جزيرة صقلية ، وفي سنة(٢٠٦هـ) توجهت قطعات زيادة الله البحرية وأسطوله الى الجزر القريبة من تونس ومنها إلى سردانية ، لكن هذه الحملات على الرغم من كونها لم تحقق كامل أهدافها إلا أنها اطلعت العرب في أفريقية على جزر البحر المتوسط ، ولاسيما صقلية وسردانية، واعقبتها سنة(٢١٢هـ) حملة

---

[١] ينتسب الأغالبة الى الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي . وهو عربي من قبيلة تميم التي اسهمت في القضاء على الخلافة الأموية وقيام الخلافة العباسية ، وكان الأغلب بن سالم من اصحاب أبي مسلم الخراساني . ابن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب، القاهرة،١٩٦٢م،ص٢٢١؛ محمود إسماعيل، الأغالبة، مكتبة رأفت، جامعة عين شمس،١٩٧٢م،ص١٩.

[٢]البلاذري : فتوح البلدان،ص٢٧٦؛ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج٦، ص١٥٥ ؛ابن خلدون: التاريخ، ج٦، ص١١٣.

[٣] البلاذري : فتوح البلدان،ص٢٣٥.

بحرية كبيرة استهدفت فتح صقلية ، جاء اختيار القاضي أسد بن الفرات قائداً للحملة.التي بلغ تعدادها سبعمائة فارس وعشرة آلاف راجل سوى المراكب ،ودارت بين الجيشين معركة مرج بلاطة نسبة إلى قائد الجيش البيزنطي المدعو بلاطة . انهزم البيزنطيون وقتل قائدهم بلاطة في ١٧ ربيع الثاني سنة(٢١٢هـ). ، ولأهمية هذه المعركة كتب الأمير زيادة الله يبشر الخليفة المأمون بانتصار المسلمين وافتتاح صقلية على يد القائد أسد بن الفرات ، الذي توفى أثناء حصاره على سرقوصة سنة(٢١٣هـ/٨٣٨م) مع عدد كبير من المسلمين بعد تفشي وباء في المعسكر العربي المحاصر لسرقوصة[١] .

انتهت إمارة الأغالبة : بهروب زيادة الله إلى مصر ، تاركاً إمارته أمام الزحف الفاطمى إذ أُسدِلَ الستار عن الإمارة الأغلبية سنة ٢٩٦هـ [٢].

[١]ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٦،ص ٣٣٥؛ خليل السامرائي : تاريخ المغرب العربي،ص٢٢٩.

[٢] ابن خلدون : تاريخه،ج٤، ص٤٤٦.

سقوط الخلافة العباسية

تنوّعت الأسباب التي أدّت لانهيار الدولة العباسية، ومن أبرزها: بروز حركات شعوبية ودينية مختلفة في هذا العصر؛ فقد أدّت النزعة الشعوبية إلى تفضيل الشعوب غير العربية على العرب، بالإضافة إلى ظهور فرق دينية متعددة عارضت الحكم العبّاسي، وكان محور الخلاف بين هذه الفرق وبين الحكام العبّاسيين هو» الخلافة «أو إمامة المسلمين، وكان لكل جماعة منهم مبادئها الخاصة، ونظامها الخاص، وشعاراتها وطريقتها في الدعوة إلى هذه المبادئ. وقد جعلت هذه الفرق الناس طوائف وأحزابًا، وأصبحت المجتمعات العباسيّة ميادين تتصارع فيها الآراء وتتناقض، فوسّع ذلك من الخلاف السياسي بين مواطني الدولة العبّاسية، وساعد على تصدّع الوحدة العقائدية التي هي أساس الوحدة السياسية .ومن العوامل الداخلية التي شجعت على انتشار الحركات الانفصالية، اتساع رقعة الدولة العبّاسية؛ ذلك أن بُعدَ العاصمة، والمسافة المترامية بين أجزاء الدولة، وصعوبة المواصلات في ذلك الزمن؛ جعل الولاة في البلاد النائية يتجاوزون سلطاتهم، ويستقلون بشؤون ولاياتهم، دون أن يخشوا الجيوش القادمة من عاصمة الخلافة لإخماد حركتهم الانفصالية، والتي لم تكن تصل إلا بعد فوات الأوان، ومن أبرز الحركات الانفصالية عن الدولة العباسية :حركة الأدارسة وحركة الأغالبة، والحركة الفاطمية.

وقد انتهى الحكم العباسي في بغداد سنة1258 م، عندما أقدم هولاكو خان على نهب وحرق المدينة، وقتل أغلب سكانها بما فيهم الخليفة وأبناؤه، وقد انتقل من بقي على قيد الحياة من بني العباس إلى القاهرة بعد تدمير بغداد؛ حيث أقاموا الخلافة مجددًا في سنة1261 م، وبحلول هذا الوقت كان الخليفة قد أصبح مجرد رمز لوحدة الدولة الإسلامية دينيًا، أما في الواقع فإن سلاطين المماليك كانوا هم الحكَّامَ الفعليين للدولة. وكان محيي الخلافة العباسية في القاهرة هو السلطان الظاهر بيبرس، الذي رغب أن يكون الحاكم المُسلم الذي يُعيد الحياة إلى هذه الخِلافة، على أن يكون مقرُّها القاهرة، لِيجعل منها سندًا لِلسلطنة المملوكيَّة، التي كانت

بِحاجةٍ ماسَّة إلى دعمٍ روحيٍّ يجعلها مهيبة الجانب؛ وقد ظلت الخلافة العباسية قائمة حتى سنة1519 م، عندما اجتاحت الجيوش العثمانية بلاد الشام ومصر، وفتحت مدنها وقلاعها، فتنازل آخر الخلفاء عن لقبه لسلطان آل عثمان، سليم الأول، فأصبح العثمانيون خلفاء المسلمين، ونقلوا مركز العاصمة من القاهرة إلى القسطنطينية.

نظم الحضارة الإسلامية فى عصر الخلافة العباسية

مفهوم الحضارة

الحضارة ([1]) فى مفهومنا العام - هى ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته ، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصود أم غير مقصود ، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية ٠

وهذا المفهوم للحضارة مرتبط أشد الارتباط بالتاريخ لأن التاريخ كما سنرى هو الزمن ، والثمرات الحضارية ٠ مادية أم معنوية - تحتاج إلى زمن لكى تطلع ، أى أنها جزء من التاريخ ، أو نتاج جانبى للتاريخ ، وكما أن ثمر الزروع والأشجار لا يطلع إلا بفعل الزمن ، أو لا يمكن أن تزرع وتحصد ثمرة ما فى نفس الوقت ، فإن ثمار الحضارة لا تظهر إلا بإضافة الزمن إلى جهد الإنسان ([2]) ٠

وكلمة حضارة لها أكثر من تعريف أيضا فهى الإقامة فى الحضر والحاضرة هى المدينة ، والمدينة تعنى الحضارة واتساع العمران ، وكلمة تمدن تعنى العيش حياة أهل المدن والأخذ بأسباب الحضارة ([3]) والحضارة أيضا نظام اجتماعى يعيش الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافى ([4]) كما أنها الروح العميقة للمجتمع وتقوم على تأكيد الأصالة الروحية والحقيقة الفلسفية والعاطفية للإنسان ، ([5]) ٠

وعلى الرغم من تعدد تعاريف الحضارة ومدلولها ، فهى مستوى التقدم الذى بلغه المجتمع فى ميدان الفكر والاجتماع والاقتصاد والتكنولوجيا ([6]) ٠

والحضارة التى ندرسها توصف بالحضارة العربية أو الحضارة الإسلامية ، وهذا لا يعنى أن سكان الجزيرة العربية الذين دخلوا فى الإسلام هم وحدهم الذين أسهموا فيها ، فالمقصود بالحضارة العربية الإسلامية ، أنها تشمل جميع الشعوب التى تحدثت العربية وعاشت فى دار الإسلام فى ظل الخلافة الإسلامية بصرف النظر عن الجنس والدين ، ولذلك يدخل فيها مع العرب الأجناس الأخرى حيث حوت أراضى الخلافة الإسلامية

---

[1]) الحضارة : بكسر الحاء وفتحها ، مشتقة من الفعل حضر ، وحضر لغة ضد غاب ، ومنه الحضر والحاضرة ، والحضرة والحضارة بمعنى المدن والقرى والريف ، وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التى يكون لها بها قرار أى سكن وإقامة ، وعليه كانت الحضارة لغة تعنى الإقامة فى الحضر ، خلافا للبادية ابن منظور : لسان العرب مادة حضر ٠

[2]) حسن مؤنس : الحضارة دراسة فى أصول وعوامل قيامها وتطورها ، عالم المعرفة (٢٣٧) ، الكويت ، ١٩٩٨ ، ص١٥ ٠

[3]) المعجم الوسيط : مادة حضر ، أحمد حمدى محمود : الحضارة ، ص٦ ٠

[4]) ول ديورانت : قصة الحضارة ، ج١ ص٣ ٠

[5]) محى الدين صابر : التغير الحضارى وتنمية المجتمع ، ص٤١ ٠

[6]) سعيد عاشور : مذكرات فى مادة الحضارة العربية الإسلامية ، ص١ ٠

العديد من العناصر بجانب العرب ، مثل الفرس والمغاربة ، والسودانيون والأقباط ، والنصارى واليهود وأيضا أصحاب الديانات الأخرى ([1]) ٠

وقد وصفت هذه الحضارة بالعربية لوجود ما ينتمى للعربية فيها وأهم ذلك هو اللغة العربية التى حفظت منها أصول هذه الحضارة وفروعها ، فقد نزل القرآن الكريم باللغة العربية وبها كتب " إنا أنزلناه قراننا عربيا " سورة يوسف ، وبها دونت السنة النبوية وحفظت ، وتعلم بها من اعتنق الإسلام وانضوى تحت لواء هذه الحضارة وكانت اللغة العربية لغة الدول القائمة بها ، ولذا فلا غرابة أن تكون العربية ضمن تسميتها ، وكان لفظ عربى والعربية رديف لفظ الإسلام ([2]) ٠

ووصفت أيضا بالعربية لأنها قامت فى البيئة التى كان العرب يسكنونها ومنحوها جهدهم وجهادهم ، وكانوا رسلها ، وحملوها إلى الناس ، وعلى أكتافهم قامت دولتها التى اتسعت وبلغت المحيط الأطلسى وامتدت نحو أوربا وبلاد السند والهند ، وأفريقيا وخدموها ، خلفاء وسلاطين وأمراء ووزراء ، وأهل صناعة وزراعة وتجارة ، ومعلمين ومفكرين ، وبذلك أخذت هذه الحضارة من العربية هوية الوجة واللغة ([3]) ٠

وعرفت بالحضارة الإسلامية للفكر الإسلامى الذى كان مضمون هذه الحضارة ومحتواها وأساسها الذى قامت عليه ممثلا فى القرآن الكريم ، وما يترتب عليه من ثراء ثقافى ، وتشعب فكرى وتنوع وتطور الكلام وفلسفته مما زاد الحياة الفكرية ثراء ([4]) ٠

أصول الحضارة الإسلامية :

إنه ليس من السهل معرفة أسس الحضارة الإسلامية وذلك لأنها كأى حضارة لم تظهر من عدم ، وإنما سبقتها حضارات هى مصادرها ، فالحضارة أخذ وعطاء ، ونتيجة مشتركة لعناصر قديمة وجديدة ، ولذا فإن أسس الحضارة الإسلامية ترجع أولا إلى العرب ، وثانيا إلى سكان البلاد التى فتحها العرب ([5]) ٠

أقام العرب المسلمون حضارة جديدة هى أعظم حضارات العالم فى العصور الوسطى ، وهذه الحضارة العربية الإسلامية هى التى جعلت العصور الوسطى عصور مضيئة بالقياس إلى ما سبقها فى غرب أوربا أو أخر أيام الدولة الرومانية القديمة ٠

---

[1]) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، ص ١١ ٠
[2]) محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية ، ص ٢٣ ٠
[3]) محمد بطاينة : فى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية ، ص ٢٣ ٠
[4]) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، ص ١١ ٠
[5]) محمد ضيف الله : فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ص٢٣ ٠

ومع أن العرب المسلمين أخذوا من الحضارات التى سبقتهم أو عاصرتهم شيئا غير قليل فإنهم ما أخذوه من هذه الحضارات بالتغيير والتبديل والحذف والإضافة ونجم عن ذلك كله حضارة جديدة لها طابعها الخاص وهو طابع الإسلام والعروبة واللغة العربية التى بها القرآن الكريم ([1]) ٠

وترجع هذه الحضارة إلى الأصول الآتية :

١- الأصل الإسلامى ٠

٢- الأصل العربى ٠

٣- المؤثرات الفارسية ٠

٤- المؤثرات اليونانية الرومانية ٠

[1]) إبراهيم العدوى : الوطن العربى وحضارته فى العصر الإسلامى ، ص١٩٠ ، إبراهيم سلمان الكروى : المرجع فى الحضارة العربية الإسلامية مركز الإسكندرية للكتاب ، ١٩٩٩ ، ص١٦ ٠

النظم السياسية

الخلافة – الوزارة – ولاة الأقاليم

الحجابة – ولاية العهد – الكتابة

القضاء – الحسبة – الشرطة

الدواوين

- **الخلافة :**

الخلافة أو الإمامة من أهم أنظمة الدولة الإسلامية التى صاغها المسلمون فى فترة دقيقة من فترات حياتهم ، كما أنها تمثل العمود الفقرى للتفكير السياسى الإسلامى ، وتعد فى الواقع أعظم ما توصل إليه المسلمون فيما يتعلق بسياسة الأمة على الرغم من الخلاف الذى تشب بينهم حول الخلافة ٠

وبدأت الخطوات الأولى فى اختيار خليفة رسول الله ﷺ ، ونشأ فى سقيفة بنى ساعده – إحدى العشائر بالمدينة ,جاء اختيار الصديق رضى الله عنه تأكيدا صريحا على الحكم الإسلامى ليس حكما وراثيا ، وإنما الفيصل فى هذا هو العلم بأمور الدين والقدرة على تحمل أعباء السياسة وحكم الرعية بما يضمن إقامة حدود الله تحقيقا للعدالة التى جاء بها القرآن الكريم ٠

الخلافة نظام إسلامى لم يوجد عند غير المسلمين ، فالخليفة ينظر فى مصالح الناس الدنيوية والأخروية طبقا لأحوال الشريعة الإسلامية ٠

ولذلك نجد **أن الشروط التى رأى الفقهاء ضرورة توافرها فيمن يلى هذا المنصب هى :**

١- الحرية ٠ ٢- الإسلام ٠

٣- الرجولة ٠ ٤- العدالة ٠

٥- سلامة الحواس ٠ ٦- العلم ، المؤدى إلى الجهاد ٠

٧- الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيض وجهاد العدو ٠

٨- النسب القرشى ٠

٩- سلامة الأعضاء من نقص يمنع من استيفاء الحركة ٠

١٠- الرأى المفضى إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح ٠

ومن مهام الخلفاء الآتى :-

** الاهتمام بمصالح الإسلام والمسلمين ٠

** عمارة الثغور ٠

** النظر فى أمور الرعية ٠

** رفع المظالم وقمع الظالمين ، وإعانة الملهوف ٠

** اصطناع المعروف - جبر الكسير ، إطلاق الأسير ٠

** يستمر عن ساق اجتهاده فى حماية بيضة الإسلام ٠

** إقامة حدود الله وإحياء سنة رسول الله ٠

من مهام الخليفة فى الإيرادات والمصروفات ، والإشراف على جميع شئون البلاد ، بمعاونة رجال الدولة ، وأيضا الإشراف على دور السكة وكذلك دور الطراز ، ودور الصناعة ، وغيرها من المؤسسات التى تعمل بمصالح الأمة عامة ، وكان الخليفة يخرج فى المواكب العامة مثل الاحتفلات الدينية والقومية ، وتوديع الجيوش واستقبال السفارات الخاصة للدول الخارجية وغير ذلك ٠

ظلت الخلافة : انتخابية شورية زمن الراشدين ثم انقلبت إلى ملكية مطلقة على يد معاوية ٠ وكانت مبايعة الخليفة زمن الراشدين تتسم بالبساطة ، حيث تتم مبايعة أهل الحل والعقد ، وهم أهل المدينة فى ذلك الوقت ، وكان الانتخاب مصافحة بالأيدى ولذا سميت بالبيعة ٠

وجرت العادة فى الدولتين الأموية والعباسية على أنه متى بويع الخليفة انتقل إلى دار الخلافة فى موكب حافل ثم يرد عليه وفد المهنئين من البلاد ٠

وخلال الدولة العباسية حدث أنه إذا تمت البيعة اختار الخليفة لنفسه لقبا من الألقاب التى اختلفت عن الألقاب السابقة ، مثل لقب الرشيد، الأمين، الأمين، المأمون، المعتصم بالله، الواثق، المستعين، المستعصم وهكذا، وكانت الألقاب السابقة تحوى فى معناها التواضع مثل" عبدالله ووليه"٠

كان الخليفة فى بادئ الأمر يشرف على جميع شئون الدولة بنفسه وإن استشار بعض المقربين إليه ، ولكن مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية لم يستطع الخلفاء الإشراف

المباشر بأنفسهم على شئون البلاد ، فكانوا يختارون من يساعدهم فى تصريف شئون البلاد وخاصة الإدارية منها ، وذلك من كبار موظفيهم الذين أطلق عليهم لفظ الكاتب ٠

شارات الخلافة ورسومها :

جرت الخلافة فى بادئ الأمر على البساطة والتواضع ، وترك مظاهر الترف والأبهة واستمر هذا الوضع خلال عصر الخلفاء الراشدين ٠

وعندما قامت الدولة الأموية ونقل مقر العاصمة الإسلامية من المدينة إلى دمشق ببلاد الشام ، بدأت مظاهر الأبهة تظهر وذلك بتأثر من حضارة الروم ، وأول من أظهر ذلك معاوية الذى جعل لإرهاب العدو وإشعاره بتفوق الحضارة الإسلامية ومسايرتها للحضارات المعاصرة ٠

وأهم تلك الرسوم الأتى :

١- الصلاة فى المقصورة الخاصة ، ذكر اسمه فى الخطبة ، والدعاء له على المنابر ٠

٢- الجلوس على سرير الخلافة فى المواكب ، وبدأ ذلك خلال عهد معاوية حيث استأذن الناس فيه وقال لهم أنى قد بدنت فأذنوا له فاتخذه واتبعه الخلفاء المسلمين فيه ٠

٣- ضرب السكة من الدنانير والدراهم ونقش اسم الخليفة عليها٠

٤- ومن شارات الخلافة " الخاتم " وقد استخدم من عهد الرسول حيث كان له خاتم من فضه نقش عليه (محمد رسول الله) فى ثلاثة أسطر واستعمله أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ، وسقط من يد عثمان فى بئر أريس ، وصنع آخر مثله ٠

٥- نقش اسم الخليفة على الطراز ، من ملابس وكسوة وغيرها ٠

علامات وشارات الخلافة :

البردة - الخاتم - القضيب - الخطبة - السكة - الطراز ٠

١- البردة : هى بردة الرسول التى كان يرتديها إلى أن أعطاها للشاعر كعب بن زهير بن أبى سلمى ، الذى كان قد أعلن توبته وندمه على هجاء الرسول ثم مدح الرسول بقصيدته المشهورة ، وتداول أهل كعب البردة حتى اشتراها منهم معاوية بن أبى سفيان بأربعين ألف درهم وتوارثها الأمويون والعباسيون وتبركوا بارتدائها فى المواكب والمناسبات إظهارا لمكانتهم من أسرة النبى ٠

٢- الخاتم : صنع الرسول خاتما حينما بعث خطابه المشهور إلى كسرى فارس ، وكان الأكاسرة لا يقبلون كتبا بدون أختام ، فصنع الرسول خاتمه من فضة ونقش عليه " محمد رسول الله " فى ثلاثة أسطر وانتقل الخاتم إلى أبى بكر ثم إلى عمر ثم

إلى عثمان ، ولكن الخاتم سقط من يد عثمان فى بئر أريس ، فاصطنع عثمان خاتما مثله ، وحرص كل خليفة على اصطناع خاتم ، يختمون به كتبهم بالطين أو المداد أو الشمع ، وكان معاوية أول من انشأ ديوان الخاتم ٠

٣- القضيب : وهو ثالث شارات الخلافة ، فإذا تولى الخليفة جاءوا إليه بالقضيب والبردة والخاتم ، وكان القضيب عبارة عن عود كان النبى يأخذه بيده ، واتخذه الخلفاء الأمويون ومن بعدهم الخلفاء العباسيون الذين كانوا يظهرون به فى المناسبات ٠

٤- الخطبة : هى الدعاء للخلفاء على المنابر فى الصلاة ، وأصلها أن الخلفاء كانوا يتولون إمامه الصلاة بأنفسهم فكانوا يختمون فروض الصلاة بالدعاء للرسول ، والرضى عن الصحابة ، فلما فتحوا البلاد وبعثوا إليها العمال صار الولاة يتولون إمامه الصلاة فى ولاياتهم ، فكانوا إذا صلوا وختموا الصلاة بالدعاء للخلفاء ٠

٥- السكة : ومن شارات الخلافة نقش اسم الخليفة على السكة ، أى العملة ، بطابع من حديد ٠

٦- الطراز : حرص الخلفاء الأمويون ثم العباسيون على رسم أسمائهم أو علامات مميزة على أثوابهم وعلى ثياب كبار الموظفين فى الدولة والجنود ، وعرفت هذه العلامات خلال العصرين الأيوبى والمملوكى باسم الرنوك ٠

- **الوزارة**

تمثل الوزارة فى الحضارة الإسلامية قسما أساسيا من أقسام السلطة التنفيذية فى الدولة ، وقد انتقلت نظم الفرس إلى الدولة الإسلامية خلال العصر العباسى فاتخذوا منها نظاما يساعدهم على تصريف جميع شئون الدولة حتى السياسية منها وهو نظام الوزارة٠

وقد ورد لفظ الوزير فى القرآن الكريم وذلك فى قوله تعالى (واجعل لى وزيرا من أهلى ، هارون أخى أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى) وروى عن النبى ﷺ أحاديث يذكر فيها لفظ الوزير فعن الترمذى أنه كان للنبى ﷺ أربعة وزراء ، اثنان من أهل السماء واثنان من أهل الأرض هما أبو بكر وعمر ٠

وذكر الماوردى أنه روى عن النبى ﷺ أنه قال : " ما من رجل من المسلمين أعظم أجرا من وزير صالح مع إمام يطيعه ويأمره بذات الله تعالى " وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ، أن نسى ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء ، أن نسى لم يذكره ، وإن ذكر لن يعنه ٠

وقد ورد أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال للأنصار فى اجتماع السقيفة" نحن الأمراء وأنتم الوزراء "٠

أختلف فى أصل كلمة الوزراء فالبعض ذكر أن أصل الكلمة فهلوى مأخوذ من فبشيرا ومعناه الأمر والتقرير ، وقيل أن أصلها عربى وأختلف فى اشتقاقها حيث ذكرت على أنها مشتقة من ثلاثة أوجه هى :

١- أنها مأخوذة من الوزر : بمعنى الحمل الثقيل ، لأنه يحمل عن الملك أثقاله ٠

٢- أو من الوزر : وهو الملجأ لأن الملك يلجأ إلى رأيه ومعونته لأن عليه مدرار السياسة وإليه تفوض الأمور ، وهى من قوله تعالى " كلا لا وزر " أى لا ملجأ ٠

٣- أو من الأزر : وهو الظهر ، لأن الملك يتقوى بوزيره كقوة الجسم بالظهر ٠

ولم يكن لفظ الوزير يعرف بين المسلمين فى بداية الأمر ، ولم يتحدد اختصاصه إلا بعد فترة من قيام الدولة العباسية ، حيث أن بساطة الإسلام وبساطة الدولة فى أول عهدها جعلت الحاجة إلى هذه الوظيفة معدومة فالرسول ﷺ كان يستعين ببعض من يحسن الكتابة ، ويخصص لكل فريق عملا يقوم به وكذلك الخلفاء الراشدين ٠

وكان الكتاب فى عهد الأمويين بمثابة الوزراء ، وقد كان عبدالحميد ابن يحى الكاتب كاتبا ووزير آل مروان بن محمد ، ولم يسم أى من معاونى الخليفة خلال عصر الراشدين أو العصر الأموى باسم الوزارة ، ولم يضف اسم وزير إلى أحد من معاونى الخليفة إضافة دائمة ولازمة ٠

<u>أما فى العصر العباسى</u> ظهرت الوزارة بالشكل المعروف ، كما كتب عنه فقهاء المسلمين ، وحدثوا عن أقسامها واختصاصاتها وأنواعها ، وبذلك يكون المنصب الذى كان معروفا لدى الأمويين بالكاتب أو الكتابة قد تطور إلى منصب الوزير والوزارة فى خلافة بنى العباس ٠

وفى ذلك يذكر بن خلدون : " فلما جاءت دولة بنى العباس واستفحل الملك وعظمت مراتبه عظم شأن الوزير وصارت إليه النيابة من إنفاذ العقد والحل ، وتعينت مرتبته فى الدولة ، فصار اسم الوزير جامعا لخطتى السيف والقلم وسائر معانى الوزارة والمعاونة ٠

وكان أول وزير فى دولة بنى العباس هو أبو سلمة الخلال ، وكان فصيح اللسان عالما بالأخبار والأشعار وتفسير القرآن ، حاضر الحجة كثير الخير ، اختير فى الكوفة سنة ١٣٢ هـ ، حيث سلمت إليه الرئاسة وسمى وزير آل محمد ، وصار يدبر الأمور ويفرق

المال ، وصارت الدواوين بحضرته والكتب تنفذ منه وترد عليه ولما ظهر مياه للعلويين انتهى الأمر بأن قتله أبو العباس السفاح ٠

ويبدو أن **مكانة الوزير فى هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الوزارة فى عصر بنى العباس** ، لم تختلف كثيرا عن مكانة الكاتب أواخر عهد بن أمية وذلك نظرا لهيبة الخلفاء مثل أبو جعفر المنصور الذى استبد بالأمور وإذا بلغنا عهد هارون الرشيد وجدنا الوزير احتل مكانة راسخة فى الحل والعقد ، فحينما استوزر هارون الرشيد يحيى بن خالد البرمكى ، وقال له : " يا أبة أنت أجلستنى هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك ، وقد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقى إليك ، فأحكم بما ترى واستعمل من شئت وعزل من رأيت ٠٠٠ فأنى غير ناظر معك فى شئ " وجعل إليه الدواوين كلها مع الوزارة سوى ديوان الخاتم ، وهكذا فوض هارون الرشيد أموره كلها إلى يحيى بن خالد البرمكى ، الذى استعان فى القيام بوزارته بولديه الفضل وجعفر ٠

ودعى جعفر بن يحي بالسلطان أيام الرشيد إشارة إلى عموم نظرة وقيامه بالدولة ٠

ويجب أن يكون الوزير مقدما فى صناعته ، حاذقا بالحساب ، خبير بآداب الرياسة وقواعد الملك وآداب السلاطين ، عارفا بأحوال الرعية والأعمال ضباطا للأموال ، حسن الخط ، وأن يتميز بالذكاء والفطنة والتيقظ والحزم والحلم، والوقار، والأمانة، والصدق والشهامة والعفة ، وأن يكون عزيز النفس كبير الهمة٠

ويستحب أن يكون الوزير ناصحا مشفقا ومؤمنا مؤتمنا ومن الله خائفا ، فإذا كملت له هذه الخصال تقبل مشورته ، ويستمع قوله ولا يخالف أمره ٠

وهذه الخصال المحمودة لم تجتمع لأحد من الوزراء وكان التفاوت فيها واضحا بين وزير ووزير ، وهناك من وصف بأنه لا علم عنده ولا معرفة ، وكان ردئ السيرة جهولا بالأمور ، إضافة إلى من اشترى منصب الوزارة بالمال مثل ابن مقله وزير الخليفة العباسى الراضى بالله٠

أنواع الوزارة :

تنقسم الوزارة إلى نوعين :

الأول : وزارة التفويض ، وهى أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على اجتهاده ، ولا يستشير الوزير فيها الخليفة ، أى أن الخليفة لا يملك ولا يحكم ٠

والثانى : وزارة تنفيذ : وهى أن الوزير ينفذ أمر الخليفة الذى يشرف على جميع تصرفاته ، ولا ينفذ الوزير شيئا إلا بعد مشورة الخليفة أو السلطان ٠

وبالنسة لوزير التفويض فإن كل ما يصح للخليفة يصح له إلا ثلاثة أشياء هى : ١- ولاية العهد ذلك أن الأمام يعهد إلى من يرى وليس ذلك للوزير ٠

٢- أن للخليفة أن يستعفى الأمة من الخلافة وليس ذلك للوزير ٠

٣- أن الخليفة يعزل من قلده الوزير وليس ذلك للوزير ٠

أما الشروط التى يجب أن تتوافر فى وزير التفويض فهى :

* الحرية * الإسلام * العلم بالأحكام الشرعية * المعرفة بأمرى الحرب والخراج ٠

وبالنسبة لوزير التفويض فقد وجب أن تتوافر فيه عدة شروط هى :

* الأمانة * صدق اللهجة * قلة الطمع * أن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة * أن يكون ذكورا فيما يؤدية إلى الخليفة لأنه شاهد له وعليه ٠

* الذكاء والفطنة حتى لا تلتبس عليه الأمور * الحنكة والتجربة ٠

ألا يكون من أهل الأهواء فيخرج الهوى من الحق إلى الباطل ٠

لا يشترط الإسلام فى وزير التنفيذ لأنه لا يمتد سلطته إلى ولاية أمر المسلمين، وتولى وزارة التنفيذ ذميون٠

<u>الفرق بين وزارة التفويض والتنفيذ</u> :

يكون الفرق بين هاتين الوزارتين فى الآتى :

١- أنه يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم والنظر فى المظالم وليس ذلك لوزير التنفيذ ٠

٢- أنه يجوز لوزير التفويض أن يستبد بتقليد الولاة ، وليس ذلك لوزير التنفيذ ٠

٣- أنه لوزير التفويض أن ينفرد بتسيير الجيوش وتدبير الحرب وليس ذلك لوزير التنفيذ ٠

٤- أنه يجوز لوزير التفويض أن يتصرف فى أموال بيت المال بقبض ما يستحقه له ، ويدفع ما يجب منه ، وليس ذلك لوزير التنفيذ ٠

وكان للوزير لباس رسمى شمل الدرعة وقميصا ومبطنه وخفا واختلف راتبه على مر العصور أو اختلاف الأشخاص ٠

<u>أما مهام الوزير :</u>

فقد اختلف الوظائف التى يقوم بها من عهد لأخر ، ومن خليفة لخليفة ، وبين دولة ودولة ، ومن الوظائف التى كان الوزير يقوم بها سواء كان وزير تنفيذ أم وزير تفويض -

الاشراف الشئون الإدارية ، فكان العمل اليومى له شاقا مجهدا ، حيث كان من مهامه أن يغدوا إليه الكتاب فيوافقهم على الأعمال ويسلم إلى كل منهم ما يتعلق بديوانه أو يوجهه بما يريد وصايته به ، ثم يروحون إليه بما يعطونه من أعمالهم فيوافقهم عليه ، وإذا خف العمل ، نهض من مجلسة وانصرف الجماعة بعد قيامه ، ويذهب الوزير إلى دار الخلافة فى أيام معينة من كل أسبوع للمثول بين يدى الخليفة وإطلاعه على شئون الدولة وتلقى الأوامر منه ٠

ومن مهامه النظر فى ديوان الحسبان لما يحتاجه إليه خطته من قسم الأعطيات فى الجند ، فاحتاج إلى النظر فى جمعه وتفريقه ٠

والإشراف على القلم والترسيل لصوان أسرار السلطان ولحفظ البلاغة ٠

جعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها .

وهذه الوظائف التى استندت إلى الوزير كانت تتفاوت بين وزير وآخر تبعا لطبيعة شخصية الوزير من جهة وطبيعة شخصية الخليفة من جهة أخرى ، وكذلك طبيعة العلاقة بين الخليفة والقوى الآخرى فى المجتمع ، وقد سجلت بعض الفترات نفوذا قويا للوزراء بلغ درجة الدخول فى تعيين الخلفاء والاشتراك فى عزلهم .

- **ولاة الأقاليم " الأمراء : :**

يأتى الخليفة على رأس السلطة التنفيذية فى الدولة الإسلامية ولما كان الخليفة يجمع فى يده كل السلطات فهو يحكم الطبيعة البشرية وظهرت الحاجة إلى الاستعانة بالولاة على البلدان منذ أن انتشر الإسلام خارج المدينة ، وصارت رقعة الدولة الإسلامية تضم إلى جانب مدينة الرسول صلى الله علية وسلم مدنا وبلاد أخرى ، ومن ثم فوض بعض السلطة التنفيذية إلى ولاته وعماله أمراء الأقاليم .

عهد عمر قسم الدولة أقسام ادارية كبيرة ولى على كل قسم منها والى يتولى شئونها والاشراف عليها ٠ ثم اتسعت الدولة فى عهد عمر ، وعهد عثمان ، وخلال العصرين الأموى والعباسى والعصور الإسلامية الأخرى ولن ندخل فى تفاصيل اتساع الدولة الإسلامية وذكر ولاياتها ، لأن ما يهمنا هنا - هو اختيار الوالى ومهامه فى ولايته وعلاقته بالخلافة ٠

أولا : اختيار الولاة :

حينما كان الخليفة أو الامام يختار الوالى ، ولم يتركه مطلقا بل قيده بالقيود التى تضمن عدم استبداد ولاة الأقاليم بالسلطة ٠

الولاية : هى أن يقلد أميرا على إقليم أو بلد ، وقد يطلق على هذا الأمير لقب وال أو عامل ، وقد نشأت الامارة على البلدان مبكرة فى الإسلام ، فكان الرسول ﷺ ، ينيب عنه عمالا على القبائل والمدن فى الحجاز واليمن ٠ واستمر هذا النظام واتسع فى عهد الخلفاء الراشدين وما بعده من عصور ٠

وإمارة الاستكفاء فهى أن يختار الخليفة الرجل الكفء ليفوض إليه إمارة بلد أو إقليم فيضطلع هذا الأمير بتدبير الجيوش وتقليد القضاء ، وجباية الخراج ، وحماية الدين وإقامة الشرع وإمامة الصلاة ، والإشراف على شئون الحج ، ثم حماية هذا الإقليم ان كان من الثغور ٠

أما النوع الثانى من الإمارة فهو إمارة الاستيلاء التى تعقد عن اضطرار فهى ان يستولى الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة إمارتها ، ويفوض إليه تدبيرها وسياستها فيكون الأمير باستيلائه مستبدا بالسيلسة والتدبير ، والخليفة بإذنه منفذا لأحكام الدين ليخرج من الفساد إلى الصحة ومن الحظر إلى الإباحة ٠

الفرق بين إمارة الاستكفاء العامة وإمارة الاستيلاء :

١- أن إمارة الاستيلاء متعينه فى المتولى ، وإمارة الاستكفاء مقصورة على اختيار المستكفى ٠

٢- أن إمارة الاستيلاء مشتملة على البلاد التى غلب عليها المستولى ، وإمارة الاستكفاء مقصورة على البلاد التى تضمنها عهد المستكفى ٠

٣- أن وزارة التفويض تصح فى إمارة الاستيلاء ، ولا تصح فى إمارة الاستكفاء ، لوقوع الفرق بين المستولى ووزيرة فى النظر ٠

وهذه القيود تتلخص فيما يلى :

١- حسن اختيار الإمام لولاة الأقاليم ٠

٢- محاسبة عمال الأقاليم ومراقبة أعمالهم ٠

٣- فصل السلطة القضائية وحماية استقلالها ٠

٤- اختيارهم ممن لهم دراية بأمر السياسة والحرب والخراج ٠

٥- وصايا الخلفاء لأمرائهم باتباع سنة رسول الله ﷺ ٠

وكان اختيار الولاة من الأمور التى يقوم الخليفة بها ، ومع ذلك فإن دور أهل الولاية كان واضحا فى اختيار الولاة وسياستهم وتقويمهم وولى هارون الرسيد على بن عيسى بن ماهان على خرسان فلما عاث فيها واستخف برجالها ، كتب أهل خرسان ، إلى الرسيد يشكون سوء سيرته فعزلة الرشيد وولى هرثمة بن أعين ٠

وكان على الخليفة أو الامام مراقبة الوالى وأن يسأل عن سيرته ويفحص عن حالته وسريرته فإن كان عادلا أكرمه ورفعه وإن كان ظالما أهانه وعزله فإنه لا صلاح لرعية واليها فاسد ٠

والإمارة كانت على ثلاثة أنواع : الإمارة العامة ، والإمارة الخاصة وإمارة الاستيلاء ٠

- الإمارة العامة وهى تشمل الصلاة وإدارة الإقليم والحرب والخراج ٠
- أما الإمارة الخاصة : فهى محددة فى إمارة الجيش ، إمارة الحج - إمارة على الصلاة والحرب دون الخراج ٠

<u>مهام الوالى فى ولايته :</u>

كان الولاة نوابا عن الخليفة فى ولاياتهم وحكاما ، وكان كل منهم يقوم فى ولايته بالمهام التى من شأن الخليفة أن يقوم بها ، وله من صلاحية النظر فى أمور الولاية ما للخليفة من صلاحية النظر فى أمور الدولة ، وتمثلت مهامه فى الآتى :

١- النظر فى تدبير الجيوش ٠
٢- النظر الأحكام وتقليد الولاة ٠
٣- جباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمال ٠
٤- حماية الدين والذب عن الحريم ٠
٥- إقامة الحدود ٠
٦- تسيير الحجيج ٠
٧- الإمامة فى الجمع والجماعات ٠

وكان من مهام الوالى أيضا حق الإشراف على شئون الشرطة ، وكان هو الذى يعين صاحب الشرطة٠

ونلاحظ أنه فى بعض فترات العصر العباسى أرسل الوالى من ينوب عنه فى حكم الولايات ، وكان لكثرة تغيير الولاة خلال العصر العباسى أثرة السلبى على أحوال الأقاليم .

وكان بقاء الوالى فى ولايته متوقفا على تنفيذه لمطالب الخلفاء وفقا لسياستهم حيث أن حكم الولاة كان يختلف لينا وشدة تبعا لاختلاف ميولهم فقد اشتهر البعض منهم بالعدل والجود والإصلاح ، والبعض الآخر اتسمت سياسته بالعنف والجور والقسوة .

وكان للولاة مجالس فى ولاياتهم تضم إلى جانب كبار رجال الولاية وموظفيها جماعة من وجوه الناس وعلمائهم وأهل المعرفة بأحوال الولاية ، وكان الوالى يرجع إليهم ويستشيرهم .

- **الحجابة :**

وهذا المنصب لم يعرفه صدر الإسلام ، عندما كان الإسلام بسيطا لا يتشبه حكامه بالملوك . وكان الخلفاء الراشدون لا يحتجبون عن رعاياهم ، فكانوا يجلسون طوال يومهم فى مسجد الرسول ﷺ بالمدينة ، ويلتقون بالمسلمين على اختلاف مراتبهم بدون حجاب .

وقد كان أول من اتخذ الحجاب معاوية بن أبى سفيان ، وذلك بعد مصرع على بن أبى طالب ، ومحاولة اغتيال معاوية ، واتساع الفتن وازدحام الناس على أبواب قصره فى دمشق وحذا الخلفاء الأمويون حذو معاوية فى الاحتجاب عن الناس والحاجب موظف كبير يشبة كبير الأمناء فى العصر الحديث وكان يقوم بإدخال الناس على الخليفة حسب مراتبهم ومراكزهم فى المجتمع .

- **ومن اختصاصات الحاجب أيضا** : تنظيم مثول الناس أمام الخليفة .
- وأنهم كانوا يمثلون همزة الوصل بين الناس والخليفة .

واتخذ الخلفاء العباسيون الحجاب ، فلم يقابلوا رعاياهم إلا من قدم لأمر خطير وصار بين الناس والخليفة داران : دار الخاصة ودار العامة ، يقابل الخليفة كل طائفة فى كل مكان معين ، كما يحدده الحاجب .

واتخذ العباسيون الحجاب وبالغوا فى ذلك تشبها بالأكاسرة وحماية لأنفسهم من الساخطين عليهم وزادوا فى منع الناس عن ملاقاتهم .

وكان يشغل وظيفة الحاجب كبار العسكريين ، وبلغ نفوذهم إلى درجة كبيرة حيث كان يتم مشورتهم فى الكثير من الأمور فى الدولة ، واستبد بعضهم بالأمر دون الوزير، وتدخل

بعضهم فى تعيين الوزراء ، ومثال لذلك الربيع بن يونس حاجب المنصور والمهدى ، ونلحظ مدى مكانته بأنه أخفى نبأ موت المنصور حتى أخذ البيعة للمهدى، وتخلص من الوزير معاوية بن يسار حيث عزله المهدى بمشورة من الربيع، ثم رشح الربيع للمهدى يعقوب بن داود ليتولى الوزارة ولعب دورا كبيرا فى الإيقاع بين هارون الرشيد والبرامكة

هذا ونجح بعض الحجاب فى تأسيس أسر حاكمة مثل الحاجب أق سنقر والد عماد الدين زنكى ٠ الذى أسس الأسرة الزنكية فى الموصل وأعمالها وتوابعها " الجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرها "

وزاد نفوذ الحاجب حتى صار الواحد منهم يلقب بذى الوزارتين ، وذلك إشارة إلى إشرافه على الأمور المدنية والعسكرية ، وكان ذلك راجعا إلى الثقة التى أولاها له الحكام حيث كان يتم اختيار الحاجب من مقدمى رجال الدولة وخاصة الخليفة ويختار من أغزرهم عقلا وأشدهم دينا وأوفاهم روعا ، وأعظمهم من الله خوفا ، وأصوبهم رأيا وأرحمهم قلبا وأصدقهم لهجة وأذكاهم نفسا ٠

- **ولاية العهد :**

أثارت مشكلة ولاية العهد أو الاستخلاف كواحدة من نظم الدولة الإسلامية كثيرا من الجدل والخلاف بين المفكرين والعلماء والفقهاء المسلمين ، فمنهم من أدان هذا الاتجاه ونادى ببطلانه ، ومنهم أوجد له المبررات ووضع له من القواعد ما يجعله مشروعا متمما للخلافة ٠

وكانت البداية التاريخية لولاية العهد سنة ٤٠ هـ / ٦٦٠ م حين تولى الحسن بن على خلافة المسلمين ، إلا أنها لم تتم على يد على بن أبى طالب ولم يوص بها ، فقد ترك هذا للمسلمين يرون فيه رأيهم ، ومع ذلك يمكن القول أن تولية الحسن بن على كانت البداية لقاعدة جديدة من قواعد الحكم ونظم الدولة ، ربما كانت سابقة سار عليها معاوية بن أبى سفيان فأخذ البيعة لابنه يزيد ٠

مكن الأمويون لأنفسهم ووضعوا أسس ولاية العهد ، وبذلك تحولت نهائيا إلى حكم وراثى وازداد الصراع على ولاية العهد خلال العصر العباسى ، ولجأ الخلفاء إلى أخذها لأكثر من واحد من الأبناء ولم يتورع كل أولئك فى الدخول فى حروب دامية وصولا للانفراد بها تمهيدا للوصول إلى الخلافة ، فقد عهد أبو العباس السفاح إلى المنصور وجعل ولاية العهد من بعده لعيسى بن موسى فأراد المنصور تقديم المهدى فاستنزله عن العهد عفوا

لحقه فيه ، ويذكر الماوردى أنه ليس من حق الخليفة أن يكره ولى العهد على التنازل ،إذ يجب أن يتناول طائعا راضيا ٠

قد حرص الخلفاء العباسيون على ولاية العهد ، فيذكر أن الرشيد رتب الخلافة فى ثلاثة من أبنائه هم الأمين ثم المأمون ثم المؤتمن وذلك بناء على مشورة من عاصره من فضلاء العلماء٠

فإذا عهد الخليفة إلى ثلاثة ورتب الخلافة فيهم ومات والثلاثة أحياء كانت الخلافة بعده للأول ، ولو مات الأول فى حياة الخليفة كانت الخلافة بعده للثانى ، ولو مات الأول والثانى فى حياة الخليفة فالخلافة بعده للثالث لأنه قد استقر لكل واحد من الثلاثة بالعهد إليه حكم الخلافة من بعده ٠

وفى عام ١٨٧هـ / ٨٠٣م بايع الرشيد لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون شريطة أن يكون الأمر للمأمون ان أراد أقره فى ولاية العهد وان شاء أن يخلعه خلعة ٠

وعندما تولى الأمين الخلافة أراد أن يخلع أخاه المأمون من ولاية العهد وسير إليه من يحاربه فى خرسان ، وتصدى لذلك طاهر بن الحسين الذى تمكن من انزال الهزيمة بجيش الأمين وعلى رأسه القائد على بن عيسى بن ماهان ٠

تعرضت بغداد بسبب ولاية العهد للحصار ودارت الحرب التى انتهت بمقتل الأمين ، وحملت رأسه إلى أخيه المأمون فى خرسان ، ولقد بكى المأمون واشتد حزنه على أخيه ، ثم قدم من خرسان إلى بغداد ليتولى أمر المسلمين ٠

ويتصل النزاع على ولاية العهد حتى أننا نرى تدخل الموالى لتأييد ولى العهد وهذا ما حدث خلال عهد الخليفة المعتز الذى علم أن المؤيد يتآمر عليه وذلك بالاتصال بالموالى فقبض عليه وطلب إليه أن يخلع نفسه من ولاية العهد ولم يهدأ إلا بعد أن قتله مسموما ٠

واستمرت ولاية العهد قضية من قضايا الخلاف حتى نهاية العصر العباسى وسقوط الخلافة العباسية سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ٠

ولاية العهد لواحد ثم لأكثر من واحد

اتبع العباسيون هذا النظام وغالوا فيه ، فقد عهد أبو العباسى السفاح (١٣٢-١٣٦هـ) بالخلافة إلى أخيه إلى جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ) ثم إلى أخيه عيسى بن موسى بن على بن عبد الله بن عباس ، فلما تولى المنصور الخلافة خلع عيسى بن موسى وبايع لابنه المهدى ، ثم لعيسى بن موسى من بعده ، ولما تولى المهدى الخلافة (

١٥٨-١٦٩هـ) خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد ، وولى ولديه الهادى ثم هارون الرشيد ٠

كذلك أراد الهادى (١٦٩-١٨٠هـ) خلع أخيه هارون والبيع لابنه جعفر ، مثلما فعل المهدى مع عيسى بن موسى ، لولا أن مات الهادى قبل أنينفذ ذلك ٠

كما حاول الأمين خلع أخيه المأمون من ولاية العهد ، والبيعة لابنه مما أدى إلى النزاع بين الأخوين ، وانتهى الأمر بقتل الأمين ٠

وكان لنظام ولاية العهد نتيجة سيئة على العباسيين والأمويين من قبلهم ، حيث نشب الخلاف بين الكثيرين مما أضعف الخلافتين ٠

- **الكتابة :**

يقصد بكتابة القيام بالأعمال الإدارية التى تعين الوزير فى أدائه لعمله ، فقد كان عبء الوزارة يضطلع به شخص واحد فى العادة وهو من يطلق عليه فى عصرنا الحالى لقب " رئيس الوزراء " ، ولكن أعباء الوزير أخذت تتزايد بحيث لم يعد من الممكن أن يقوم بها وحده ، ولهذا استعان بموظفين أو كتاب يشرفون معه على الدواوين المختلفة أى الوزارات بالمفهوم الحديث وقد عرف المسلمون الكتابة فى صورتها البسيطة الأولى فى عهد الرسول ﷺ ، حيث كان يتخذ له كتاب من الصحابة يدونون القرآن الكريم ويكتبون الرسائل والعهود والمعاهدات المختلفة ،وسار على نهجه الخلفاء الراشدون حيث اتخذوا لهم كتابا أيضا ، وكانت الكتابة فى عهدهم مازالت بسيطة فى وظيفتها ،وعندما انتقلت الخلافة إلى الأمويين تعددت الدواوين وأصبحت خمسة هى : ديوان الرسائل والخراج والجند والشرطة والقضاء وكان لكل ديوان من هذه الدواوين كاتب ، وكان يتصدرهم فى الأهمية كاتب ديوان الرسائل ٠

وخلال العصر العباسى زادت مكانة الكاتب نتيجة لكثرة أعمال الوزارة ، حيث أصبح من الضرورى تعيين موظفين يعاونون الوزير للإشراف على الدواوين المختلفة وإدارة شئونها ، وكان من أشهر الكتاب فى ذلك العصر كاتب الرسائل الذى يتولى مكاتبة الأمراء والملوك عن الخليفة ، وقد حرص الخلفاء على أن تدون الرسائل بأسلوب شائق وبليغ ، كما حرصوا على اختيار كتابهم من رجال الأدب من أعرق الأسر وممن عرفوا بسعة العلم ورصانة الأسلوب ٠

وكان كاتب الرسائل يجلس مع الخليفة فى مجلس القضاء وينوب عن الخليفة أو الأمير فى بعض الأحيان ، وعندما استقرت وظيفة الوزير وزادت أهمية شاغلها صار الكاتب مجرد موظف فى الدواوين ٠

وعرف نظام الكتابة فى الأعمال والولايات الإسلامية فكان بكل ولاية كاتب للخراج والمال وكاتب الرسائل ، وخلال العصر المملوكى كان صاحب ديوان الإنشاء من أكبر موظفى الدولة وانقسم الكتاب فيه إلى طبقتين هما كتاب الدست وكانوا يجلسون بين يدى السلطان المملوكى وكتاب الدرج وكانوا يتولون كتابة الرسائل والمنشورات والرسائل التى تهم الدولة ٠

وكانت طائفة الكتاب تؤلف وحدة على رأسها الوزير ، بل وتتدرج فى الرقى إلى الوزارة ، معتمدة على كفاءتها وبلاغها ، وكان لهؤلاء الكتاب أثر كبير فى نشر نوع من الثقافة خاص ، وذلك أن ثقافتهم كانت أوسع من ثقافة غيرهم ، وكانت معارفهم ودائرة إطلاعهم واسعة شاملة ، أنهم بحكم مناصبهم مضطرون أن يعرفوا أحوال الناس الاجتماعية وتقاليدهم ، وأن يعرفوا من اللغة والأدب وعلوم الدين والفلسفة والجغرافية والتاريخ طرفا لأن كثيرا من مواقفهم يحتاج لذلك ٠

وكان هناك صفات ينصح أن يتحلى بها الكتاب من هذه الصفات والخصال الحلم والفقه والعفاف والعدل والإنصاف والأمانة وكتم السر والوفاء والبعد عن السعاية والنميمة والكبر والعظمة والبعد عن المطامع ، والنظر فى كل صنف من صنوف العلم ، واجادة الخط ورواية الأشعار ، ومعرفة أيام العرب والعجم ، وأحاديثها وسيرها والنظر فى الحساب ٠

وكان لابد أن تكون هناك مؤهلات خاصة بفئة من الكتاب دون الأخرى ، وذلك لخصوصية الدواوين وتميزها عن بعضها فى الوظائف فمثلا ، كان لا غنى لصاحب ديوان الخراج عن معرفة الحساب والمساحة ٠

ولا غنى لصاحب ديوان الصدقات عن الإلمام بعلوم الفقه ٠

ولابد لصاحب ديوان الجيش من معرفة عرض الرجال وشيات الدواب ودار السلاح ٠

ولابد لصاحب ديوان النفقات من الإلمام بالحساب والمكاييل والأوزان والأسعار وأمثالها ، وهكذا فى الدواوين الأخرى ٠

وكانت الدولة تقوم بصرف الرواتب والأرزاق للكتاب وعمال الدواوين ، وعلى سبيل المثال كان راتب كاتب عبد الله بن على العباس فى خلافة المنصور عشرة دراهم كل شهر ٠

وكان الأمويون والعباسيون يصرفون راتبا سنويا لرؤساء الكتاب والعمال ثلاثة مائة درهم وزادت رواتبهم عن ذلك خلال عهد المأمون ٠

وكانت كتابة الدواوين فى صدر الإسلام فى صحف مدرجة تسمى قراطيس ، وإذا كانت طويلة سميت طوامير ، وأول من اتخذ الطوامير وكتب فيها الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك (٨٩-٩٦هـ) وكره الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) استعمالها وجعل كتبه فى شبر من الصحف أو نحوه وظلت الكتب تثبت فى صحف وتحفظ فى هذه الصحف فى الدواوين حتى كانت خلافة إلى العباس السفاح، فجعلها خالد بن برمك فى دفاتر، واتخذت الدفاتر من الجلود ، ثم استعمل جعفر بن يحى بن خالد برمك الكاغر فى خلافة هارون الرشيد وتداوله الناس من بعده٠

- **القضاء :**

القضاء من أعظم المناصب ومرتبته تلو مرتبة النبوة ، لأن الله سبحانة وتعالى خلق الخلق وكلفهم الأخذ بالشرائع ، وبعث الرسل قضاة ليحكموا بين الناس ٠ قال تعالى : " كان الناس أمة واحدة ٠ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه " وقال تعالى لرسوله محمد ﷺ " وأن أحكم بينهم بما أنزل الله " ٠

والقضاء من عمل الخليفة لأن معناه الفصل بين الناس فى الخصومات حسما للتداعى وقطعا للتنازع ، على حسب القانون الشرعى المأخوذ من الكتاب والسنة وقد كان سنة متبعة عند العرب قبل الإسلام وكان يعرفون بالحكام ٠

ولما جاءت دولة الإسلام صار الرسولﷺ يفصل فى الخصومات بين الناس فى المدينة وصار مرد كل حدث أو اختلاف بينهم إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ٠

ثم صار القضاء بعد الرسولﷺ فى عداد الوظائف الداخلة تحت الخلافة ، وفى ذلك يذكر الهروى أنه على الخليفة ألا يهمل أمر القضاة والعدل وأصحاب المناصب لان بأيديهم أزمة الأمور وصلاح الرعية ، ولهم الحكم على الأرواح والأشباح والأموال وأمور الدين والدنيا بل يمتحنهم فى مجلسه ويسألهم عن أمور دينهم ودنياهم وليجعل عليهم عينا ورقيبا ليعلم أمرهم ، فأن أهمل أمرهم فسد حاله ٠

وخلال العصر العباسى ظهر منصب قاضى القضاة وذلك زمن هارون الرشيد وتولاه القاضى أبو يوسف صاحب كتاب الخراج وصار لقاضى القضاة حق الإشراف نيابة عن

الخليفة على النظام القضائى من حيث النظر فى تعيين القضاة ومراقبتهم فى عاصمة الدولة وخارجها ٠ وذلك لأنه كان لا يوجد إلا خليفة واحد للمسلمين فى بغداد هو الخليفة العباسى ، ونتيجة لتعدد الخلفاء بعد قيام الدولة الفاطمية بدأ تعدد قاضى القضاة فى عدة عواصم ٠

وقد ظهر الأئمة الأربعة ابتداء من القرن الثانى الهجرى وبتدوين مذاهبهم وانتشارها اخذ القضاة يتقيدون فى قضائهم بمذهب مشهور، فانتشر مذهب الإمام أبو حنيفة النعمان (٨٠-١٥٠هـ) فى سائر بلاد العراق ٠

- كما انتشر مذهب الإمام مالك وهو مذهب أهل الحديث فى بلاد الحجاز ، والإمام مالك هو ابن انس الأصبحى ولد سنة ٩٣هـ وتوفى سنة ١٧٩هـ ٠
- أما المذهب الشافعى نسبه إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعى القرشى المولود بغزة سنة ١٥٠هـ والمتوفى بمصر سنة ٢٠٤هأ فقد انتشر فى مصر والشام ٠
- وقد انتشر مذهب الإمام أحمد بن حنبل المولود ببغداد سنة ١٦٤هـ والمتوفى بها سنة ٢٤١هـ فى بغداد ٠ فى بلاد الشام ونجد ٠

هكذا كان لكل مذهب من هذه المذاهب قاضى قضاة يقوم بدوره بتعيين القضاة فى الأمصار والمدن وفقا لمذهبه وكان الخلفاء يتحرون عند اختيار القضاة أن يكون القاضى من أهل العدالة والعلم وقد ذكر المصنفون لكتب " أدب القضاء " الشروط التى يجب توافرها فيمن يقلد منصب القضاء استقوها من الشواهد القرآنية والسوابق من عهد الصحابة ومن تلاهم فقد ذكر الماوردى سبعة شروط هى : الذكورة مع البلوغ ، والإسلام ، والعقل ، والعدالة والحرية والعلم بالأحكام الشرعية ، وسلامة الحواس ٠

اهتم الخلفاء والولاة بتصفح أحوال القضاة وتتبع أخبارهم والاطمئنان على سلامة إجراء أحكام العدل بين الناس، وكان دور بعض الخلفاء مشهودا فى بيان معالم القضاء وكشف غموضه وإزاحة علله ٠

وكان القضاة يرجعون فى الفصل فى الخصومات بين الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يستنبطون الأحكام ، وكانت السنة النبوية لم تدون ولم تجمع حتى عهد عمر بن عبد العزيز ، فكان إذا تعثر أمرا أمام القضاة رجعوا فيه للخلفاء ٠

ولم يكن القاضى فى أحكامه موكولا إلى الاجتهاد الصرف وإنما كان موكولا إلى الاجتهاد فى فهم الشريعة الإسلامية ، وتطبيقها على الحوادث والواقعات وعلى الرغم من ذلك صارت أصول الأحكام فى الغالب مبنية على أربعة أمور هى كتاب الله وسنة رسوله ٠

والإجماع والقياس وصار القاضى يجد من خلالها طريقة إلى العلم بأحكام النوازل وتمييز الحق من الباطل ٠

وكانت وظيفة القاضى فى عهد الخلفاء الراشدين مقصورة على الفصل فى الخصومات المدنية ، أما القصاص والحدود فكانت ترجع إلى الخلفاء وولاة الأمصار إلا أنه مع مرور الزمن لم يقتصر سلطة القاضى على الأعمال القضائية البحتة ، بل امتدت إلى أمور دينية أخرى ليس لها علاقة بالقضاء وإنما ضمت إليه لمعرفته بالضرورة للشرع الإسلامى ٠

وهذه الأعمال تتمثل فى الآتى :

النظر فى أموال اليتامى ،وأيضا النظر فى الأحباس ، وأضيفت إلى القضاة ولاية الشرطة ،من الأعمال التى أضيفت إلى القاضى امامة المصلين والخطابة وولاية الحج ، وأخذ البيعة للخليفة أو السلطان ، ومصاحبة الجيوش ، وتولى بعضهم قيادة الجيوش وأيضا الإشراف على الأحوال الدينية ، والإشراف على المكاييل والعملة ٠

ومن الأعمال التى أضيفت إلى القاضى خروجه لرؤية هلال شهر رمضان مع الشهود وقد أضيفت هذه السلطة إلى القاضى فى ولاية عبد الله بن لهيعة على القضاء (١٥٥-١٦٤هـ) من قبل الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور ، وكذلك أثناء ولاية هاشم بن أبى بكر البكرى قضاء مصر (١٩٤-١٩٦هـ) من قبل محمد الأمين خرج لرؤية هلال رمضان ٠

وقد كانت وظيفة القضاء من الوظائف السامية التى تحاط بالهيبة والإجلال ، كما كان لصاحبها نفوذ كبير يتفق مع خطورة العمل الذى يؤديه ٠

ونتيجة لكثرة الأعمال المسندة للقاضى فقد اتخذ له نوابا فى الأقاليم واتخذ القاضى الشهود ليعاونوه فى عمله القضائى البحت ، وكان يطلق على الشهود اسم الشهود العدول حيث يتصفون بالأمانة والعدل ولا يشك فى ذمتهم وكان القاضى يراقب تصرفاتهم ٠ ولهم رئيس يسمى مقدم الشهود ٠

واتخذ القاضى بوابا وحاجبا وأعوانا لإحضار الخصوم وكتابا ومترجمين ومستمعين ، وصار العلماء يحضرون مجلس الحكم للمشاورة فى المشكلات والمناظرة فى المجتهدات ٠

وكان المكان الذى يجتمع فيه القاضى بالخصوم يعرف باسم مجلس الحكم وكان مقره مسجد العاصمة الكبير ، وكان القاضى أحيانا يفصل فى أمور الناس وهو فى داره ، وكان

مجلس الحكم يعقد علنا فى أيام محدودة ، ويتكون هذا المجلس من القاضى والشهود العدول ، والموقعين الذين يكتبون ما يدور فى الجلسة ، والحجاب الذين ينظمون دخول المتخاصمين ٠

وكان تعيين القضاة وعزلهم لا يتأثر بتعاقب الخلفاء وتبدل الولاة وتغيير الدول ، ومثال لذلك فقد ولى شريح بن الحاث الكندى قضاء الكوفة منذ خلافة عمر بن الخطاب وحتى خلافة عبد الملك بن مروان وولى محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى القضاء لبنى أمية ثم ولى القضاء لبنى العباس٠

وهذا يدل دلالة واضحة على استقلال القضاء وعدم تأثره بالاتجاهات السياسية ، وحرص الدولة الإسلامية مع تعاقب حكامها على نزاهة القضاء وإجراء أحكام العدل بين الناس من جهة أخرى ٠

واستتماما لاهتمام الخلفاء بأمر القضاء صرفوا للقضاة الرزق والعطاء ، وكانت رواتبهم تختلف بين خليفو وآخر وبين عهد وعهد وبلد وبلد وذلك وفقا للأحوال المعيشية ٠

- **قضاء المظالم :**

نظر المظالم هو وقود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة، وزجر المتنازعين عن التجاحد والرهبة ،وكان السبب فى ظهور ذلك هو تضخم ظروف الحياة فى الخلافة الإسلامية ، ويعتبر هذا النظام من أعظم أمور القضاء لأنه يمكن المتخاصمين من اللجوء إليه فى حالة التظلم من حكم أصدره القاضى وخلال عهد الرسول لم تدع الحاجة إلى النظر فى المظالم ، وكذلك خلال عهد الخلفاء الراشدين ، حيث لم ينتدب أحد من الخلفاء الراشدين للمظالم ، وكان أول من نظر فيها هو عبد الملك بن مروان حيث جعل يوما يتصفح فيه قصص المتظلمين ، وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز يقوم بنفسه للنظر فى المظالم ورد الحقوق لأصحابها ، كما جلس لها من الخلفاء العباسيين الخليفة المهدى ، والهادى ، وهارون الرشيد ، والمأمون والخلفاء من بعدهم ونشأ ديوان خاص للنظر فى المظالم خلال العصر العباسى ، كان بمثابة هيئة تحكيم أو محكمة استئناف يلجأ إليها المتخاصمون عند اعتراضهم على حكم أصدره القاضى ٠

وكان مقر نظر المظالم هو مقر الخليفة فى العاصمة ، ويكون عادة فى القصر ، أو أثناء سيره فى المراكب .

وفيما يتعلق باختصاصات قضاة المظالم فهى الفصل فى النزاع بين الناس والدولة أو أحد أفراد موظفيها فى أى عمل من أعمالها سواء كان فى الحكم أم الإدارة أو فى غيرها ، وقد فصل الماوردى **هذه الاختصاصات بالآتى :**

- تعدى الولاة على الرعية ٠
- جور العمال فى جباية الأموال من الرعية ٠
- التظلمات المتعلقة بالميزانية وقضايا الدخل والخرج منها ٠
- تظلمات الموظفين فى رواتبهم من نقص أو تأخير فى تسليمها ٠
- رد الغصوب التى استولى عليها دوى السلطان والأيدى القوية ٠
- تنفيذ ما عجز القضاة عن تنفيذه فى ميدان الأحكام والحسبة والعبادات الظاهرة ٠
- النظر فيما عجز عنه الناظرون من الحسبة فى مصالح العامة ٠
- مراعاة العبادات الظاهرة كالجمع ، والأعياد ، والحج والجهاد ٠
- النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين ٠

ويشترط فيمن يتولى قضاء المظالم أن يكون جليل القدر ، نافذ الأمر عظيم الهيبة ، وله من علو اليد وعظيم الرهبة ما يقمع به الظالم ويمنعه عن التغلب والتجاذب ٠

- **الحسبة :**

الحسبة نظام إسلامى قديم قدم الإسلام وتطور بتطور الحضارة الإسلامية ، وصار له قواعد وقوانين شملت معظم مناحى الحياة ، وأساس هذا النظام هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهذا الأساس له سند شرعى فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :" ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " ٠

ويجب الأمر بالمعروف إذا ظهر فى المجتمع تركه ، وكذلك النهى عن المنكر إذا ظهر فعله ، ولذا فإن نظام الحسبة مبنى على الشدة والسرعة فى الفصل ولذا ما لبث نظام الحسبة أن تطور وتعدى ذلك ، إلى واجبات عملية تتفق ومصالح المجتمع وبخاصة سكان المدن حيث كان معظمهم من أرباب الحرف والتجارة ٠

وهذا النظام باشره الرسول ﷺ بنفسه ، حيث كانت أقواله وأفعاله مليئة بنهيه عن المنكر وبأمره بالمعروف حيث نهى عن عبادة الأوثان وأمر بعبادة الله الواحد ، كما نهى عن أكل

الربا ، ونهاهم عن بيع المعدوم ، وهو بيع الشئ قبل أن يكون أمام المشترى ، ونهى عن أشياء عديدة كانت منتشرة فى المجتمع ٠

وكان ﷺ يمر فى الأسواق ويتفقد حال السلع ومدى سلامتها ، حتى أنه رأى بعض السلع وقد أصابها التلف وصاحبها يغش بها الناس ، فقال صلى الله علية وسلم " من غشنا فليس منا " وأن الغاش ليس بمؤمن ٠

وقال ﷺ: " إياكم والجلوس فى الطرقات " ، كما نهى القرآن الكريم عن التطفيف فى الموازين والمكاييل ، ونهى الرسول ﷺ عن الاحتكار والتسعير ٠

عن أبى سعيد الخدرى نهى عن المنابذة ، وهى طرح الرجل ثوبه بالبيع إلى الرجل قبل أن يقلبه أو ينظر إليه ، ونهى عن الملامسة ، والملامسة لمس الرجل الثوب لا لينظر إليه ٠

ومن وسائل الرسول ﷺ فى حفظ حقوق العاملين وزجره عن استغلال جهلهم بحال الأسواق والأسعار ، أنه منع تلقى الركبان وبيع الحاضر للبادى - للسمار - وبيع الرجل على بيع أخيه ٠

- ويجب أن يكون بارعا فى الاجتهاد ٠
- وأن يعمل بما يعلم ولا يكون قوله مخالفا لفعله حتى لا يتعرض لسخرية الناس من ناحية وتكون دعوته مقبولة من ناحية أخرى لأنه لا يجوز أن يدعوا لشئ يفقده ، وأيضا ليتجب قول الله تعالى فى ذم مثل هذا " أتأمرون بالبر وتنسون أنفسكم " ٠
- كما اشترط أن يكون مرتب المحتسب من بيت المال ، وكان له زى مميز ، حيث كان يرتدى زى العلماء ٠

مهام المحتسب :

كانت المهام الداخلة تحت وظيفة المحتسب عديدة والجهات الموكلة إلى نظرة كثيرة ولذلك كان يتخذ الأعوان للوفاء بعمله والقدرة على القيام به ، وكان من جملة الأعمال التى ينظر فيها ما يلى :

- العبادات وما يدخل تحتها من صلاة الجمعة وصلاة الجماعة فى المساجد وإقامة الآذان وصيام رمضان ٠
- والتجارة وما يتصل بها من موازين ومكاييل وصنجات ومقاييس وغش وتدليس فى السلع وأثمانها ٠
- والأطعمة والأشربة ومحلات تحضيرها وبيعها كالمطاعم وغيرها ٠

- والملابس والثياب ومصانعها ، ومحلات الصياغة والصرافة والصباغة ٠
- ومنع المضايقة والتعدى على الطرق ، ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار فى الحمل ٠
- والحكم على أهل المبانى المتداعية للسقوط بهدمها وإزالة ما يتوقع من ضررها ، والعناية بالمرافق العامة وملاحقة إصلاحها ٠
- وكان يشرف على الأمور الصحية من حيث مراقبة الأطباء والصيادلة ، وقيامهم بعملهم من غير أضرار ، ومراقبة الحمامات والباعة الجائلين ، والأفران والسقائين وغيرهم ٠
- وكان يراقب الفنادق ـ والصناعات المختلفة ٠
- وراقب الكثير من الأمور التى تتصل بالحياة الاجتماعية فى المجتمع والخاصة بمصالح الناس العامة ومعايشهم ٠

وكان للمحتسب سلطة تنفيذية مفوضة إلى رأيه ، وهو ما عرف بالتعزير ، الذى هو نوع من العقاب لم يقرره القرآن ، وكان يستعين فى تنفيذه بالأعوان وشمل التعزير عدة أنواع منه : الردع بالقضاء على شئ محرم ، والتوبيخ بالقول أو الضرب ، بالسوط المتوسط أو الغليظ، أو بالدره وهى من جلد البقر أو الجمل٠

ومن التعزير أيضا النفى من البلد ، والتشهير أو التجريس ٠

وبعد دراسة الحسبة والمحتسب نجد أن الهدف من الحسبة أمر دينى يقضى بالمحافظة على حياة الناس ، وابتغاء مرضاة الله فى جميع تصرفاتهم ، وكان يقوم بذلك المحتسب الذى تطورت وظيفته واتسعت مهامه ، فكان ينظر فى أحوال الرعية ، وكشف أحوال الأسواق ، ومنع التجار من الغش والاحتكار ، وكذلك مراقبة صانعى الأطعمة مثل الخبز والحوم والحلويات ومراقبة السقائين ، والإشراف على المساجد والتدقيق فى اختيار الأئمة والوعاظ والمؤذنين وغيرها من الأمور ، وهكذا كانت الحسبة والمحتسب فى الحضارة الإسلامية نظاما متكاملا يشرف على شتى مناحى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والصحية ٠

- **الشرطة :**

الشرطة وهى وظيفة من وظائف السيف وموضوعها تنفيذ العقوبات ، وبعد الفتح الإسلامى امتدت أطراف الدولة الأسلامية إداريا ، وأنشئت الدواوين وبيت المال ، وبعد

زيادة الخراج أصبحت المدينة فى حاجة ماسة إلى حراسة ليلية مستمرة ، فخصص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لهذه المهمة بعض الرجال الذين يتناوبون الحراسة فيما بينهم فى نوبات ودوريات متبادلة ، وسموا هؤلاء بالشرطة لأنهم أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها ٠

وكانت وظيفة الشرطة هى توفير الأمن والأمان للمواطنين ، وحراسة مؤسسات الدولة العامة ، وأطلق على الرجال الذين يقومون بهذه المهمة اسم العسس وذلك خلال عهد الخليفة عمر بن الخطاب ٠

وكان الخليفة عثمان بن عفان أول من اتخذ صاحب شرطة ، وكان الولاة على الأمصار يتخذون صاحب شرطة لهم ، فكان للوالى فى أغلب الأحيان حق تعيين صاحب شرطة على أنه كان بمثابة نائب الوالى حيث كان ينوب عنه فى إدارة البلاد أثناء غيابه للحج أو الحرب ، كما كان ينوب عنه أيضا فى إقامة الصلاة ٠

وكان الخلفاء يتدخلون فى بعض الأحيان فى تعيين أصحاب الشرطة ولجأ بعضهم إلى تعيين صاحب الشرطة فى منصب الوالى تنحية الوالى أو وفاته ، وهذا بطبيعة الحال راجعا إلى تمرس أصحاب الشرطة فى الحكم ٠

وكان لأبى جعفر المنصور صاحب شرطة على العدوى - المفاسد - وصاحب شرطة للحربة أى يكون ملازما للخليفة ويسير بين يديه ٠

وخلال عهد المأمون عرفت الشرطة نظام المباحث حيث كان له عدد من النسوة العجائز يأتونه كل مساء بأخبار اللصوص وقطاع الطرق والمعارضين السياسيين .

وبعد ما كان رئيس جهز الشرطة يسمى فى خلافة بنى أمية " صاحب الأحداث " سمى فى العصر العباسى " وفى دولة الترك عرف باسم والى الشرطة " ، وكان يطلق عليه فى الأندلس اسم " صاحب المدينة " واسم الحاكم فى بلاد أفريقية ٠

مهام صاحب الشرطة :

كانوا يساعدون الولاة فى مهامهم بجانب مساعدة القضاة فى تنفيذه أحكامهم ، هذا بجانب تنفيذ العقوبات التى كانت تفرض على بعض المخالفين والمذنبين من قبل المحتسب ٠

كانوا يحافظون على الأمن الداخلى بمنع وقوع الجرائم والقبض على الجناة وإقامة الحدود عليهم وتنفيذ عقوبات السجن وغيرها ٠

- ومن مهامهم نشر الفضيلة والمحافظة على الأخلاق الفاضلة ومنع الفساد ٠

- وأسندت إليهم بعض المهام الأخرى بجانب الحراسة ومنع الفساد حيث كانوا يساهمون فى إطفاء الحرائق ، وتحصيل الجزية وإصدار الدنانير ٠
- وأيضا الإشراف على السجون ومراقبة أسوار المدن وأبوابها ، هذا وكان للشرطة زى خاص وأسلحة خاصة شملت الحربة والطبرزين - وهى عبارة عن سكين طويلة أو بلطة يعلقها فى وسطه ، والسوط الذى كان يصنع من الجلد ٠
-

- **الدواوين :**

اختلفت فى أصل كلمة ديوان فقيل أنها ترجع إلى العربية ومعناها الأصلى الذى يرجع إليه ويعمل بما جاء فيه ٠ ومنه قول ابن العباس : إذ سألتمونى عن شئ من غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فإن الشعر ديوان العرب ، ويقال دونته أى أثبته ٠

ويطلق الديوان على مجتمع الصحف أو الكتاب أو السجل أو الدفتر الذى يكتب فيه أسماء المقاتلين ومقدار ما خصص لهم من عطاء وأرزاق كما صار يطلق على المكان الذى يجلس فيه الكتاب وتحفظ فيه السجلات ٠

نشأة الدواوين :

لم يفرض الرسول ﷺ ، ولا أبو بكر الصديق رضى الله عنه للمسلمين عطاء مقررا ، ولكن كانوا إذا غزوا وغنموا إخذوا نصيبا من الغنائم قررته الشريعة لهم ، وإذا ورد إلى المدينة ما من بعض البلاد ، أحضر إلى الرسول ﷺوفرق فيهم حسب ما يراه ، وجرى الأمر على ذلك فى خلافة أبو بكر ٠

فلما كانت سنة ١٥هـ / ٦٣٦م خلال خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه رأى أن الفتوح قد توالت وأن الأموال قد زادت ، فرأى التوسيع على المسلمين وتفريق تلك الأموال ، ولم يكن يعرف كيف يضبط ذلك فأشار عليه جماعة من الفرس المسلمين بالأخذ بنظام الدواوين عن الدولة الفارسية ٠

وفطن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه لذلك وكان أول من وضع الواوين ورتبها من العرب فى الإسلام وكان الديوان الذى وضعه هو " ديوان الجند " ولكنه كان يعرف باسم الديوان فقط لأنه الديوان الوحيد فى المدينة ، حاضرة الدولة الإسلامية آنذاك وكانت هناك دواوين مماثلة فى الأمصار مثل البصرة والكوفة والشام ومصر وغيرها ، ورأى الخليفة عمر أن يجعل العطاء على حسب السبق فى الإسلام ، ثم استخدم الكتاب فى الدواوين ، وهم رجال مدنيون من أرباب الأقلام ، وكان معظمهم من أهالى البلاد المفتوحة

، وظلت تستخدم فيها لغات غير العربية ، فكان ديوان الشام بالسريانية أو باليونانية ، وديوان مصر بالقبطية وديوان فارس والعراق بالفارسية ،ولذلك أصدر الخليفة الأموى قراره بتحويل هذه الدواوين إلى اللغة العربية بدلا من اللغات المحلية (٨٧هـ / ٧٠٦م) ٠

وخلال العصر العباسى أصبح لموظفى الدواوين مكانة كبيرة ، حيث كانت لهم علامات تميزهم عن غيرهم من رجال الدولة ، مثل الواة والكرسى ، والمخدة والمسند والمرتبة وهى أدوات تستخدم فى الكتابة والجلوس فى الديوانى ، وكانوا يتميزون فى ملابسهم بعمائم كبيرة تتفاوت فى ضخامتها حسب مراتبهم ، وكان يطلق عليهم أصحاب العمائم ٠

ويذكر قدامة بن جعفر أنه خلال العصر العباسى كان هناك مجلسين لديوان الجيش هما مجلس التقرير ويجرى فيه أمر استحقاقات الرجال ، وتقدير أرزاقهم ، والثانى مجلس المقابلة ويختص فى السجلات وتصفح الأسماء ٠

- **ديوان الخاتم :**

كان معاوية بن أبى سفيان أول من اتخذ ديوان الخاتم وذلك على أثر التزوير الذى وقع فى إحدى رسائله إلى بعض ولاته وقد عرف الختم على الرسائل والصكوك من قبل الإسلام ، وقبل كان للأكاسرة أربعة خواتيم ٠

فكان على خاتم الحرب والشرط " الأناة " ٠

وعلى خاتم الخراج والعمارة " التأييد " ٠

وعلى خاتم البريد " الوحاء " ٠

وعلى خلتم المظالم " العدل " ٠

واتخذ الرسول صلى الله علية وسلم خاتما من فضة ونقش فيه " محمد رسول الله " وكان يختم به الكتب التى كان يبعث بها إلى الملوك والرؤساء ، وختم الخلفاء من بعده حتى سقط من يد عثمان بن عفان رضى الله عنه فى بئر أريس ، فصنع عثمان إخر على أمثاله فلما كان عهد معاوية رتب وظيفته واتخذ له الديوان ، واتخذ كل خليفة من بعد نقشا خاصا لخاتمة ، وكانت الكتب الموجهة من دار الخلافة تمر به وتثبت فيه ، وتختم بخاتم الخليفة ، وذلك بعد أن تكون قد مرت على دواوين عدة ، وتم التأكد من صحتها ، وبلغ من أهمية الخاتم أن كان الوزير فى العصر العباسى إذا تناوله ليختم به كتابا وقف

تعظيما للخلافة وإجلالا لاسم الخليفة واستمر هذا الديوان إلى أواسط العصر العباسى ثم ألغى لتحول الأعمال إلى نظر السلاطين ٠

ديوان الرسائل :

يبدوا أن تنظيم هذه الوظيفة وترتيب ديوان لها تم فى خلافة عبد الملك بن مروان وعرف ديوان الرسائل باسم ديوان الإنشاء منذ أخريات الدولة العباسية .

وكان ديوان الرسائل من الدواوين الجليلة فى الدولة وكان من يتولاه يتمتع بحظوة متقدمة عند الخليفة ، وكان يخاطب فى عهد الفاطميين بالشيخ الأجل ويقال له كاتب الدست الشريف ، وتسلم إليه المكاتبات الواردة مختومة فيعرضها على الخليفة، ويأمر بالإجابة عنها، وكان الخليفة يستشير رئيس ديوان الإنشاء فى أكثر الأمور، ولا يحجب عنه متى أراد المثول بين يدى الخليفة٠

وقد أصبح عمل هذا الديوان معقدا ، فتعددت اختصاصاته وكثر من يعملون فيه ، فقد وجد فيه كتاب رئيسيون يقومون بالكتابة والإنشاء ، آخرون مساعدون يقومون بالتلخيص والتبييض ، وكان لاتد للعاملين فيه من اتقان اللغة العربية ، وعرفة اللغات الأخرى مثل التركية الفارسية ، واليونانية والأرمنية ، وكان به أرشيف توضع فيه أصول كل ما يصدر عنه وله مشرف خاص يسمى " الخازن " ٠

ديوان البريد :

البريد تبليغ إجراءات ولاة الأمر إلى الأطراف وتوصيل الترتيبات المتعلقة بهذه الأطراف إليها ونقل أخبار هذه الأطراف وحاجاتها إلى ولاة الأمر، ومن ثم الوقوف على مجريات الأمور فى الدولة ٠

كان البريد سنة قديمة وأسلوب متبعا فى عهد الأكاسرة من ملوك الفرس والقياصرة من ملوك الروم وبدأ البريد بهذا منذ عهد الرسول ﷺ ومن المهام التى أداها البريد زمن الرسول تلك السفارات التى بعثها ﷺ لأكابر الملوك والأمراء ، كانت مهمتها جميعا هى الدعوة للإسلام .

وبلغ من اهتمام الرسول ﷺ بالبريد أنه أمر عناله أن يبردوا له البريد مع أناس يتوافر فيهم حسن الوجه وجمال الخلقة ، وكان ﷺ حريصا على توافر تلك الصفات فى من بعثهم إلى الملوك المعاصرين له ، وذلك لعلمه بأن المبعوث إنما هو لسان مترجم لرغباته وآرائه ، وإذا لم يكن كذلك خسر مهمته ورجع على مرسله بالخسران المبين ٠

ومن نواحى اهتمام الرسول ﷺ بالبريد أنه اتخذ الخاتم وختم به أبو بكر وعمر وعثمان من بعده ، وسبب اتخاذ الخاتم أنه قيل أن العجم لا يقبلون كتابا إلا أن يكون مختوما ، لأنهم يرون ختم الكتب تعظيما للمكتوب إليه ٠

ومنذ عهد الرسول ﷺ كانت أخبار الجيوش الإسلامية فى ميادين القتال ، وأحوال الأمور فى الولايات تصل إلى ولاة الأمر فى حاضرة الدولة باستمرار ٠ وكانت توجيهات ولاة الأمر تصل الأمصار ، والاتصال بين الجانبين لا ينقطع ٠

البريد العباسى :

اهتم المهدى بالبريد حيث أقام طريق للبريد بين مكة والمدينة واليمن ولم يقم هناك بريد قبل ذلك ، ولم يكتف المهدى بذلك بل اهتم بطريق البريد ومنازله وأقام فيها البغال والإبل ٠

واستخدم الخلفاء العباسيون البريد كوسيلة من وسائل استتاب الأمن وقمع الثورات ، ولما آلت الخلافة إلى هارون الرشيد أشار عليه يحى بن خالد البرمكى بإجراء البريد والاهتمام به ، وبين له فوائده والمزايا التى تجنيها الدولة من العناية به ، فأمره الرشيد بإقراره ، وكان يحى خير من يضع الأمور فى نصابها فصب نظام البريد فى قالب جديد وجعل له المراكز والبغال وكان لا يجهز عليه إلا الرشيد أو صاحب الخير وظهرت أهمية البريد خلال عصر الأمين والمأمون وذلك من بغداد إلى خرسان٠

والبريد فى تاريخ الحكم الإسلامى شمل ثلاثة أنواع هى :

الأول : البريد البرى : وكانت طرقه تمتد من عاصمة الدولة نحو الأمصار ، وتنتشر على هذه الطرق منازل أو محطات للبريد ، هذه المحطة فى الغالب تتألف من خان ومسجد وسقاية ، وفيها دواب البريد ومن يتعدها بالخدمة والعناية ، وكانت دواب البريد تضم البغال والخيل والإبل ، وكانت معلمه بعلامات مميزة ، وكانت تعرف بـ " دواب البريد " وكان توفير الدواب للبريد يتم بطريقتين الأولى : ربط الدواب والعناية بها فى الإسطبلات التى كانت تعرف بالإسطبلات السلطانية ، والثانية : إعطاء إقطاعات للعربان النازلة بالقرب من محطات البريد وتكليفهم بتقديم ما يلزم من الخيل للبريد وعرفت هذه الخيول باسم خيل الشهارة وقد استخدمت النجب من الإبل وكانت العرب تفصلها على غيرها لأنها أسرع من الخيل وأصبر على السير ، وكان يطلق اسم النجابون على من ركبها فى هذا السبيل ٠

واستعين فى أغراض البريد بوسيلة أخرى وهم الرجال الذين أطلق عليهم اسم الفيوج أو السعادة ، وهم رجال خفاف تعودوا على الجرى والصبر على السير حتى كان أحدهم يقطع ثلاث مراحل فى مرحلة واحدة ، وقيل أن بعض رجال البربر كان يتبع الفارس فيلحقه ،

ويجرى وراء الغزال فيقتنصه ٠ ويذكر القلقشندى كيفية نقل الخبر بالبريد بقوله : كانت الرسالة تخرج بما يرسم به لمن يركب فى المهمات السلطانية وغيرها ، وكان للبريد ألواح من نحاس أو فضة ، كان اللوح منها بمقدار الكف أو نحوها ، منقوشة على أحد وجهيه ألقاب السلطان ، وعلى الوجه الآخر لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ٠

وهذه الألواح كان بها شرابة من حرير أصفر ، فإذا حضرت الرسالة إلى كاتب السر دفع إلى البريدى لوحا من تلك الألواح فيجعلها البريدى على صدره ، وشرابه الحرير الأصفر يعلقها فى رقبته ، وكتب إلى صاحب الأسطبل السلطانى ليفرج له عما يلزم من الخيل ، ويختم الكتاب وتسلم إليه ، ويكتب له ورقة بالطريق الذى يتوجه بسببه فى دفتر - ديوان الإنشاء - الرسائل - ولذلك كان ديوان الإنشاء أو الرسائل وديوان البريد مضافين إلى نظر متولى واحد ٠

البريد الجوى :

وكانت وسيلة الحمام الزاجل الذى كان يتخذ لحمل المكاتبات على شكل بطائق تعلق به ويعرف باسم الهدى من الوسائل التى انتشرت فى العصور الإسلامية والوسطى وقد اعتنى بحمام المراسلات خلفاء بنى العباس وتنافس الناس فى العراق وخاصة بالبصرة فى اقتنائه ، وصار الحمام متجرا من المتاجر بين الناس ، وبلغ ثمن الطائر الفاره منه سبعمائة دينار ، وشاع استعماله زمن السلطان نور الدين محمود ، وأقيمت له الأبراج فى الطرق ، وكان يوضع فى أبراج دمشق من حمام مصر ، ومن حمام دمشق أبراج مصر ٠

وكانت الرسائل التى يحملها هذا الحمام من ورق خفيف يسمى بطائق أو ورق الطير ، تحمل تحت جناح الحمام لحفظها من المطر ، ثم حملت بعد ذلك فى الذنب وكان يكتب فى هذه الرسائل أمور مختصرة من لب الكلام من غير حشو ، وتؤرخ بالساعة واليوم ولا داعى للسنين وحرصا على وصول الرسالة كانت الرسالة تكتب من صورتين ترسلان مع حمامتين تطلق أحدهما بعد الأخرى حتى كان الحمام يصبغ بلون أزرق كلون السماء حتى لا يرى أو يطلى بلون السواد لكى لا يراه العدو إذا أطلق ليلا ٠

وكان حمام البريد يميز بعلامات " دغامات " فى أرجلها أو على مناقيرها ، وكانت الرسالة إذا مرت بمركز ما كتب الوالى بمرورها إلى أن تصل مختومة ٠

وجرت العادة ألا يطلق الحمام فى الجو الممطر ، ولا أن يطلق قبل تغذيته الغذاء الكافى وكانت مغارات الحمام " الأبراج " على بعد أطول مسافة من محطات البريد البرى حيث

كانت المسافة بين الواحدة والأخرى تبلغ ثلاثة عشر ميلا وأقام لها نظار وحراسا يراقبون وصول الحمام نهارا وليلا خوفا من أن يمر عليهم وهم عنه غافلون ، وكانت أسرع أنواع الحمام تقطع من ٤٠ إلى ٥٠ ميلا فى الساعة ، وأقل الأنواع سرعة تقطع من ٢٥ إلى ٣٠ ميلا ، وكانت متوسط طيران الحمام ٣٥ ميلا فى الساعة ٠

البريد البحرى :

حيث كانت تستخدم المراكب البحرية ، ويقول الحسن بن عبد الله وإذا كانت البلاد بحرية فليكن لصاحب الخبر مراكب خفيفة سريعة وكان الحجاج بن يوسف الثقفى أول من أجرى فى البحر السفن المقيرة السمسرة غير المخرزة والمدهونة ٠

وهناك طريقة أخرى للبريد المائى وهى أن توضع الرسالة ضمن صندوق محكم الأقفال ويجعل نقله متوازنا بحيث لا يطفو على وجه الماء ولا يغرق فى قاعة منعا لظهوره أو وقوفه على الأرض، ثم يلقى فى النهر أو الترعة فيندفع بالماء لغاية مركز الجيش الآخر وهناك يقع فى شباك معدة ٠

ومن طرق البريد المائى أنه كانت تكتب الرسالة وتعلق فى قصبة وتغرس القصبة فى باقة حشيش وتلقى فى الماء فيعوم الحشيش ولا يزال جاريا بمجرى النهر حتى يراه المرسل إليه٠

التخاطب بالمشاعل والطبول :

بجانب طرق البريد التى ذكرناها عرفت الدولة الإسلامية طريقة نقل الرسائل والإشارات عن طريق إشعال النيران حيث وضع نظام لاستعمالها وعمال لمراقبتها ، وعرفت الأماكن التى تشعل فيها النيران بالمناور ، ومواضع رفع النار فى الليل والدخان فى النهار وذلك للإعلام بقدوم عدو وكانت هناك شارات يتفق عليها المنورين عند نقل الخبر ، وقد نشر العرب هذه المناور من الإسكندرية حتى طنجة على طول الساحل الأفريقى الشمالى ، فإذا وقعت واقعة ذات خطورة أوقدت النيران من طنجة ولا تزال من برج إلى أخر حتى يبلغ ذلك الإسكندرية فى ليلة واحدة ومن طرابلس إلى الإسكندرية تصل الرسالة النارية فى ثلاث ساعات إلى أربع ساعات ٠

أما الطبول فقد استخدمت أيضا للتخاطب ونقل الأوامر ومثال لذلك أن الأفشين قائد الخليفة المعتصم بالله العباسى عندما كان يحارب الثائر بابك الخرمى وتعذر اتصاله بجنده فى ميدان القتال لكثرة الدروب وتشعب الطرقات بين جبال أذربيجان العظيمة الارتفاع

والكثيرة الالتواء استعان بالطبول لإعلان قواته بحركات سيره ووقوفه ، وبلغت طبوله الكبار واحد وعشرين طبلا ٠

ديوان الطراز :

كان ديوان الطراز معروفا لدى الفرس والروم ، إلا أن هذه الوظيفة لم تنشأ فى عهد الرسولﷺ وعهد الخلفاء الراشدين رضى اللع عنهم وذلك لبعد الحكم الإسلامى فى هذه الفترة عن أبهة الملك وفخامة السلطان إنما ظهرت فى عهد بنى أمية ٠

وكان ديوان الطراز يشرف على دوار الطراز ٠ المعامل ، المصانع التى كانت تقوم بصناعة الثياب والملابس الخاصة بالخلفاء والسلاطين وحاشيتهم ، كما كان يصنع بها الشارات والأعلام والفساطيط وملابس الجند وغيرها ، وكان الخلفاء يقلدون هذه الوظيفة بخواص دولتهم وثقات مواليهم ، فكان صاحب ديوان الطراز ينظر فى أمور الصباغ والآلة والحاكة فى دور الطراز وإجراء رزقهم ومشارفة أعمالهم .

ديوان الصدقات :

ويقوم هذا الديوان بالنظر فى الأموال المستحقة فى أموال المسلمين ، وهى أموال ظاهرة لا يمكن إخفاؤها كالزرع والثمار والمواشى ، وأموال باطنة يمكن إخفاءها كالذهب والفضة وعروض التجارة وإذا أخذت زكاة هذه الأموال صار الحال إلى توزيعها فى الأصناف الثانية التى ذكرها الله تعالى فى كتابة العزيز (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله ، والله عليم حكيم) ٠

- الفقراء : هم الذين لا شئ لهم ٠
- المساكين : أسوأ حالا من الفقير لأن المسكين هو الذى أسكنه العدم ٠
- المؤلفة قلوبهم : هم المسلمون حديثا أو الذين أضيروا بسبب إسلامهم ٠
- معنى الرقاب : ما ينفق من الزكاة لتحرير العبيد ٠
- الغارمون : هم الذى استدانوا لحاجة وعجزت مصادرهم عن سداد ديونهم ٠
- وفى سبيل الله : الغزاة الذين لم يفرض لهم فى ديوان العطاء ٠
- ابن سبيل : هو المسافر المتقطع الذى لم يتبق معه ما يستعين به على سفره ٠
- العاملين عليها : هم عمال الزكاة أو جامعوها ، فيدفع لهم أجرهم ٠

ديوان النفقات :

وكان من اختصاصه النظر فى مصروفات الدولة ، واستمر عمل هذا الديوان خلال العصر العباسى ، وصار يضم المجالس التالية :

- مجلس الجارى : ويختص بأمر استحقاقات الحشم ٠
- مجلس الإنزال : ويقوم بمحاسبة التجار الذين يتولون تقديم الطعام فى حالة الإقامات والإنزال ٠
- مجلس الكراع : ويباشر أمر العلوفة الخاصة بالدواب وسياستها وعلاجها وأرزاق القائمين عليها ٠
- مجلس البناء والمرمة : ويتولى محاسبة الزراع والمهندسين والصناع وباعة مواد البناء ٠
- مجلس الحوادث : ويقوم بتولى أمر النفقات الطارئة ٠
- مجلس الإنشاء ومجلس النسخ لتسجيل كل ذلك ٠

ديوان بيت المال :

ويعرف بالديوان السامى ، وهو أصل الدواوين ومرجعها إليه ، ووظيفته ثبت جميع أصول الأموال السلطانية على أصنافها من عين وغلال وفئ وغنائم وأعشار وأخماس ويثبت ما تحصل من ذلك ، ويتخذ بيوتا لأصناف الأموال ويجعل عليها دواوين وحرسا ، فالأموال والقماش لها ديوان الخزانة ، والغلال لها ديوان الأهراء ، والأسلحة والذخائر لها ديوان خزائن السلاح ٠

ويكون لصاحب هذا الديوان علامة على الكتب والصكاك والاطلاقات يتفقدها الوزير وخلفاؤه ويراعونها ويطالبون بها ، وكان الوزير يطالب صاحب المال برفع حساب فى كل أسبوع ، ليعرف ما حل وما قبض وما بقى وكان من واجبات صاحب بيت المال أن يقدم فى آخر كل شهر حسابا كان يطلق عليه اسم " الختمة " وحسابا فى آخر السنة يسمى ختمة جامعة ٠

وإلى جانب هذه الدواوين التى بدأت فى عهد الخلفاء الراشدين أو فى عهد الخلفاء من بنى أمية واكتسبت فى العهود التالية مزيدا من الترتيب والتنظيم فى الغالب ظهرت هناك دواوين أخرى ترجع فى معظمها إلى العصر العباسى ومن عاصرهم أو من جاء بعدهم ومنها الآتى :

- **ديوان الأحشام :** وهو ديوان الذين كانوا فى خدمة البلاط ٠
- **ديوان الحوائج :** واختص بجمع الرقاع - الشكاوى - من المشتكين وتقديمها للخليفة ٠

وقد ذكر اليعقوبى هذين اليوانين التى نقلها أبو جعفر المنصور إلى بغداد سنة ١٤٦هـ / ٧٦٣م حين أتم بناءها ٠

- **ديوان المصادرين** : لتسجيل أسماء من صودر أموالهم ومقدار ما صودرت عليه ٠
- **ديوان الضياع :** واختص بإدارة ضياع الخليفة وأسرته وجميع هذه الدواوين كانت فى خلافة أبى جعفر المنصور٠
- **ديوان الصوافى :** وكان يتولى إدارة الأراضى التابعة لنظر خليفة المسلمين ٠
- ديوان الموالى والغلمان : واختص بتسجيل موالى الخليفة وعبيده ٠
- **ديوان المواريث** : وكان يختص بأموال من لا وارث له أو توفى ويرث أقاربة جزء من تركته فيصبح الجزء الباقى من حق ديوان المواريث الغاه الخليفة المعتضد سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦م ، حيث أمر برد الفاضل من تركة المواريث على ذوى الأرحام ٠
- **ديوان الجهبذه :** وكان يتولى النظر فى الحسابات المالية وتدقيق موارد المال وبقايا أموال المطالبات التى كان يتعذر على أهل الخراج أداؤها فى وقت المطالبة ٠
- **ديوان الأكرة :** وكان يشرف على القنوات والترع والجسور وشئون الرى ٠
- **ديوان الماء :** وكان يحفظ فيه خراج كل من أرباب المياه وينظر فيما يملكه أرباب المياه من الماء وما يباع وما ينقص منه ٠

الفصل الثالث

النظم الحربية

وحكمة الجهاد أن يعبد الله وحده مع ما يتبع ذلك من دفع العدوان والشر وحفظ الأنفس والأموال ورعاية الحق وصيانة العدل ونعيم الخير ونشر الفضيلة ، قال تعالى ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّه﴾ ٠ وفرض الجهاد أيضا وذلك فى قوله تعالى : ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ ثم أمروا بالقتال بشرط انسلاخ الأشهر الحرم ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾ ثم أمروا بالقتال مطلقا وذلك فى قوله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ ٠

وهذا الجهاد لم ينبثق عن مؤسسة عسكرية ، ولم يؤد الحال إلى ظهور مؤسسة الجيش بمفهوم الجيش النظامى وما يتطلبه من رواتب وملابس ومأكل ووسائل نقل وأسلحة وغيرها ، وظل الجيش فى عهد الرسولﷺ من جميع المسلمين، وكانوا إذا استنفروا نفروا ، وإذا وضعت الحرب أوزارها رجعوا إلى مألوف حياتهم ٠

وكان كل مقاتل يجهز نفسه بأسلحته ودابته إ فإن لم يتح له ذلك استطاع أن يحصل على الدابة من مخازن الصدقة ٠

ولما بدأت التوسعات خلال عصر الراشدين احتاجت الدولة إلى جيش كبير دائم يكون على استعداد أيام الحرب والسلم على السواء ، ففى عهد عمر بن الخطاب ﷺ كثرت الأموال ، فقام بتأسيس ديوان الجند وذلك سنة ١٥هـ/٦٣٦م وجعل للجند رواتب مخصصة واعاشة مفروضة لأولادهم ، وحظر عليهم مزاولة الأعمال الأخرى ، ومنذ ذلك الوقت صار الجيش مؤسسة ذات كيان مستقل تعتمد فى تمويلها على الدولة ٠

وكان الخليفة بحكم ولايته العامة قائدا للجيش ، ولكن الخلفاء لم يكونوا يقومون بهذه المهمة إلا نادرا ، وكانوا يقيمون ويبعثون الجيوش ويولون عليها الأمراء ويمدونهم بالعساكر ، وكان خروجهم على رأس الجيوش قليلا ولا يحدث إلا لأمر عظيم ، فقد قاد على بن أبى طالب الجيش بنفسه فى حروب الجمل وصفين وفى الولايات كانت قيادة الجيش تعود إلى الولاة أو من كانوا ينيبونهم عنهم ولم تكن على أية حال أخبار الجيوش تغيب عن الخليفة وكانت أخبارها توافية باستمرار منذ أن تخرج إلى ساحة القتال وحتى تعود إلى قواعدها ٠

وخلال العصر الأموى تطور تطورا كبيرا ، حيث أدخل نظام التجنيد الإجبارى فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وكانت الدولة الأموية دولة حرب زادت الحروب والفتوحات خلال عصرها

منذ العصر العباسى أخذت أعداد هذه العناصر تزداد كثافة لأسباب تتصل بمهد الدعوة العباسية وظروف قيام دولتهم ، فقد كثرت العناصر الخرسانية فى الجيش فى بداية قيام الدولة ، وزاد عدد الأتراك ، فى عهد المعتصم ثم ظهر عنصر المغاربة ، والفراعنة ، ولما ظهرت الإمارات المستقلة بدأ حكامها فى تكوين جيوش خاصة بهم من أجناس مختلفة ٠

أما عن أعداد الجيش الإسلامى ، فقد بدأت متواضعة لا تتجاوز المئات فى بداية قيام الدولة الإسلامية ثم صارت تكبر وتزداد بازدياد الداخلين فى الإسلام ، ، وسار هارون الرشيد سنة ١٦٥هـ / ٧٨١م فى خلافة أبيه المهدى فى الالصائفة إلى بلاد الروم فى ٩٥,٧٩٣، خمسة وتسعين ألف وسبعمائة وثلاث وتسعين رجلا وهذه أمثلة لا تحصى عدد الجيش الإسلامى بأكمله إنما تدل على ازدياد عدد الجيش ، حيث كان الجيش موزعا بين الشام ومصر وأفريقية والأندلس والعراق وخرسان والثغور الإسلامية ، فعلى سبيل المثال كان الجيش خلال العصر العباسى يبلغ مئات الألوف من الجند ، فكان جيش العراق وحده يبلغ ٥٢ ألفا ٠

تمويل الجيش :

ذكرنا أن الجيش زمن الرسولﷺ كان يعتمد فى تمويله على الاكتفاء الذاتى حيث كان كل مقاتل يجهز نفسه بأسلحته ودابته ، فإن لم يتح له ذلك استطاع أن يحصل على دابة من بيت الصدقات ، وكان الأفراد يتدبرون مما كان بين أيديهم من زراعة أو تجارة أو إبل أو ماشية ، أو ما تقدمه الدولة من سلاح وخيل تشتريها من حظها من خمس الغنائم ، وما تأخذه من أهل الذمة - الجزية - وما كان يصرف من أموال الزكاة فى هذا السبيل ٠ وبعد تأسيس ديوان الجند صار الجند يصرفون جزءا من رواتبهم فى تجهيز أنفسهم وإعداد ما يلزمهم فى السفر والقتال ، وبلغت نفقات الجيش الذى قاده هارون الرشيد فى عهد أبيه المهدى لغزوا الروم ١٩٤,٤٥٠ دينار ومن الورق واحد وعشرين ألف ألف وأربعمائة وأربعة عشر ألف وثمانمائة درهم ٠

تشكيلات الجيش :

كان الجيش أول الأمر قد اتبع نظام الصف فى القتال ، وجاء فى القرآن الكريم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾(ثم اقتضت الضرورة إلى تقسيم الجيش إلى نظام التبعية الذى يقوم على أساس تقسيمه إلى مقدمة وقلب وميمنه وميسره وساقه أى مؤخرة ، وهذا النظام يقوم على تقسيم الجند إلى مجموعات فى عشرات ومئات وألوف مربعات أو مثلثات أو أهله ، وأطلق على القائد الذى يقود عشرة جنود لقب عريف والذى يقود مائة لقب نقيب والذى يقود ألف لقب قائد ، أما لقب أمير فأطلق على القائد العام للجيش ٠

كان الجيش يتكون من وحدات ، كانت تتمايز عن بعضها بالرايات وكان لكل منها قائد وتتسمى بأسماء تدل على فعالها وصبرها فى القتال ،وبجانب المقاتلين من الفرسان والرجاله وجدت طوائف كثيرة تقوم بخدمة الجيش وتسهيل مهمته مثل النفاطين وضاربى المنجانيق ، والعيون وهم الطلائع الذين يرصدون تحركات العدو كما نجد القضاة والأطباء والمؤذنين والقراء والنجارين والحاملين مع الجيش ٠

أسلحة الجيش :

وكانت **السيوف** أبرز أسلحة العرب والمسلمين ، ومن أحبها إلى نفوسهم ، ومن ثم كثرت أسماؤها فى لغتهم وأشعارهم ومنها الأبيض والمهند والمشرفى ، والبصرية والسيرجى ، والمهند هو السيف المصنوع فى الهند ، والمشرفى نسبة إلى مشارف الشام أما السيرجى فهو نسبة إلى سريج وهو رجل من بنى أسد كان حدادا اشتهر بصناعة السيوف ، أما الرماح فقد اشتهرت عندهم ومنها الردينية - نسبة إلى إمرأة تدعى ردينة اشتهرت فى الجاهلية بسقيف الرماح ، والسهرية والخطية التى كانت تستورد من الهند وتباع فى مدينة الخط فى البحرين ، والرمح عبارة عن قضيب من الخشب ركب فيها سنان الحديد ولها أسماء أخرى مثل صعدة المستوى ، والعنزة وذلك إذا كان أقصر من العصا وأطول من الرمح ، ومنها أيضا النيزك والمطرد ، وأجود الرماح الصلب المستقيم الذى لا يثنى ، والرمح من الأسلحة التى يستخدمها الفرسان والمشاة ٠

ومن أسلحة المسلمين القسى ، ومن أجود أنواعها القسى العصفورية ، والقسى الماسخية وكانت الأقواس تصنع من أخشاب الأشجار ، وتستخدم السهام والنبال والنشاب للرمى بها ٠

وعرف المسلمون الدروع واستخدموها ، والدرع هو القميص الذى يلبسه المحارب ٠ ويصنع من الحديد أو الزرد ، والدروع نوعان الأول يصنع من صفائح الحديد والآخر

يصنع من حلق متضافر يصمد أمام طعنات السيوف وضربات السهام ويحمى المقاتل ، ٠

واستخدم المسلمون الخوذه البيضة وهى تصنع من الحديد وتلبس على الرأس حماية لها من ضربات السيوف ، والمغفرة هو من الزرد ويلبس تحت القلنسوة ، ومنها ما كان يغطى الصدر وهى الجواشن ٠

وقد **اهتم المسلمون بوقاية خيولهم** أثناء الحروب فألبسوها دروع تسمى تجافيف ، تغطى أجسامها وتصد عنها إصابات الأعداء ٠

واستخدم المسلمون النفط منذ زمن مبكر فى حروبهم ، وهو الذى استعمله الروم قبلهم ، وكانت فرقة النفاطين من الفرق الأساسية فى إرباك صفوف العدو ، وإحراق سفنه وقلاعه ، ويتكون النفط من تركيب كيماوى أساسه البترول ، وينسب اختراعه إلى يونانى اسمه كالينيكوس Kallinikos ، ونقله عنهم المسلمون ، وبرعوا فى استعماله إذ يوجد النفط فى أنحاء بلادهم ، فعرفوا منه الأسود الذى يوجد على ساحل البحر الأحمر ٠ ويسيل من أعالى جبل ، ويجمع فى خزائن وأبيض أو الطيا ، ويوجد فى العراق ، كما وجدت منابعة بجوار بحر قزوين وكان النفاطون يلقونه على العدو فى قارورات النفط أو قوارير (قدور النفط) ، أو بالنشاب أو من فوق ظهور الخيل ٠

وكانت آلات الحصار هى المنجنيقات والعربات والدبابات واستخدمها فى حصار المدنونقب الأسوار وهدم الحصون ، وان بدت هذه الآلات بدائية إلا أنها أثبتت فاعلية فى الحصار والمعارك التى خاضها المسلمون الأوائل

صناعة الأسلحة :

استخدم المسلمون جميع أنواع الأسلحة المعروفة فى العصر الوسيط فقد استخدموا السيوف والرماح والنشاب - أى السهام ذات النصول المثلثة - كما استخدموا أقواس الرحل ، وأقواس اللولب التى تشد بواسطة لولب وأقواس الركاب التى تشد من ركاب الخيل ٠

كذلك استخدموا ما يسمى باللتوت وهى أعمدة ذات رؤوس حديدية مستطيلة ومضرسة ، والدبابيس وهى تشبه اللتوت إلا أن رؤوسها مدورة ومضرسة والطبر أو الطبرزين وهى الفأس ٠

والدرق اللمطية لاتقاء ضربات العدو وسهامه وهى مغطاه بجلد اللمط وهو حيوان يعيش فى الصحراء كذلك لبسوا الخوذات أو البيضات الحديدية لحماية الرأس ، كما لبسوا

الجوش لحماية صدورهم أو الدروع المسبلة ذات المغاحر الملتحمة التى تغطى جميع أجزاء الجسم ٠

كذلك استخدم المسلمون أسلحة الحصار الثقيلة مثل المنجنيقات المدمرة للحصون والدبابات والكباش لنقب الحوائط والأسوار ٠

كل هذه الأسلحة صنعها المسلمون فى بلادهم الممتدة شرقا وغربا معتمدين فى ذلك على ما لديهم من مواد خام وأيد صناعية ماهرة ٠

فخام الحديد كان منتشرا فى فرغانة وكابل وكرمان وأذربيجان وأرميذية ، ولبنان والشام ، وصقلية ، والمغرب والأندلس ، إلى جانب الحديد المستورد من الهند وسيلان وروسيا وبيزنطة ٠

وعلى أساس هذه الخامات الحديدية قامت صناعة الأسلحة التى اشتهر باسم مكان صناعها فى العالم الإسلامى ٠

ومن السيوف :

- السيوف الفارسية ٠
- السيوف الشامية كالمشرفية ، والدمشقية ٠
- والسيوف الحنفية التى كانت تصنع فى الحجر عاصمة بنى حنيفة فى اليمامة ٠

وإلى جانب هذه الأسلحة التقليدية ، توصل المسلمون إلى اختراع أسلحة متطورة أمثال لذلك أنهم صنعوا قدورا خزفية فى حجم الرمانة محشوة بالجير الحى والنشاد والبول ، وأطلقوا عليها اسم القدور الكفيات لأنها تلقى على العدو باليد أو بالكف مثل القنابل اليدوية ، فإذا صطكت بجسم العدو العدو المدرع بالحديد انكسرت وخرجت رائحتها فى خياشيمه وسببت له اختناقا ٠

الجاسوسية :

كان النبى ﷺ يهتم بتعرف أخبار عدوه ، واستطلاع أحواله فكان يزكى العيون ليأتوه بخبره ، ويعلموه بأمره ، وسار الخلفاء من بعد الرسول ﷺ على نهجه فى هذا المضمار ، فنرى الخليفة عمر ﷺ ، يقول فى وصايته لسعد بن أبى وقاص : فأذك العيون بينك وبينهم ولا يخف عليك أمرهم ٠

وفى عصر العباسيين عنوا بها وأحكموا أمرها ، حتى أنهم كانوا يستخدمون لذلك الرجال والنساء الذين كانوا يذهبون إلى البلاد المجاورة متنكرين فى زى التجار ، أو الأطباء أو غيرهما ، ويتنسطون الأخبار ثم يعودون بها إلى الدولة لتحتاط للأمر ، ولن

تكن الجاسوسية أكثر نشاطا ولا أعم انتشارا فى بلد من البلاد منها فى الدولة البيزنطية التى كانت تنافس الدولة الإسلامية ٠

الأسلحة الوقائية :

استعمل النبى ﷺ لحسك ليمنع العدو من الدنو من جنده ، كما تستعمل الجيوش الآن الأسلاك الشائكة ، وكان المسلمون يستعملون الخوذة والبيضة لوقاية الجذع والأطراف ٠

وجه المسلمون عنايتهم نحو استغلال أيام النفط التى فى بلادهم والتى كانت تكثر فى إيران والعراق وصقلية أو فى طبرستان ، وفى سرقوسة ٠

ويصف ابن الشباط النوسى (ق ٧هـ) طريقة استخراج زيت النفط من الآبار ، وكيف أن الرجل الذى ينزل فى البئر كان عليه أن يغطى رأسه ويسد مسام أنفه وإلا هلك لساعته ٠

برع الجيش العربى الإسلامى فى كل فنون الحرب والمعرفة فى العصور الوسطى فكانوا فى حالة الدفاع يحفرون الخنادق ثم عمدوا إلى إنشاء القلاع والحصون ، واستخدموا الكمائن والخدع الحربية ، ولجأوا إلى عرقلة العدو بإحراق الأرض أو استخدام الثعالب والكلاب وذلك بأن يعلقوا النار فى أذنابها ثم يطلقوها لتعدو فى معسكرات العدو ٠

تميز الجندى العربى المسلم بالخفة وسرعة الحركة والصبر على الجوع والعطش والتعب ٠ وكان الانضباط عاليا بين صفوف الجند فقد شدد القواد على الجنود بالعقاب فى حالة العبث بالنظام أو الذين يتعرضون للسكان المدنيين ، وقد اتبع العرب المسلمون الرأفة مع الأسرى ومعاملتهم معاملة كريمة ، وسلكوا مسلكا إنسانيا مع الأعداء فكان لا يجوز قتل الشيوخ والرهبان والنساء والأطفال فالحروب والسلم ، واتبعوا أيضا أسلوب تبادل أسرى الحرب ، وأسلوب الفداء بالمال ٠

الأسطول :

مر الأسطول الإسلامى بمراحل عديدة وخصوصا أنه لم يكن عرب الحجاز أول الأمر – لبداوتهم – مهرة فى ركوب البحر ، فكانت البداية الحقيقية لنشأة الأسطول الإسلامى فى عهد الخليفة عثمان ﷺ عندما عزم أذن لمعاوية سنة ٢٧هـ / ٦٤٧م بغزو قبرص عن طريق البحر ، واشترط عليه اتخاذ الحيطة والحذر ، وقال له: " لا تنتخب الناس ، ولا تقرع بينهم ، خيرهم فمن اختار الغزو طائعا فاحمله وأعنه، ففعل " ٠

ولما استقر الأمر للمسلمين وشمخ سلطانهم وخضع سلطانهم لهم غيرهم تقرب إليهم كل ذى صنعة بمبلغ صناعته وأنشئوا لهم السفن والشوانى فاستخدموا لها من النواتية فى حاجاتهم البحرية مما تقوم عليها ، وتكررت ممارستهم للبحر وثقافتهم ، فاستخدموا الخطط وأنشئوا السفن وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح واختصوا لذلك شعوبهم فى الشام وأفريقية ومصر والمغرب والأندلس ٠

دور الصناعة :

كانت مصر فى مقدمة البلاد التى ساهمت فى بناء الأسطول الإسلامى لأن صناعة السفن كانت أكبر صناعات الإسكندرية ، و فى العصر الأموى كانت للخلافة ثلاث أساطيل مستقلة عن بعضها ، ويعمل كل منها فى منطقة معينة هى : أسطول مصر ، وأسطول سورية ثم أسطول شمال أفريقية ، هذا علاوة على وحدة بحرية صغيرة تعمل فى البحر الأحمر وقد انعقد لواء كل من هذه الأساطيل لأمير من أمراء البحر ٠

وعندما آلت الخلافة إلى بنى العباس واتخذوا العراق مركزا لهم بدأ اهتمامهم بأمور البحرية ضعيفا عما كان عليه الوضع خلال العصر الأموى واستمر ذلك ما يقرب من خمسين سنة ، بسبب انصراف الدولة عن شئون البحر ونفض يدها من محاربة البيزنطيين فى البحر المتوسط(٨٣) وقد ساعد على تجمد النشاط البحرى الإسلامى فى شرق البحر المتوسط انصراف الدولة البيزنطية هى الأخرى عن المصادمات البحرية مع المسلمين بسبب الفتن الداخلية وبعض المشاكل الخارجية التى عصفت بها كالنزاع الأيقونى ، وثورة توماس الصقلى ، سنة ٢٠٥هـ /٨٢٠م ، وكذلك الصراع مع البلغار منذ عهد قسطنطين السادس وأمه ايرين ، وساعد على تجمد النشاط البحرى الإسلامى أيضا انفصال المغرب الإسلامى والأندلس عن المشرق سياسيا ٠

وعلى الرغم من ذلك فقد أبدى خلفاء بنى العباسى اهتمامهم بالبحرية منذ عهد الخليفة هارون الرشيد وولى حميد بن معيوف سواحل بحر الشام ومصر سنة ١٩٠هـ / ٨٠٥م فغزوا جزيرة قبرص عندما نكث أهلها العهد مع المسلمين ، كما غزا جزيرة أقريطش ، على هذا النحو اهتم العباسيون بالبحرية الإسلامية المغربية والأندلسية فى غرب البحر المتوسط ٠

وقد اهتم أحمد بن طولون سنة ٢٧٠هـ / ٨٨٣م بإنشاء السفن الحربية وقام بتوسيع دار الصناعة وتحسينها ، وجعل لها أحواضا حول جزيرة الروضة ، كانت تعرف باسم " صناعة السفن " ثم انتقلت هذه الدار إلى الفسطاط أيام الاخشيد (٣٢٣-٣٣٤هـ / ٩٣٤-٩٤٥م) فغدت السفن الحربية والبحرية والنيلية تصنع فى " صناعة مصر " مرة وفى صناعة الجزيرة مرة أخرى ٠

ولما فتحت صقلية فى أيام الأغالبة فى عهد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب على يد أسد بن الفرات ازداد المسلمون رغبة فى غزو البحر ، فبالغوا فى إنشاء الأساطيل فى أفريقية ، والأندلس ، وبلغ عدد سفن الأسطول الإسلامى خلال عهد عبد الرحمن الناصر أواسط القرن الرابع الهجرى ٢٠٠ سفينة ، وكان اسطول أفريقية نحو ذلك ، وتعددت دور الصناعة هناك ٠

أنواع السفن :

كانت السفن الحربية أنواعا متفاوتة فى شكلها وقوتها وأحجامها تبعا للأغراض المختلفة التى صنعت من أجلها ، وقد أنتجت دور الصناعة من قطع الأسطول ومراكب البحر أنواعا كثيرة نذكر منها :

البطسة : والجمع بطسات وبطس ، وهى سفينة كبيرة يصل شراعها إلى أربعين شراعا ، واشتهر هذا النوع من السفن فى أيام الحروب الصليبية ، وهى تحمل آلات الحرب والأقوات والميرة والرجال ، وآلات الحصار ولها أسطحة عالية ، وطبقات كل طبقة خاصة بفئة من الجيش يفرش بالبسط وغيرها ، ووظيفة البطس الأصلية هو القيام بالأعمال القتالية فى البحر ، وتتسع لعدد كبير من الجند يصل إلى سبعمائة ٠

الشوانى : جمع شينى ، وكانت أهم قطع الأسطول الفاطمى ، وكانت تعرف بالأغربة ، لأنها كانت تطلى بالقار ، وكانت لها قلوع بيضاء فهى بذلك تشبة القربان ، ولها من

المجاديف مائة وأربعين مجدافا وكانت تتسع لمائة وخمسين رجلا، ومزودة بأبراج وقلاع تستخدم للدفاع والهجوم ٠

الحراريق : جمع حراقة وهى سفينة حربية تقوم برمى النار على الأعداء فى البحر ، وهى تلى الشوانى فى الأهمية ، وكان يجدف فيها بما يقرب من مائة مجداف

الأغربة : وهى جمع غراب ، من المراكب الحربية سريعة الحركة ، وسميت بذلك بسبب مقدمتها التى كانت على شكل رأس غراب ٠

الطرائد : جمع طريدة وهى سفن مخصصة لحمل الخيل وتسع الواحدة منها لحمل أربعين فرسا وكانت سريعة الجرى ٠

الشلنديات : وهى جمع شلندية ، نوع من المراكب الحربية المسطحة ، تستخدم لحمل الجنود والسلاح والمؤن ، وكان المقاتلون يرتادون ظهرها لقتال الأعداء ، بينما يجدف الجدافون تحتهم(٩٨) وكانت تصنع بدار الصناعة بالروضة ٠

المسطحات : جمع مسطح وهى كبار السفن المسطحة كانت تحمل الأسلحة للأسطول ٠ وتستخدم فى مطاردة العدو لسرعتها ٠

القوارب : جمع قارب والزوارق جمع زورق ضمن قطع الأسطول أيضا وهى مراكب من غير شراع وتستعمل فى العادة لنقل الأشخاص ٠

الخلية : وهى سفينة شراعية كبيرة ويتبعها زورق يقال له الركوه ، وسميت بذلك تشبيها بالخلية من الابل التى ترأم على ولد واحد ٠

جفن : سفينة حربية بطيئة الحركة لكبر حجمها ٠

البارجة : كانت ضمن السفن الحربية وهى تحمل خمسة وأربعين رجلا منهم ثلاثة نفاطون وبحار وخباز إضافة إلى المجدفين والمقاتلة ٠

الحرابى أو الحربيات : جمع حربية ، وهى نوع من الشوانى ولكنها أصغر حجما ، وتمتاز هذه المراكب عن الشوانى بسرعتها وخفة حركتها ، وكان هذا النوع يصنع بدار الصناعة بالروضة فى مصر ، واستخدمت فى المعارك بأرض المغرب والأندلس ٠

المركب المسمى بالغيطانى والمركب المسمى بالعجزى : هما مركبان عظيما الحجم، صنعا بدار صناعة مصر ، كانا يحملان عددا كبيرا من الركاب والبضائع الطائلة ٠

ويذكر المقريزى أنواع أخرى من السفن كانت تصنع بدار الصناعة بالجزيرة خلال عصر ابن طولون مثل العلابيات والحمائم ، والسنابك وقوارب الخدمة ، وكلها مراكب نياية ، والطيارة ، والاشكيف ٠

ومن أنواع السفن البدن وهو زورق يمتاز بمقدمة ومؤخرة مدببة ، والبغلة وهى ذات مؤخرة مربعة الشكل حمولتها أكثر من خمسين طنا ، والبركة من السفن الخفيفة ، والجهازى وهى سفينة تجارية ضخمة والسميرية وهى من سفن البحر والنهر الحربية ، والشذا وهى سفينة صغيرة من العصر العباسى ٠

أن تعدد أنواع السفن الحربية والتجارية وسفن النزهة الصغيرة يوضح لنا عظمة البحرية الإسلامية ، ويدل دلالة واضحة على أن المسلمين الذين نشئوا فى الصحراء استطاعوا السيطرة على البحار وسجلوا مجدا بحريا رائعا ٠

وكانت هناك أنواع من السفن تستخدم للابحار فى البحر الأحمر ، ما بين أيلة وعيذاب أو عيذاب والبحر الحبشى ، وهذا النوع ذكره ابن جبير ، وكان يعرف باسم الجلاب أو الجلبات ، وكان لا يستعمل فى صناعتها مسمار البته ، إنما كانت تخيط بأمراس من القنبار وهو قش جوز النارجيل يصنعون منه حبالا يخيطون بها السفن ، وكانوا يدهنون السفن بالسمن أو دهن الخروع أو دهن القرش ٠

هذا عن أنواع السفن المختلفة التى تستخدم فى الاسطول الإسلامى أما عن الأسلحة البحرية فكانت تشمل الآتى :-

- **الكلاليب :** وهى عبارة عن خطاطيف من حديد يلفونها على إحدى سفن العدو فيوقفونها ثم يشدونها إليهم ، ويرمون عليها الألواح كالجسر ، ويدخلون إليها ويقاتلون من فيها ٠
- **الباسليقات :** وهى سلاسل فى رؤسها رمانة من حديد ، كانت تستخدم فى القتال على سطح السفن ٠
- **التوابيت :** وهى صناديق مفتوحة من أعلاها ، تكون فى أعلى الصوارى وتستخدم فى الرمى على سفن العدو أو يصعد إليها الرجال قبل دنو العدو حتى لا تصيبهم سهامه ، ويقذفون العدو بأحجار صغيرة فى مخلاه بجانب الصندوق وهو محتمون بالصناديق ٠
- **اللجام :** وهى أداة من حديد طويلة محددة الرأس جدا أسفلها مجوف كسنان الرمح ، تدخل فى خشبة كالقناة بارزة فى مقدم المركب يستخدم فى مهاجمة مركب العدو عن طريق الطعن أو النطح ٠

- **المنجنيق :** وهو عبارة عن آله من الخشب تستخدم فى قذف الحجارة ، ٠٠٠٠ حيث أنه له دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف تجعل كفة المنجنيق التى

يجعل فيها الحجر يجذب حتى ترفع أسافله إلى أعلى ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذى فيه الكفة فيخرج المقذوف منه وكانت تستخدم فى قذف النمط أو جرار الزيت المغلى أو النيران ٠

السهام النارية : وهى عبارة عن سهام عادية ملفوف على نصلها فى مشاقة كبريت ورايتنج وقلقونية ، ونورة وشحم الكلى يتم إحراق طرفه ، وتستخدم فى الرمى على مراكب الاعداء فإذا واجهت الهواء تشعل نارا عظيمة تحرق كل ما تصيب

جرار النورة : وهى مسحوق ناعم من مزيج الكلس والزرنيخ ويرمون بها فى سفن الأعداء فتعمى الرجال بغبارها ٠

الزرافة : وهى أنبوبة من النحاس تستخدم فى قذف مزيج من المواد الملتهبة مما يطلق عليه النفط ، وكان يقذف مشكلا فتبعث ناره تجاه سفن الأعداء فتحرقها وكانت توضع فى مقدمة السفن أو مؤخرتها أو على الأجناب ٠

وهذه النيران كانت لا تنطفئ بملامسة الماء ، ولذا كان تأثيرها شديد على السفن وكان البحريون يتخذون سبل الوقاية بأنهم كانوا يعلقون الجلود أو اللبود المبللة بالخل والشب والنطرون لدفع أذى النفط ٠ وكان الرجال يرتدون بعض الملابس الواقية مثل الخيش المطلى بالطلاء الذى لا تحرقه النار

ومن الأسلحة البحرية أيضا ٠ قدورا الحيات والعقارب ، وكانوا يرمون بها على سفن الأعداء فتحدث اضطرابا وهرجا بها ٠ وأيضا قدور الصابون اللين اللزج لتزلق أقدامهم ٠

هذا بجانب الأسلحة الشخصية التى يجهز بها كل جندى نفسه ، مثل السيوف والرماح والفؤوس ، والدبابيس ، والأقواس والنشاب وغيرها٠

قيادة الأسطول :

كان لكل اسطول قائد ورئيس ونوتية ، حيث أوكلت الدولة أمور البحرية إلى قائد أطلق عليه " أمير البحر " وكانت مهمته الإشراف على الأسطول وجميع ما يتعلق به من بناء السفن وتفقد دور صناعة ، وتصفح أحواله ، وتعهد أعدائه ، وانتقاء المهرة من أهل الصناعات والحرف له ، واختيار رجاله وتدريبهم٠

وكان الرئيس يدبر أمر جرية بالريح أو المجادف وأمر إرساله فى مرفئه ، والنواتية يعملون بأمر الرئيس فعلى سبيل المثال جعل معاوية بن أبى سفيان لما أذن له بالغزو فى البحر ، جعل على البحر عبد الله بن قيس الفزارى أميرا فغزا عبد الله خمسين غزاة ما بين شاتيه وصائفه فى البحر ولم يغرق منها أحد ولم ينكب.

الفصل الرابع
النظم الاجتماعية

النظام الاجتماعي هو مجموعة القواعد التى تنظم العلاقات بين الفرد والجماعة ، وتربط بين أجزاء المجتمع على اختلاف أنماطه ٠

والمجتمع هو محور النظام الاجتماعي ، وهو مجموعة من الأفراد داخل المجتمع تربطهم روابط عديدة أهمها اللغة والجنس والأرض والعادات والتقاليد ، ويتكون داخل المجتمع ما يسمى بالأسرة التي ترتبط مع غيرها من الأسر أما عن طريق المصاهرة أو الجوار أو التفاعل الاجتماعي المتمثل في ضرورة التعامل التلقائي بين الناس ، وتبادل المنافع والمشاركة الوجدانية مكونة فيما بينها المجتمع ٠

ويشمل حديثنا عن النظام الاجتماعي في الإسلام ، المرأة فى الإسلام

أسس النظام الاجتماعي في الإسلام :

كان للمجتمع العربي الإسلامي سمات واضحة ومميزات قيمة أثرت أثرها العظيم فى حياة المسلمين وحضارتهم ، فقد كان يسودهم الإخاء والتسامح وكانوا يتسمون بالحلم والأدب والوقار ، والرضا بما قسم الله من حظوظ الدنيا فكان حقا مجتمعا سعيدا هانئا مطمئنا ٠

وقد أقام الإسلام نظامه الاجتماعي على دعائم متعددة أساسية هي المساواة والعدل والرحمة ٠

المرأة:

يقاس رقى أي مجتمع من المجتمعات فى أي عصر من العصور التاريخية دائما بمدى تقدير ذلك المجتمع للمرأة ، واستجابته لإعطائها حقوقها ، وقد أسهمت المرأة بنصيب موفور فى شتى مناحي الحياة ، وظهر أثرها واضحا فى تلك المناحي من خلال مكانتها ودورها فى ظل الحضارة الإسلامية خلال العصر العباسى ، فشاركت فى النواحي الثقافية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والعسكرية ، وتمتعت بقسط موفور من الاحترام والتبجيل ، سواء داخل الطبقة الحاكمة أم فى عامة الشعب ٠

وهناك أمثلة كثيرة تلقى الضوء على تعليم المرأة فى العصر العباسى منها :-

-

هذا وقد حصلت المرأة على علومها من مصادر عدة تمثلت فى أخذها العلم عن العديد من العالمات الفاضلات من بنى جنسها ، بجانب أخذ البعض منهن العلم عن آبائهن أو إخوانهن ، أو جلوس البعض منهن فى مجالس العلم أمام العلماء فى المساجد وذلك من وراء حجاب ٠

وعلى كل حال فقد انتج التعليم الخاص مجموعة من النساء اللاتي كانت ثقافتهن لا تقل عن ثقافة الرجال بل ربما بزنها فى كثير من الأحوال ، وهناك قول لأحد الشعراء :

نساؤنا فاقت أئمتنا في الفضل والتدريس والإخلاص

وقد برزت خلال العصر العباسى عدة نساء كان لهن مركز

وكانت **فاطمة النيسابورية** من ذوى الزهد والورع حجت أكثر من مرة وهى ماشية على قدمها من بيت المقدس إلى مكة ، وكانت معاصرة للعالم المصري ذي النون وكانت على قدر كبير من العلم حيث تفقهت فى الدين ، توفيت سنة ٢٢٣هـ/ ٨٣٧م ٠

ومن عالمات القرن الثالث الهجري آمنة الرملية ، كانت أكثر علماء زمانها يترددون عليها ينهلون من علمها ، وكانت معاصرة للأمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٣٤١هـ وكانت تزوره٠

وكانت **زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسي** من النساء اللاتي ساهمن بدور كبير فى الحياة الثقافية خلال العصر العباسي ، قيل أن أسمها آمنة ، وأمة الواحد فلقبها جدها المنصور زبيدة لبضاضتها ونضارتها ، تزوجها الخليفة هارون الرشيد سنة ١٦٩هـ/ ٧٨١م وهى أم الخليفة الأمين ٠

تميزت زبيدة بسعة الأفق حتى فى الأمور الفقهية ، وكانت ذات دين وفضل تقرأ القرآن الكريم وترتله فضلا عن ذلك شجعت العلم وقراءة القرآن ، وكان لها مائة جارية تحفظن القرآن ولكل واحدة ورد عشر القرآن وكان يسمع فى قصرها كدوي النحل من قراءة القرآن الكريم توفيت زبيدة ببغداد سنة ٢١٦هـ/٨٣١م ٠

ومن عالمات القرن الرابع الهجري **أمة الواحد المحاملى بنت القاضي أبى إسماعيل** عبد الله الحسين بن إسماعيل بن محمد الصيني المحاملى ، كانت من أهل الدين والصلاح قرأت القرآن الكريم وحفظته مجودا ، وبجانب ذلك تعلمت الفقه والنحو وعلم الفرائض وأتقنتها جميعا ، درست فى منزلها للنساء وبلغت فى الفقه مكانه مرموقة حيث كان النساء فى قطرها لا يحتجن إلى سؤال أحد العلماء فى أمور دينهن ، توفيت ببغداد سنة ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م ٠

وفاطمة بنت زعبل وهى فاطمة أم الخير كانت أوحد زمانها فى علم الحديث، ولها مشاركة فعالة فى العلوم الدينية ، روت صحيح مسلم ، وعملت بالفقه والفرائض ، وكانت تميز بين المسند والمرفوع والمعنعن والمرسل والمنقطع والموضوع والمتواتر ، والغريب والمسلسل والمصحف ، هذا بجانب علمها بالنحو ، توفيت ببغداد سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م ٠

أما عن دور المرأة فى العلوم الأدبية :

فقد اشتهرت كوكبة من النساء فى هذا المجال وأبدعن إبداعا كبيرا في ستة فروع من العلوم الأدبية من سفر وأدب وخطاب وبلاغة بجانب علوم اللغة خاصة النحو وأمثلة ذلك :

وكذلك **لبانة ابنة ريطه بن على بن عبد الله بن طاهر** كانت من أحسن النساء عقلا وأعظمهن أدبا فصيحة البيان عذبة اللسان شاعرة ، تزوجها محمد الأمين بن هارون الرشيد ، توفيت فى خلافة المأمون العباسي (١٩٨-٢١٨هـ)

ومن شاعرات العصر العباسي " **علية ابنة المهدى العباسية** " وهى أخت الخليفة هارون الرشيد العباسي ، كانت من أحسن نساء عصرها وجها ، وأظرفهن خلقا ، وأوفرهن عقلا ، ذات صيانة وأدب بارع ، تزوجها موسى بن عيسى العباسي ، وكان هارون الرشيد يبالغ فى إكرامها واحترامها ولها ديوان شعر ، وكانت عليه قد ولدت سنة ١٦٠هـ وعاشت خمسين سنة وتوفيت سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٠م فى خلافة ابن أخيها المأمون العباسي ٠

ومن النساء اليمنيات البارزات في علوم اللغة **صفية بنت المرتضى محمد بن الهادي** (٢٩٨٨-٣٠١هـ) اشتغلت بالعلم منذ شبابها ودرست على يد والدها ، ونبغت فى علم النحو الذى برزت فيه وتصدت للتدريس ولها رسائل جيده منها رسالة فى الجواب الوجيز على صاحب التجويز ، وكانت تناظر العلماء٠

وكانت ليله بنت طريف الشيباني يقال لها الفارعه أخت الوليد ابن طريف الشيباني الخارجي الذي خرج علي الرشيد فأرسل إليه يزيد بن مذيد الشيباني فظهر عليه وقتله سنه ١٧٩هـ / ٧٩٥م وكانت أخته(الفارعه)، ومن شعراء العرب وكانت من الفروسية علي جانب كبير ولما قتل أخوها صبحت القوم وعلي جسدها الدرع وعده الحرب وجعلت تحمل علي الناس ومن شجاعتها وفروسيتها قال القوم إن الوليد قد قتل وليست هذه إلا أخته ليلا لأنها تشابه بالفروسية ، فخرج إليها اليزيد بن مزيد وضرب بالرمح قصاه فرسها وقال اغربي غرب الله عليك قد فضحت العشيرة فاستحييت وانصرفت

وأثناء ولاية احمد بن طولون علي مصر خرج عليه رجل علوي يدعي بن الصوفي العلوي وتمكن من هزيمة فرقه أرسله إليه ابن طولون ومثل بجثة قائدها ابن يزداد مما اضطر احمد ابن طولون إلى إرسال قائدين م قواده تمكنا من هزيمة ابن الصوفي وهرب إلى الواحات ، وفي هذه الثورة شاركت المرأة بالفعل في ميدان الحرب فمنهم "نغمه" وهيب من قبيلة العلويين بصعيد مصر وهي أم الثائر العلوي بن الصوفي وخرجت لمواجه جيوش بن طولون بالقرب من مدينه إسنا

الفصل الخامس
الحياة الثقافية فى العصر العباسى

النقل والترجمة فى العصر العباسى

لقد تراجعت حركة النقل والترجمة في نهاية الخلافة الأُموية، فجاء الخليفة أبو جعفر المنصور، فأقام حركة النقل والترجمة من كَبْوَتها، فاستقدم جورجيوس بن بختيشوع من مدرسة جنديسابور مع تلميذيه إبراهيم وعيسى ابني شهلا، وكلَّف يوحنا أو يحيى بن البطريق بترجمة بعض الكتب القديمة، مثل كتاب شاناق في السموم، وعرَّب كتبًا في الطب والفلك .

لقد أنشأ الخليفة أبو جعفر المنصور ديوانًا للنقل والترجمة، وأرسل إلى ملك الروم يطلب منه كتب الحكمة، فأرسل له الملك بعضا منها

برز عبدالله بن المقفع في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، كأحد أعمدة النقل والترجمة من اللغة الفارسية إلى العربية، فترجم كتاب" كليلة ودمنة"، وترجم كتبًا ثلاثة لأرسطو عن الفارسية، هي: المقولات، والعبارة أو القضايا التصديقية، والقياس وصورة إنتاجه، وهو الذي أعطاها أسماءها العربية.

وقيل لنتيجة لجهود أبو جعفر المنصور لهذا الاهتمام الواضح في نقل ثقافات الآخرين وخصوصا فى الطب والهندسة والنجوم – أنه أنشأ بيت الحكمة في بغداد وقيل عنه أيضًا: إنه كان "يدفع للعلماء (النقلة والمترجمين والمؤلفين) أثمان المؤلفات الجديدة (منقولة أو مترجمة أو مؤلفة، ابتداءً) بما يساوي أوزانها ذهبًا."

و الترجمة في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور قد أخذت بالازدهار، بعد أن توطدت أركان الخلافة العباسية على أيدي الخليفة العباسي عبدالله بن محمد السفاح]، يأتي عهد الخليفة هارون الرشيد (توفي سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٨م)، امتدادًا لعهد الخليفة أبي جعفر المنصور، بعد أن

انشغل كل من الخليفة المهدي (توفي سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م(والخليفة الهادي (توفي سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م(، بالتخلص من حركة الزندقة) والسمة الغالبة على اهتمامات الخليفة هارون الرشيد كانت منصبةً على نقل كتب الطب، لكن هذا لا يعدُّ اقتصارًا من الخليفة على هذا النوع، فلم يخلُ عهده من نقول وترجمات، في التنجيم والمنطق والطبيعة وما وراء الطبيعة. واستقدم العلماء إلى بغداد، وجلب إليها الكتب وهو في طريق عودته من الغزو، لا سيما من الشمال والشمال الغربي لعاصمة الخلافة بغداد. بالإضافة إلى امتداد شهرة آل بختيشوع، يشتهر، في عهد الخليفة هارون الرشيد، يوحنا بن ماسويه .والحجاج بن يوسف بن مطر . وينظر إلى ابن ماسويه على أنه أول عربي تولى النقل والترجمة والتأليف والعلاج، وإن لم يبلغ في أيها مبلغًا كبيرًا

تأثير الأسر الموسرة:

من سمات عهد الخليفة هارون الرشيد أن الاهتمام بالنقل والترجمة لم يعد مقصورًا على الخليفة أو الأمير أو الوالي، بل إن الموسرين وأهل الغنى ، ومن أبرز هذه الأسر الموسرة أسرة بني موسى بن شاكر، محمد وأحمد والحسن الذين خصصوا دارًا (مركزًا) للنقل والترجمة ببغداد. ويُذكر من أشهر من عمل في هذه الدار: حنين بن إسحاق، وحبيش بن الحسن الأعسم، وكذا ثابت بن قرة وغيرهم "فيرزقونهم بخمسمائة دينار في الشهر للنقل والملازمة،.

من الأسر التي اشتهرت بالعلم والمعرفة والإسهام في مجال النقل والترجمة: أسرة المنجم؛ بداية من يحيى بن أبي منصور المنجم، الذي كان منجمًا للفضل بن سهل، وزير الخليفة العباسي عبدالله المأمون، وابنه علي، وابن علي يحيى؛ فقد قاموا بنقل كتب الطب وترجمتها، وقد تبوؤوا مكانة عالية لدى الخلفاء العباسيين.

كانت للبرامكة إسهاماتهم في هذا المجال؛ إذ كان البرامكة يسعون إلى إشاعة الثقافة الفارسية في البلاد الإسلامية، فشجعوا النقل والترجمة، وأمروا بنقل الذخائر الفارسية النفيسة إلى اللغة العربية، ووقفوا لها النقلة والمترجمين، أمثال: الفضل بن نوبخت ومحمد بن جهم البرمكي،

، وزادويه بن شاهويه وبهرام بن مرادف شاه ،وموسى بن عيسى الكسروي وعمر بن الفرخان6]،، وسلْم، أمين المكتبة في بيت الحكمة، وسهل بن هارون مراجع الترجمات والمدقق المتأكد من صحتها ومطابقتها للأصل.

وكذلك محمد بن عبدالملك الزيات وزير المعتصم والواثق، وكان يقارب عطاؤه للنقلة والنساخ ألفي (٢٠٠٠) دينار في الشهر.

وإبراهيم بن محمد بن موسى الكاتب، وكان حريصًا على نقل كتب اليونان، وترجمتها إلى اللغة العربية.

ثم زاد بيت الحكمة في التوسع، وبلغ قدرًا كبيرًا من الازدهار في خلافة عبدالله المأمون

ومع هذا، فقد قيل: إن ابن ماسويه هو الذي أشار على الخليفة هارون الرشيد بإنشاء دار كبيرة للكتب، هي التي اتسعت، وسميت بـ "دار الحكمة" أو "بيت الحكمة"

ولم يشتهر في عهد الخليفة الأمين (توفي سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م، في هذا المجال شيء يذكر، سوى اهتمامه بالطب؛ امتدادًا لاهتمام والده به وينظر إلى مدة خلافة الأمين على أنها ركود نسبي. وعلى أي حال، لم يسعف الوقت الخليفة الأمين في إبراز ما لديه من إسهام في خدمة الخلافة الإسلامية بشكل بارز. ويبدو أن الوقت الذي جاء فيه كان يسير في اتجاه يخالف الاتجاه الذي أراد هو السير فيه ومع هذا، لم يخلُ عهده من الإسهامات العلمية في ظاهرة النقل والترجمة، فلا يستحق هذا الإهمال من قبل الباحثين.

من أبرز من عملوا مع الخليفة الأمين: جبريل بن بختيشوع، حفيد جورجيوس بن بختيشوع وكان مشهورًا بالفضل، جيد التصرف في المداواة. خدم الخلفاء: الرشيد والأمين والمأمون، وقربه الأمين. وصلت مكافآته في علاج حالة مستعصية واحدة خمسمائة ألف درهم .وله في الطب تصانيف؛ منها: المدخل إلى صناعة المنطق، وكناش جمع فيه خصلات ومجربات في الطب،

ورسالة في المطعم والمشرب، وكتاب في صنعة البخور. توفي جبريل بن بختيشوع سنة ٢١٣هـ، ودفن في دير مار سرجس بالمدائن[١]

الخليفة عبدالله المأمون، الذي كان شغوفًا بالعلم والعلماء والحكمة، وصل فيها إلى درجة نُظِر إليها على أنها ضرْب من الإفراط المحبب، الذي نالت فيه الحضارة الإسلامية نصيبًا وافرًا من الالتفات إلى الحضارات الأخرى، شرقيها وغربيها؛ وذلك من خلال جلب الكتب العلمية المخطوطة من الشرق والغرب، ونقلها وترجمتها إلى اللغة العربية، .

وكما هي الحال مع الخليفة هارون الرشيد في توجه الأسر والموسرين من أهل الخلافة، كان عهد الخليفة عبدالله المأمون يزخر بالأسر التي عنيت بالنقل والترجمة والعلوم والآداب، واستقطاب النقلة والمترجمين والورَّاقين. يقول جرجي زيدان في هذا: "واقتدى بالمأمون كثيرون من أهل دولته، وجماعة من أهل الوجاهة والثروة في بغداد، فتقاطر إليها المترجمون من أنحاء العراق والشام وفارس، وفيهم النساطرة واليعاقبة والصابئة والمجوس والروم والبراهمة، يترجمون من اليونانية والفارسية والسُّرْيانية والسنسكريتية والنبطية واللاتينية وغيرها، وكثر في بغداد الوراقون وباعة الكتب، وتعددت مجالس الأدب والمناظرة، وأصبح همُّ الناس البحث والمطالعة، وظلَّت تلك النهضة مستمرة بعد المأمون إلى عدة من خلفائه، حتى نقلت أهم كتب القدماء إلى العربية"

والذي يهمُّنا هنا هو القول بأن عهد الخليفة المأمون يعدُّ أرقى مراحل النقل والترجمة، من حيث الكمُّ، ومن حيث الكيفُ؛ ففي عهده كثر النقلةُ والمترجمون، وكانوا قسمين: قسمٌ ينقل من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية، وقسمٌ آخر ينقل من لغة أجنبية إلى لغة أجنبية أخرى؛ كأن يترجم من اللغة اليونانية إلى اللغة السُّرْيانية، أو من اللغة السُّرْيانية إلى اللغة الفارسية، "حتى إذا انتهى هؤلاء من ترجماتهم تولى مترجمون غيرهم (من الفريق الأوَّل) نقل تلك الترجمات إلى اللغة العربية" .

---

(١) https://2u.pw/9UiJ2.

المأمون هو الذي جعل من شروط الصلح مع أعدائه أن يزوِّدوه بما لديهم من كتب، فقد حصل هذا مع حاكم صقليَّة تردد الحاكم في تلبية الطلب، إلى أن أشار عليه المطران الأكبر بقوله: "أرسلها إليه؛ فوالله ما دخلت هذه العلوم في أمة إلا أفسدتها"، فأرسلها إليه وحصل هذا مع الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث إذ كان من شروط الصلح أن ينزل ميخائيل الثالث للخليفة المأمون عن إحدى المكتبات الشهيرة في القسطنطينية.

يقول محمد بن إسحاق النديم :إنه كان بين الخليفة المأمون وملك الروم مراسلات، وقد استظهر عليه المأمون، فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فأخرج المأمون لذلك جماعة، منهم الحجاج بن يوسف بن مطر، وابن البطري، وسلْم، صاحب بيت الحكمة، وغيرهم – على ما مر ذكره، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا، فلما حملوه إليه، أمره بنقله فنُقل. وقد قيل: إن يوحنا بن ماسويه ممن نفذ إلى بلاد الروم .

وعلى أي حال، كانت الكتب قد ألقيت في السراديب عندما انتشرت النصرانية في اليونان، فجاء الخليفة المأمون ليفيد منها، في وقت شعر فيه ملوك الروم – ومنهم توفيل، تيوفيولس – بأن هذا الطلب كسب كبير لهم، حينما يطلب خليفة المسلمين هذه الكتب، بدلًا من الغرامات المادية. وقد عده الخليفة المأمون كسبًا علميًّا عظيمًا، وكان ملوك الروم قد جمعوا الكتب من أيدي الناس، وجعلوها في هيكل قديم، وأغلقوا عليها بابه، ففتح ملك الروم توفيل هذا الهيكل، وأرسل خمسة أحمال من كتب الحكمة إلى الخليفة المأمون.

ومن جوانب الإبداع والتأصيل هنا :وجود المراجعين للنقول والترجمات، الذين كانوا يقابلونها بالأصل، وهذا يوحي بالدقة والأمانة العلمية.

أبرز النَّقلة والمترجمين:

برز في هذا الطور يعقوب بن إسحاق الكندي، الذي يمثِّل نقطة التحول في هذا المجال، مع أنه لم يترك الترجمة، إلا أنه كان ينتقد أصحاب الكتب المترجمة ويخطِّئهم، وينقل ابن أبي أصيبعة في: عيون الأنباء في طبقات الأطباء عن أبي معشر في: المذكرات أن الكندي "أحد أربعة حذَّاق الترجمة في الإسلام: حنين، وثابت بن قرة، وعمر بن الفرخان، والكندي"، هذا بالإضافة إلى سَعَة إسهاماته الإبداعية التأصيليَّة في فروع شتَّى[١].

ويذكر أنَّ للكندي مائتين وواحدًا وثلاثين كتابًا؛ منها اثنان وعشرون كتابًا في الفلسفة، واثنان وعشرون كتابًا في الطب، واثنا عشر كتابًا في السياسة، وأحد عشر كتابًا في الحساب، وعشرة كتب في الأحكام، وتسعة كتب في المنطق، وثمانية كتب في الكريات، وثمانية كتب أخرى في الأبعاد، وسبعة كتب في الموسيقا، وخمسة كتب في النفس، وخمسة كتب أخرى في تقدمة المعرفة.

ومن أبرز النَّقلة والمترجمين في هذا الطور يوحنا بن البطريق، والحجاج بن يوسف بن مطر، وقسطا بن لوقا وعبدالمسيح بن ناعمة الحمصي، وحنين بن إسحاق، وإسحاق بن حنين بن إسحاق وثابت بن قرة الصابئ، وحبيش بن الأعسم، وغيرهم[٢].

وأبرز هؤلاء حنين بن إسحق "فقد كان لهذا الرجل أثرٌ بارز على النقل، ويعدُّ أستاذًا فيه" ، فقد قيل: إنه يمثل العصر الذهبي للترجمة وإنه ترجم من كتب جالينوس خمسة وتسعين كتابًا إلى اللغة الرسيانية، وترجم منها إلى العربية تسعة وثلاثين كتابًا، وأصلح مما نقل تلاميذه ستة كتب إلى اللغة السُّرْيانية، ونحوًا من سبعين كتابًا إلى اللغة العربية، وأصلح – كذلك – معظم الكتب التي نقلها إلى السُّرْيانية سرجيس الراسُعيني وأيوب الرهاوي، وغيرهما من الأطباء، وقد وصلَت إلى

---

(١)جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي؛ ج٣ص ١٦٣- ١٦٤ .

(٢)https://2u.pw/FviLy .

خمسين كتابًاويمكن أن يعد حنين بن إسحاق "أحسن مَن أجاد اللغة اليونانية، وخدم الترجمة، ونقل الثقافة في ذلك العصر"[1].

مراكز النقل والترجمة الخلافة العباسية

كان التسامح الإسلامى عاملًا مهمًّا من عوامل ازدهار النقل والترجمة ، وفي هذا يقول محمد كرد علي: "على أنَّ للتسامح حدودًا يقف عندها، ما وقف المخالفون في العقيدة والمذهب عند حدودهم لا يتعدونها، وما قصروا كتبَهم على أنفسهم.

وقد فتحت الخلافةُ العبَّاسية للفرس كلَّ مجالات المشاركة في الدولة والمجتمع والحياة الفكرية، فكان منهم وزراء، وولاة، وقادة جيوش، وقضاة، وكتَّاب دواوين، وعلماء في مختلف الفنون، ومع كل هذا التسامح والانفتاح بقي فريقٌ منهم حانقين، معاندين للعرب والإسلام، قاموا بإخراج كتب الديانات الفارسيَّة القديمة من ظلمات مخابئها، وسَعَوْا لنشرها بين الناس، وجنَّدوا جهودهم للطَّعن في دين العرب، وتشويه تاريخهم، ونشر نقائصهم ومعايبهم، وتحويل كل فَضيلة لهم إلى رذيلة، أولئك هم الزنادقةُ والشعوبيُّون.

ووقفَتْ دولة الخلافة بالمرصاد لهم؛ لأن في دعوتهم زعزعةً لأسس الدولة، التي قامت أصلًا على الدين الإسلامي، وقد تصدَّى للرد على الزنادقة والشُّعوبيَّة أدباءُ العرب، وفي مقدمتهم الجاحظ في كتبه، وخصوصًا في البيان والتبيين، وابن قتيبة في كتاب العرب أو الردِّ على الشُّعوبيَّة."

وإضافةً إلى ذلك يتَّسم هذا الطور أيضًا بتعميق فكرة التأصيل، وبروز العلماء، الذين لهم بالغ الأثر في مراجعة المنقول، والوقوف عنده وقفةَ الناقدِ الفاحص، الذي استطاع في النهاية أن يُغلِّب

(١)محمد أحمد زيود: مدرسة آل حنين وأثرها في التراث العلمي العربي - ص: ٣٧٣.

جانب التأليف على جانب النقل والترجمة، فتمثَّلَت مرحلة الإبداع والتأصيل، بصورة أوضح مما كانت عليه.

في هذا الطور أيضًا بدا أنَّ علوم المسلمين تُنقل بوضوحٍ إلى الممالك الأخرى المجاورة؛ كالهند والصين وأوروبا عن طريق الأندلس وصقلية، حيث كانت صقلِّية مركزًا مهمًّا من مراكز نقل التراث العربي الإسلامي وترجمته إلى اللغة اليونانية واللغات الأوروبية الأخرى.

وقد تقدَّم هذا الجانب في الأندلس؛ من حيث التاريخ، ولكنه برز بوضوح على مستوى البلاد الإسلاميَّة في هذا الطور؛ حيث واصلَتِ الأندلس ما قام في المشرق الإسلامي من نقل العلوم، وتصحيح النقول والترجمات، التي تمَّت في الشَّرق، بعد انتقالها إلى الأندلس، مع ما انتقل من مقومات الحضارة.

وممَّن قام بتصحيح النقول والترجمات في المجال الطبِّي في الأندلس يذكر كلٌّ من: محمد الشجار، والبسباسي، وأبو عثمان الجزار، الملقب باليابسة، ومحمد بن سعيد الطبيب، وعبدالرحمن بن إسحاق بن هيثم، وأبو عبدالله الصقلي، أدركهم ابن جلجل، وتحدَّث عنهم

وعليه :فقد أضحَت الأندلس وصقلية حلقةَ وصلٍ بين الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي، فقامت مراكز نَقل وترجمة من اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية؛ مثل مدرسة طليطلة للترجمة، التي أنشأها رايموندو، رئيس أساقفة طليطلة، "وكان إنشاء هذه المدرسة حدَثًا حاسمًا له أبعد الأثَر في مصير أوربا؛ لأنه فتح البابَ على مصراعيه لكي تحل النصوص العربيَّة العلمية في دوائر الدراسة في هذه القارة ، ونقاش هذه المرحلة من النقل والترجمة يخرج عن تركيز هذه الدراسة].

دُور العلم:

في هذا الطور، كذلك، زادت المراكز العلميَّة، لا سيما المكتبات بالمفهوم الشامل للمكتبات؛ فهذه دار للعلم ينشئُها أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي في الموصل

سنة ٣٢٣هـ ويجعل منها خزانة كتب، فيها من جميع العلوم، ويجعلها وَقْفًا على طلبة العلم، لا يمنع أحدًا من دخولها، إذا ارتادها، ويعطي المعسِرَ ورقًا للنسخ

وهذا القاضي ابن حبان يقيم دارًا للعلم في مدينة نيسابور وخزانة للكتب، وسكنًا لمن يرتادها من الغرباء، وينشئ أبو علي بن سوار الكاتب دارَ كتب في مدينة رام هرمز وأخرى بالبصرة، ويجعل فيهما أُجراءَ على من قصدهما، وأبو نصر سابور بن أردشير يؤسِّس دارًا للعلم في الكرخ، ويتَّخذ محمد بن موسى الشريف الرضي دارًا للعلم ببغداد، وخزانة للكتب، ويفتحها لطلبة العلم وفي الري يقيم الصاحب بن عبَّاد بيتًا للكتبوقد قامت هذه المكتبات ودور العلم في القرنين الرابع والخامس الهجريين، العاشر والحادي عشر الميلاديين.

وليس هناك ما يؤكِّد على أن هذه المراكز كانت دورًا للنقل والترجمة، أو أن للنقل والترجمة فيها نصيبًا واضحًا، إلَّا أنها لم تكن مجرد خزائن كتب، وإنما كانت كالمجامع العلمية، التي تكون المكتبة جزءًا منها، وفي المجامع عادة مجال للنَّقل والترجمة

وما يؤكِّد أن المدارس الفقهية، التي لقيت رواجًا في أيام المستظهر وأسهمت في ازدهار العلوم الإسلامية واللُّغويَّة والأدبية والفلسفية، وأبرز ما في هذا المجال إسهاماتُ الإمام أبي حامدٍ الغزَّالي في كتابه: إحياء علوم الدين، وكتابه: تهافت الفلاسفة، وكذا إسهامات الإمام أبي الفتح الشهرستاني في كتابه: الملل والنحل ، من جهة أخرى ظهرَت آثار أبي بكر الرازي وأبي نصر الفارابي وأبي علي بن سينا وغيرهم كثير [١].

(١) لمزيد م التفاصيل أنظر : https://2u.pw/AS6Az .

العلوم فى العصر العباسى

عنى الإسلام بالعلم وتشجيعه والدعوة إلى تحصيله ، وأتاح المناخ الفكرى الحر الذى مكن العلماء وأصحاب الفكر من الإسهام فى إثراء الحضارة الإسلامية ، فى كافة مجالاتها ، ورفع الإسلام من شأن العلماء وطلاب العلم وجعل لهم منزلة خاصة فى الدنيا والآخرة ، وفتح الإسلام أمامهم الآفاق للاستزادة من العلم والنظر فيه تحقيقا لاستمرارية الحياة وتجددها ، فأولى الآيات فى القرآن الكريم التى نزلت على الرسولﷺ كانت ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ، كما تبين الآيات مكانة العلماء فى قول الله تعالى :﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾كما فضلهم على غيرهم فى قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ كما حثهم على الاستزادة منه بقوله تعالى : ﴿وَمَا

أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ وشرح فضل العلم فى معرفة العلماء للخالق وخشيتهم له فى قوله تعالى:﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾ وغيرها من الآيات التى تذكر العلم والعلماء ٠

وتوضح أقوال وأحاديث الرسولﷺ أهمية العلم والعلماء فعنه قال " يوزن يوم القيامة مداد العلماء بماء الشهداء وقال ﷺ : "لموت قبيلة أيسر من موت عالم" وقوله : "غزوة فى طلب العلم أحب إلى الله من مائة غزوة"٠

وشملت العلوم عند المسلمين فروع عدة منها الآتى :

الدراسات الدينية :

كانت الدراسات الدينية فى مقدمة المجالات الثقافية عند المسلمين نظرا لارتباطها بالقرآن الكريم وشملت هذه الدراسات فروع عدة مثل :

- **علم القراءات :**

وهو من علوم الدين التى تبحث فى كيفية قراءة ألفاظ القرآن الكريم ، وتهجى كلماته ، وإعجازه وبلاغته ، ويجب أن يتوفر فى عالم القراءات بعض الشروط ، حيث يجب أن يكون على قدر عال وعلم تام بقواعد اللغة وأصول التفسير حتى يتسنى له قراءة ألفاظ القرآن الكريم بدقة ٠

ويرجع السبب فى ظهور هذا العلم وجود الخط العربى على أشكال عديدة حيث كا يرسم بأشكال مختلفة تبعا للنقط فوق الحروف أو تحتها ٠

ولذا اتفق بعد البحث والاستقصاء على قراءات معينة ، وقصد من تنوعها التسهيل نتيجة لاختلاف اللهجات ، وقد أصبحت هذه القراءات علما مدونا توضع فيه المصنفات وكانت كل بل تأخذ ما يلائم طبع أهلها ، فبعضهم جعلها سبع قراءات ، وبعضهم جعلها عشر ، والبعض الآخر جعلها خمسا وعشرين قراءة، وإن رجحت سبع قراءات وهى :

نافع من المدينة ، وابن كثير من مكة ، وابن عامر من الشام ، وأبى عمر من البصرة، وعاصم وحمزة والكسائى من الكوفة ، وهؤلاء أدوا القراءات موافقة لنص مصحف عثمان ولكل منهم رجال تعلموا عنهم ومع ذلك أضيف إليهم ثلاث قراءات وأصبحوا عشرة وهم حفص، وأبو جعفر، ويعقوب٠

- **علم الحديث :**

يعد الحديث النبوى الشريف المصدر الثانى للشريعة الإسلامية لأنه يتضمن أحكاما وقوانين للمجتمع الإسلامى على الرغم من أنه لم يدون إلا فى أواخر القرن الأول الهجرى لأن الصحابة كانوا يحفظونه فى صدورهم وكان يكتب فى صحاف متفرقة٠

والحديث النبوى هو العلم الذى يتناول سيرة الرسول ﷺ من أقواله وأفعاله فى صورتها المدونة ، وهو ما اصطلح على تسميته بالسنة أو طريقة سلوكه ، وله حجته مثل القرآن٠

وكان للحديث أعظم الأثر فى نشر الثقافة فى العالم الإسلامى ، فقد أقبل الناس على دراسته ورحلوا فى سبيل جمعه وتعلمه ، فكان من ذلك تبادل الآراء العلمية واطلاع علماء بلد على ماضى البلد الآخر من علوم ومعرفة ، وبهذا كان الحديث من العوامل المهمة فى توحيد الثقافة فى العالم العربى والإسلامى٠

ولم يغفل العلماء عن تمييز الحديث الصحيح من الموضوع بل أعاروا ذلك عظيم اهتمامهم ، وكرسوا جهودهم لتنقيته مما دخل عليه من الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة٠

ومن اشتهر برواية الحديث عدد من الصحابة أهمهم أبو هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وأنس بن مالك ، والسيدة عائشة ، وعبد الله بن عباس ، وجابر بن عبد الله ، وأبو سعيد الخدرى ، وكان هؤلاء من الرواة المكثرين، ومن التابعين اشتهر عدد من العلماء برواية الحديث منهم سعيد بن المسيب والزهرى ، ومحمد بن سيرين ٠

وممن اشتهر بجمع الحديث ستة علماء وصلوا القمة فى جمعه ، أولهم البخارى، وهو أبو عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم البخارى المولود سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م فى بخارى والمتوفى سنة ٢٥٦هـ / ٨٦٩م وقد اشتهر بسرعة الحفظ ودقة النقل وسرعة البديهة بجانب الصبر والاجتهاد فى جمع الحديث ، سمى إمام المحدثين لجمعه عددا كبيرا منه ، إذ جمع ٢٠٩ ألف حديث ويقال ٧٢٧٥ حديثا وهذا أقرب إلى الصحيح منها ثلاثة آلاف حديث متكررة، وأبو مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى تلقى الإمام مسلم الحديث عن عدد كبير من علماء عصره ورحل إلى العديد من الأمصار الإسلامية باحثا عن الحديث ، حتى بلغ درجة كبيرة من العلم ، وقد وضع كتابة الشهير "صحيح مسلم" ويبلغ عدد الأحاديث التى اشتمل عليها صحيح مسلم ٣٠٣٠ حديثا (١٧) توفى سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٤م ، وابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣هـ / ٨٨٦م ، وأبا داود المتوفى سنة ٢٧٥هـ / ٨٨٨م والترمذى المتوفى سنة ٢٧٩هـ / ٨٩٢م والنسائى المتوفى سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م وهؤلاء الستة عرفت مصنفاتهم عموما بالصحاح السنة٠

- **علم الفقه**

اعتمد علم الفقه الإسلامى على القرآن الكريم والسنة النبوية ، واجتهاد العلماء المسلمين فى بعض الأمور الدينية التى لا يتسنى استنباطها من القرآن والسنة(١٩) وهو بذلك يرادف التشريع ومن يقوم به يسمى فقيها وجمعها فقهاء ٠

ولم يظهر الفقه كعلم فى أول الأمر لوجود الصحابة والتابعين ولكن لما تعددت مشاكل المسلمين وبعد العهد بظهور الإسلام كانت هناك الحاجة إلى ضبط أحوال المجتمع ولذا ظهرت عدة طرق فقهية أطلق عليها مذاهب وهى تسير فى دائرة الإسلام ومن هذه المذاهب الآتى :-

المذهب الحنفى(٨٠-١٥٠هـ / ٦٩٩-٧٦٧م):

<u>يعد المذهب الحنفى أقدم المذاهب الإسلامية</u> ، وينسب إلى النعمان بن ثابت بن زوطى المولود بالكوفة سنة ٨٠هـ / ٦٩٩م(٢١) استطاع النعمان أن يحتل مكانه كبيرة بين علماء عصره مما مكنه من أن يتصدى للتدريس ، فالتف الناس حوله ، ووجدوا فيه علما غزيرا وقدرة على المناظرة والمحاولة٠

وقد توسع المذهب الحنفى فى الأخذ بالقياس والرأى ، لا عزوفا عن حديث رسول الله ﷺ بل لقلة الحديث الصحيح فى العراق ونشط فقه الرأى على يد أبى حنيفة وأصحابة ومن شايعهم على طريقهم من فقهاء الحضارة ، حيث دعت إلى ذلك الحضارة الجديدة ، كما شاع فى فقههم التماس العلل والأوصاف المناسبة للأحكام ، وبهذا أمكن الربط بين مسائل الشريعة بعضها ببعض ، توفى أبوحنيفة ببغداد سنة ١٥٠هـ / ٧٦٧م وانتشرا المذهب الحنفى فى بلاد بعيدة ومدن عديدة كنواحى بغداد ومصر وبلاد فارس وبلخ وفرغانة وبلاد اليمن وأكثر بلاد السند والهند٠

- **<u>المذهب المالكى (٩٧-١٧٩هـ / ٧١٥-٧٩٥م) ٠</u>**

نسبة إلى الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحى الحموى المدنى أصله من اليمن ، ولد فى الحجاز سنة ٩٧هـ / ٧١٥م ، وعاش حياته بالمدينة المنورة ، فتأثر بالبيئة العلمية التى كانت بها ، وتلقى العلم عن علمائها ، وجمع السنة حتى صار حجة من حجج الله فى أرضه ، وضرب به المثل فقيل "لا يفتى ومالك بالمدينة "، جلس للتدريس بالمسجد النبوى ورحل إليه الناس من كل مكان ، والتفوا حوله ، فكان يتكلم فى الحديث والفقه ، وقد ترك كتابه الشهير " الموطأ " الذى جمع فيه الأحاديث الصحاح والفتاوى ورتبها حسب الترتيب الفقهى ، فكان هذا الكتاب يعد كتاب حديث وفقه فى آن واحد٠

تلقى مالك العلم من علماء المدينة ، وشيخة فى الفقه هو ربيعة بن فروخ المعروف بربيعه الرأى ، وروى عن كثير من أهل الحديث والفقه٠

وكان اعتماد فتواه على كتاب الله ثم على السنة ، ولكنه كان يقدم عمل أهل المدينة على خبر واحد إذا كان مخالفا له ، وذلك لثقته أن أهل المدينة توارثوا ما كانوا يعملون به عن سلفهم الذين توارثوه عن الصحابة وكان مالك يكره مدرسه الرأى فى العراق وبالرغم من ذلك فقد كان يأخذ بالرأى ويعتمد على الاجتهاد والقياس والمصلحة عندما لا يكون هناك نص شرعى ثابت٠

ومن تلاميذ الإمام مالك ، الإمام الشافعى الذى تلقى عن الإمام مالك الحديث والفقه وقد حضر دروسه فريق كبير من أهل مصر وأهل المغرب وأهل الأندلس ، حيث تلقوا مذهبه ونشروه فى بلادهم وكان أشهر أصحابة الذين نشروا مذهبه عبد الرحمن بن القاسم المولود بالشام سنة ١٢٨هـ / ٧٤٥م توفى فى مصر سنة ١٩١هـ / ٨٠٦م ، وعبد الله ابن وهب بن مسلم المصرى المولود سنة ١٢٥هـ / ٧٤٢م والمتوفى سنة ١٧٩هـ / ٧٩٥م ، وهؤلاء أشهر من نشروا فقه مالك بمصر ، أما فى شمال أفريقية والأندلس فكان أشهرهم أسد بن الفرات من أهل تونس وسحنون بن عبد السلام التنوخى ، وعبد الملك بن حبيب٠

توفى الإمام مالك سنة ١٧٩هـ / ٧٩٥م بالمدينة المنورة عن عمر يناهز خمس وثمانين سنة ودفن بالبقيع ، فى خلافة هارون الرشيد٠

انتشر المذهب المالكى فى بغداد انتشارا كثيرا ، ثم ضعف فيها بعد القرن الرابع ، وضعف بالبصرة بعد القرن الخامس ، وغلب فى خراسان وقزوين ، وظهر بنيسابور ، وكان ببلاد فارس وانتشر باليمن وكثير من بلاد الشام وشمال افريقيا ودخل الأندلس فى عهد هشام٠

- **المذهب الشافعى(١٥٠-٢٠٤هـ / ٧٦٧-٨٢٠م):**

ينسب إلى محمد بن إدريس الشافعى القرشى ويلتقى نسبه مع الرسول فى عبد مناف ، ولد فى غزة سنة ١٥٠هـ / ٧٦٧م ٠

نشأ محمد بن إدريس يتيما بسبب فقده لوالده ، فانتقلت أمه به إلى مكة ، وفى مكة تلقى العلم عن شيوخه فيها ، ثم رحل إلى المدينة حيث التقى بالإمام مالك وأخذ عنه العلم، وبعد وفاة الإمام مالك أصبح واليا على" نجران " إلا أنه سرعان ما اتهم بتشيعه

للعلويين والدعوة لهم فحمل إلى الخليفة هارون الرشيد فى الرقة إلا أنه برئ من هذه التهمة.

ثم انتقل الشافعى إلى بغداد وأخذ العلم عن أحد تلاميذ أبى حنيفة بها ، وهكذا جمع الشافعى بين منهجى استاذه الأول مالك بن أنس " مدرسة الحديث " واستاذه الثانى أبى حنيفة " مدرسة أهل الرأى " .

ثم رحل إلى مصر سنة ١٨٩هـ / ٨١٣م واستقر بها(٣٦) وعمل على نشر مذهبه فى شتى أنحاء البلاد ، فكان مذهبه وسطا بين أهل الرأى من أصحاب أبو حنيفة وبين أهل الحديث من أصحاب مالك ، وقد أحب المصريون المذهب الشافعى وصار له فقهاء ومريدون كثيرون ، ترك كتابين هامين هما "الأم" : وهو عبارة عن إملاءات أملاها على تلاميذه فى مصر فى حلقات الدرس ، وقد كتبها عنه تلاميذه كل بروايته وأدخلوا عليها تعليقاتهم ، أما الكتاب الثانى فهو الرسالة فى أصول الفقه ، رواها تلميذه المصرى الربيع بن سليمان المرادى ، وبها اعتبر الشافعى أول من ألف وجمع قواعد أصول الفقه، توفى الإمام الشافعى بمصر سنة ٢٠٤هـ / ٨٠٩م ودفن بها .

- **<u>المذهب الحنبلى(١٦٤-٢٤١هـ/٧٨٠-٨٥٥م):</u>**

ينسب هذا المذهب إلى الإمام " أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى المروزى ، ولد بمدينة مرو سنة ١٦٤هـ /٧٨٠م ، وقيل أن أمه خرجت به حاملا من هذه المدينة وولدته فى بغداد، واتجه ابن حنبل إلى دراسة الحديث والرواية والتقى بالإمام الشافعى فى الحجاز فأخذ عنه الفقه والأصول، وتلقى الحديث عنه، وعن أكابر المحدثين فى عصره ، وتلقى عنه الحديث الأئمة العظام منهم البخارى ومسلم، وغلب عليه الاشتغال بالحديث، استنبط ابن حنبل مذهبه من السنة مع شئ من القياس والرأى.

وكان منشأ هذا المذهب ببغداد ، ثم شاع فى غيرها من البلدان بالعراق والشام والحجاز ولكن دون شيوع باقى المذاهب ، وذلك لبعد مذهبه عن الاجتهاد وأصالته فى معاضدة الرواية.

وهذا ما أبعد الناس عنه ، إذ وجدوا فى المذاهب الأخرى متسعا لما يعرض لهم فى حياتهم ، يضاف إلى هذا أن اتباع هذا المذهب لجأوا خلال القرن الرابع إلى العنف فى ترويج مذهبهم وكانوا غالبية فى ذلك الوقت ببغداد، حيث يذكر أنه فى سنة ٣٢٣هـ / ٩٣٤م عظم أمر الحنابلة وقويت شوكتهم وصاروا يكبسون دور القواد والعامة ، وأن وجدوا نبيذا أراقوه ، وأن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آله الغناء ، واعترضوا فى البيع والشراء ،

ومشى الرجال مع النساء والصبيان فإذا أرادوا شيئا من ذلك سألوا الذى معه ما هو فأخبرهم وإلا ضربوه وحملوه إلى صاحب الشرطة وشهدوا عليه بالفاحشة.

ومن أمثلة تشدد الحنابلة ، فى أمر الطهارة ، والنجاسة أنه فى نجاسة سؤر الكلب وغسل الإناء سبعا والثامنة بالتراب .

وأيضا قولهم بوجوب المضمضة والاستنشاق فى الوضوء ، بينما قال الفقهاء الثلاثة بأن هذا من السنن لا من الفرائض ، وأيضا قولهم بأن أكل لحم الابل ناقض للوضوء .

ولذا جعلت بعض الشعوب الإسلامية يصفون هذا المذهب بالتشدد ، ويطلقون على كل متحر فى دينه متشددا أو حنبليا.

ظهر المذهب الحنبلى فى مصر خلال القرن السابع الهجرى ، وذلك لأن الإمام أحمد بن حنبل كان فى القرن الثالث بالعراق ، وفى هذا القرن ملك الفاطميون مصر وأفنوا من كان بها من أئمة المذاهب الثلاثة قتلا ونفيا وتشريدا ، ولم يزولوا منها إلا فى أواخر القرن السادس الهجرى.

وذكر المقدسى أنه كان موجودا فى القرن الرابع بالبصره وبإقليم قور والديلم والرحاب والسوس من إقليم خوزستان ، ومهما يكن من انتشاره فإن أتباعه كانوا قليلون فى كل عصر.

أما عن أثار أحمد بن حنبل العلمية ، فنجد أنه لم يكتب آراءه الفقهيه كما فعل الشافعى ، بل كان يكره كتابتها ، ولعل سبب ذلك يرجع إلى اشتغاله بالحديث حتى لقب بحق إمام أهل السنة، وصنف سنده المشهور (المسند) ، فى الحديث رواية ابنه على ، وله كتاب "السنة موصل المعتقد إلى الجنة" وهى رسالة اعتقادية ، وكتاب الزهد ، وكتاب الصلاة وما يلزمها ، وكتاب الورع والعلم ، وكتاب الرد على الزنادقة وكتاب العلل والرجال ، وكتاب الأشربه ، وقد قام تلاميذه بتدوين ما سمعوه منه من فتاوى ، وقد رويت عنه بعده روايات تشابه المدونه فى فقه مالك .

- **المذهب الشيعى:**

إلى جانب المذاهب الفقهية الخاصة بأهل السنة انتشر فى الدولة الإسلامية لأسباب سياسية - المذهب الشيعى - والشيعة هم من شايعوا على بن أبى طالب ﷺ وقالوا أنه امام المسلمين وخليفتهم بعد رسول الله ﷺ ، ولفظ الشيعة فى اللغة يطلق على الأتباع والمحبين والأنصار ، والواحد منهم شيعى ويقال تشيع الرجال أى ادعى دعوة الشيعة.

وبعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ تولى على بن أبى طالب ﷺ الخلافة ، ولكن خلاف حاد نشبا بين المسلمين فقريق وقف بجانب الخليفة يناصره ويدافع عن الخلافة ، وفريق آخر بزعامة معاوية بن أبى سفيان وقف فى وجه الخليفة ورفض مبايعته ٠

ثم انشق بعض أنصار الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه عليه بعد معركة صفين ، وقالوا لا حكم إلا لله ، وحارب الخليفة الخارجين عليه إلا أن أحد الخوارج طعنه فى مسجد الكوفة فقتله ٠

وانتقلت الخلافة فى بنى أمية ووقعت المظالم بآل على وحل بهم من القتل والتمثيل ما أدمى القلوب ، وكانت حادثة كربلاء التى قتل فيها الحسين بن على على يد الأمويين من أقسى الجرائم الوحشية التى ارتكبت فى حق آل البيت .

مبادئ الشيعة:

الشيعة جميعا يعتقدون أن "الإمامة ليست من المصالح العامة التى تفوض إلى نظر الأمة ، ويتعين القائم بها بتعيينهم بل هى ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز اغفالها" ٠

وكانت أهم طوائف الشيعة هى الزيدية والامامية أو الجعفرية ، فالزيدية هم أقرب جماعة من أهل السنة ، فهم فى السياسة لا يتبرؤن من أبى بكر وعمر ، ولا يقولون بعصمة الأئمة ، أما الشيعة الإمامية فيعتمدون فى الفقه على الكتاب والسنه كأصلين عامين ولكن اختلفوا مع أهل السنة فى الفروع ٠

ومن أهم ما اختلف فيه الشيعة مع أهل السنة والجماعة ، اباحتهم نكاح المتعة ، وتحريمهم الزواج من الذميات ، واختلافهم فى نظام المواريث ، وأنهم يزيدون فى صيغ الآذان بعد عبارة "حى على الفلاح " عبارة " حى على خير العمل " ويقولون بالمسح على الرجلين فى الوضوء دون غسلهما ، وغيرها من الأمور ، وكان أمام هذه الطائفة هو جعفر الصادق(٥٣)ولا زالت الإمامية الزيدية إلى وقتنا هذا ومن طوائف الشيعة :

الرافضة : سموا بذلك لان زيد بن على بن الحسين امتنع عن لعن أبى بكر وعمر وعثمان ورفض رأى من يقول بذمهم ٠

الكيسانية : الذين ينسبون إلى كيسان - رئيس جند المختار بن أبى عبيد الثقفى٠

وقد ظهرت فرق كثيرة كالخوارج والمرجئة ، والمعتزلة وأهل السنة ٠

- **<u>الخوارج:</u>**

نشأت هذه الطائفة عندما خرجت على الخليفة عثمان بن عفانﷺ ومعارضته فى أشياء كثيرة ، مثل ايثارة أهله بالولايات ، ثم انضموا إلى من بايعوا على بن أبى طالب ﷺ ، ثم نقموا عليه ارتضائه التحكيم ، وقالوا كلمتهم المشهورة "لا حكم إلا لله" فخرجوا على على بن أبى طالب ، وانشقوا عليه ، فسموا بالخوارج وذهبوا إلى حروراء وهى قرية بظاهر الكوفة وسموا بالحرورية كذلك وأمروا رجلا منهم اسمه "عبد الله بن وهب الراسبى" وقد حاربهم علىﷺ، وهزمهم فى موقعة النهروان وأفنى منهم ثلاثة آلاف ، ولكن لم يقض عليهم فظلوا فى حروب دامية مع الأمويين ثم هان أمرهم زمن العباسيين٠

- **المرجئة :**

لما كان هناك فريق موافق على التحكيم وفريق معاض التحكيم ظهر جماعة من الصحابة كرهوا هذا النزاع ، وقالوا بإيمان الجميع وان كان بعضهم مصيبا وبعضهم مخطأ ، وما دمنا لا نستطيع تعيين المخطئ والمصيب ، فنرجئ أمرهم إلى الله تعالى ، فسميت هذه الطائفة بالمرجئة٠

المعتزلة :

كان لهم فى العصر العباسى شعبتان ، شعبة البصرة التى أسسها واصل بن عطاء ، وشعبة الكوفة التى أسسها بشر بن المعتمر فى (٢١٠هـ / ٨٢٥م) وتفرعت من هاتين الشعبتين فروع كثيرة تختلف فى بعض التفاصيل والجزئيات وكانوا أكثر الفرق اتصالا بالفلسفة اليونانية وأسرعهم للإفادة بها٠

- **العلوم الأدبية :**

ازدهرت الدراسات النحوية واللغوية والعربية لما كان لها صلة وثيقة بعلوم القرآن والحديث ، وهى مفتاح لفهم القرآن والسنة وأداة لفهم الأحكام وتطرق الأدب إلى موضوعات كثيرة فى مناحى الحياة ٠

النحو واللغة :

اللغة والنحو من أبرز علوم اللسان العربى التى ازدهرت فى الدولة الإسلامية و النحو فهو أهم العلوم اللسانية لأنه طبيعى على لسان كل متكلم لأن الإنسان يتكلم النحو وهو يتعلم النطق إذ بدونه لا يحسن التعبير عن أفكاره

والنحو هو علم قواعد اللغة العربية ، وبه تعرف أحوال التراكيب العربية من الإعراب والبناء وغيرها ، وهو يساعد على معرفة حجة الكلام وفساده ، وكان العرب

يتكلمون لغتهم صحيحة ، ولما تمت الفتوحات وتعلم أبناء البلاد المفتوحة اللغة العربية ، ودخل الفساد إلى اللغة العربية وشاع اللحن فيها، فصاروا يرفعون المنصوب وينصبون المرفوع، وكان بعضهم يخطئ فى قراءة القرآن الكريم٠

وتشير بعض المصادر إلى أن على بن أبى طالب ﷺ هو أول من تنبه إلى تغيير ملكة اللغة ، فأشار علىﷺ على أبى الأسود الدؤلى وهو بالمدينة بحفظها ، ففرغ إلى ضبطها وعرض ذلك على أمير المؤمنين على بن أبى طالب فاستحسنة وقال : " ما أحسن هذا النحو الذى نحوت فسمى لذلك نحو "٠

وكان القرآن الكريم هو المنبع الذى استقت منه الدراسات اللغوية والنحوية كما أخذت منه أول اتجاه لها ، وكانت قراءات القرآن الكريم هى الأساس فى تتبع المواد اللغوية ، وكان أئمة القراءات يجيدون النحو والعربية وإلى جانب ما ساهم به أئمة القراءات من تعميق آثار اللغة العربية نبغت طائفة من الفقهاء منهم "الليث بن سعد" فقد كان عربى اللسان فصيح البيان ويحسن القرآن والنحو٠

ومن أشهر علماء النحو فى العصر العباسى يونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٢هـ / ٧٩٨م ، وسيبوية المتوفى سنة ١٧١هـ / ٧٨٧م الذى ألف كتابه المسمى "الكتاب" وقد جمع فيه مسائل النحو العربى ، ويشتمل على كل ما يتصل بالعربية من صرف واشتقاق وبناء وغيرها من مواضع اللغة٠

وفى الكوفة اشتهر بعلم النحو أبو جعفر بن الحسن الرواسى المتوفى سنة ٢٣٥هـ / ٨٤٩م والفراء المتوفى سنة ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م ، والكسائى٠

وفى مصر اشتهر بعلم النحو الإمام الشافعى حيث كا من أئمة اللغة والنحو ، وعبد الرحمن بن داود المدنى "ابن هرمز" الملقب بالأعرج صاحب أبو هريرة ، وهو تلميذ أبو الأسود الدؤلى قيل هو أول من وضع العربية بالمدينة وقد جاء إلى مصر ، وأقام بالإسكندرية ، وكان أعلم الناس بالنحو وهو أول من وضعه فى قول توفى بالإسكندرية سنة ١١٧هـ / ٧٣٥موأيضا أحمد بن جعفر الدينورى كان أحد النحاه البارزين والمصنفين ألف فى النحو كتابا سماه "المهذب" توفى سنة ٢٨٩هـ / ٩٠١م ، وكراع النمل - أبو الحسن على بن الحسن الهنانى الأزدى ومن مؤلفاته فى اللغة والنحو عدة كتب على وزن واحد فى التسمية يأتى فى مقدمتها المنجد فى اللغة والمجرد والمنظم والمنضد وقد بث كراع النمل فى كتبه آراء ناضجة فى كثير من مشكلات على اللغة وأصوله وعبد الكريم بن سواد المصرى ، النحوى المقرئ الذى توفى بالإسكندرية سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م ٠

الشعر :

هو من أبرز مظاهر النشاط الأدبى فى لدولة الإسلامية ، وتأثر الشعراء المسلمون فى صدر الإسلام بالشعر الجاهلى ، فكانت قصائد الشعراء فى مدح الرسول ﷺ أو رثاء قتلى المسلمين أو هجاء المشركين تشبه القصائد التى كان ينظمها شعراء الجاهلية فى مدح شيوخ القبائل أو هجائهم ، وإن كان الشعراء المسلمون قد أدخلوا بعض الألفاظ والعبارات الجديدة التى تتحدث عن البعث والنشور ، والثواب ، والعقاب ، والجنة ، والنار ، وغيرها من الأمور الدينية ٠

والشعر العربى يقف شاهدا على مدى فصاحة اللغة العربية التى ازدادت وتأكدت بنزول القرآن الكريم بها ، ومن ثم بدأ المسلمون يهتمون بها ويولونها عنايتهم وبصفة خاصة بعد انتشار الفتوحات الإسلامية ٠

الشعر فى العصر العباسى :

طرأت على الشعر تغيرات عديدة فى العصر العباسى فقد ضعفت فيه فروع وقويت فروع أخرى ، ونشأت فيه أغراض لم تكن موجودة فقد ضعف الشعر السياسى والحماسى والغزل العذرى ، وقوى شعر المدح والرثاء ، وازداد الشعر الحكمى ، والشعر الوصفى ، وظهر الشعر الزهدى والصوفى والفلسفى والقصصى وغير ذلك ٠

ومن أشهر الشعراء فى العصر العباسى بشار بن برد المتوفى سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م وأبو نواس المتوفى سنة ١٩٨هـ/٨١٣م ، وأبو تمام المتوفى سنة ٢٢٨هـ / ٨٤٢م ، والبحترى المتوفى سنة ٢٨٤هـ / ٨٩٧م وابن الرومى المتوفى سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦م ، وعبد الله بن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م ، والمتنبى المتوفى سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م ، وأبو فراس الحمدانى المتوفى سنة ٣٥٧هـ / ٩٦٧م والشريف الرضى المتوفى سنة ٤٠٦هـ / ١٠١٥م ، وأبو العلاء المعرى المتوفى سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م وابن الفارض المتوفى سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م

علم التاريخ :

يعتبر التاريخ من أهم العلوم الاجتماعية والإنسانية بوصفه مدرسة للحكام والشعوب يستمدون جميعا منه الدروس التى تساعدهم على مواجهة مشاكل الحاضر والتخطيط لمستقبل أفضل ٠

الأسباب التى أدت إلى ازدهار الحركة التاريخية فى صدر الإسلام :

١- احساس بعض الخلفاء وحكام الدولة الإسلامية بالحاجة إلى الوقوف على أخبار السابقين ٠

٢- اتساع الدولة الإسلامية حيث دخل فى نطاقها العديد من الشعوب العريقة ذات التاريخ الحافل٠

٣- وجه القرآن الكريم انظار المسلمين إلى الإهتمام بالتاريخ وذلك بحكم ما فيه من قصص وأخبار تناولت أنباء السابقين ٠

٤- الحديث النبوى الشريف الذى عكف علماء المسلمين على جمعه ، وهو يحتوى على جانب هام لا يستهان به من المعرفة التاريخية ، وخاصة ما يرتبط منها بسيرة الرسول ﷺ٠

ويعرف السخاوى التاريخ بقوله : " أما موضوعه فالإنسان والزمان ومسائلة أحوالهما المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للإنسان وفى الزمان "٠

أما عن فائدة التاريخ فيقول السخاوى أيضا : " وأما فائدته فمعرفة الأمور على وجهها : ومن أجل فوائده أنه أحد الطرق التى يعلم بها النسخ فى أحد الخبرين المتعارضين المتعذر الجمع بينهما إلا بالإضافة إلى وقت متأخر "كرؤيته قبل أن يموت بعام أو نحوه أو عن صاحبى متأخر" ٠

كان ظهور الإسلام وانتشاره السريع أهم الأسباب التى دفعت العرب والمسلمين للاهتمام بالتاريخ ، فقد اهتموا بتتبع حياة الرسول ﷺ وأحواله واستقصاء لسنته ، وغزواته ووقف رجال على جمع أخبار السيرة وتدوينها ، فكان ذلك بدء اشتغال العرب فى الإسلام بالتاريخ ، وأن كان التاريخ فى ذلك الوقت لا يخرج عن كونه نوعا من أنواع الحديث ٠

كانت رغبة الخلفاء الأوائل فى الوقوف على أخبار الملوك والحكام السابقين لعصرهم ، واهتمام المسلمين بجمع السيرة القديمة للرسول ﷺ وصحابته التى أصبحت فيما بعد الأساس الذى بنيت عليه السير والمغازى ، واهتم العرب بالأنساب ورواية الأخبار التاريخية وقصص البطولة وأنباء الحروب وكان للرواة دورهم فى حفظ التاريخ ٠

ومحمد ابن اسحق ، الذى استحق لجدارته فى كتابة السيرة النبوية لقب استاذ ، توفى ابن اسحاق سنة ١٥٠هـ / ٧٦٧م ، ويمثل الواقدى مرحلة هامة فى الكتابة التاريخية عند المسلمين وعلى يديه تتلمذ ابن سعد ، توفى الواقدى سنة ٢٠٧هـ/٨٢٣م وقد التقى محمد ابن سعد بكبار شيوخ الحديث فى عصره سواء من قابل فى مدينة الرسول ﷺ وغيرها ، وكان ابن سعد محدثا واخباريا توفى سنة ٣٢٠هـ / ٨٤٥م ٠

وفى العصر العباسى يظهر الطبرى شيخ المؤرخين مصنف موسوعته الكبرى فى التاريخ الإسلامى "تاريخ الرسل والملوك" وقد تأثر الطبرى فى كتابة بمنهج كتابة الحديث فهو يهتم كثيرا بالرواية المسندة (ت ٣١٠هـ) وتبعه عدد من المؤرخين .

ومع القرن السادس الهجرى تأتى مرحلة الصقل فى الكتابة التاريخية الخالية من التعقيد اللغوى مثل كتابات ابن الأثير ، حيث وضع المسلمون أسسا للكتابة التاريخية ، بحيث أصبح من الممكن تحديد معالم الكتابات التاريخية المختلفة ، فقد أرخ بعضهم وفقا للسنين ، ومن ثم ظهرت الحوليات ، وأرخ بعضهم حسب الموضوعات ، فكتبوا دراسات متخصصة فى النظم والقوانين والأحكام والملل والنحل ، والنقود ، والخراج والمدن ، والدول٠

- فممن ألف فى التاريخ العام الطبرى ت ٣١٠هـ والمسعودى ت ٣٤٦هـ ، ومسكويه ت ٤٢١هـ ٠
- وممن كتب فى تاريخ المدن أبو بكر الخطيب البغدادى ت ٤٦٣هـ / ١٣٧٢م، وكتابه تاريخ بغداد من أعظم الكتب فى موضوعه ، وابن كثير ت ٧٧٤هـ

وابن خلدون ت ٨٠٨هـ ، ياقوت ت ٦٢٦هـ ، ابن خلكان ت ٦٨١هـ ، الذهبى ت ٧٤٨هـ ، الكتيبى ت ٧٦٤هـ ، ابن حجر ت ٨٥٣هـ، السخاوى ت ٩٠٢هـ ٠

- وممن ألف لدولة المقريزى (ت ٨٤٥هـ) الذى يعد كتابة الخطط أحسن مصدر عن تاريخ مصر ٠
- وممن كتب فى تاريخ المدن أبو بكر الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م) وكتابة تاريخ بغداد من أعظم الكتب فى موضوعه ، وابن كثير (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) صاحب كتاب " تاريخ دمشق " وهو موسوعة تاريخية هامة فى تاريخ دمشق ٠
- وممن ألف فى التاريخ العام الطبرى ، والمسعودى (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) الذى جمع الحقائق التاريخية والجغرافية ما لم يسبقه إليها أحد ، وله عدة مؤلفات من أشهرها كتاب " مروج الذهب ومعاد الجوهر" ومسكويه (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) وكتابه " تجارب الأمم" من أحسن كتب التاريخ ويمتاز مسكويه بأنه لم يجعل همه فى كتابه جمع الحوادث فقط بل كان له تدبر ونظر فيما يكتب٠

وابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) وكتابة " المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر "من كتب التاريخ القيمة التى يعتد بها ، فهو يمتاز بأنه مؤرخ ناقد ، وتعتبر

مقدمته التى وضع فيها مبادئ النقد التاريخية أول كتاب من نوعه فى فلسفة التاريخ والاجتماع ٠

الجغرافيا :

اهتم المسلمون اهتماما كبيرا بعلم الجغرافيا ، وتعددت كتبهم ومصنفاتهم ومؤلفاتهم واختراعاتهم ومبتكراتهم فيها ، وأسهموا فى تقدم علم الجغرافيا بنصيب موفور ، وقد ساعد العرب على هذا التفوق حبهم للسياحة والرحلات ، فجابوا البلاد من الصين إلى ادغال أفريقيا ، وأقاموا علاقات تجارية واسعة مع تلك البلاد لم يسمع بها الأوربيون ٠

وكانت عناية المسلمين بالجغرافيا مرتبطة بالبيئة التى عاشوا فيها والصحارى المترامية الأطراف من حولهم تدعوا إلى ذلك ، فإنهم لم يكونوا يستطيعون التجول فيها دون هداية النجوم والكواكب لتحديد طرقاتهم ومعرفة الاتجاهات الأصلية لما له من ارتباط بتحديد موقع القبلة ، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة فى قوله تعالى : ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ٠

وقد نشأ علم الجغرافية عند العرب نشأة بسيطة ، ثم أخذ ينمو تدريجيا حتى أصبح من أهم العلوم العربية واحتل مركزا ممتازا فى الأداب العالمية ، وتطور على يدهم لاتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية ، وحاجة الدولة لمعرفة البلاد وضبط شئونها ، حيث كانت الدولة فى حاجة لمعرفة ما ينتج من محاصيل وأحوال السكان وطرق المواصلات وأطوالها ومسافاتها ، والمراحل التى يقطعها البريد٠

ومن العوامل التى ساعدت على تطور علم الجغرافيا عند العرب الرحلات المتنوعة يأتى فى مقدمتها السفر لأداء فريضة الحج ، والرحلات التجارية ، داخل أقاليم الدولة الإسلامية ، ومع الدول الخارجية ٠

أفاد العرب مما ترجم من كتب الجغرافية الأجنبية مثل الهند والصين وتأثروا بالفكر الجغرافى فيهما ، وكذلك المؤلفات اليونانية فى الجغرافيا مثل مؤلفات بطليموس السكندرى المتوفى سنة ١٦٨م ، حيث ألف ثابت بن قرة الحرانى مؤلفات قيمة حول الكسوف وعملية وحركة الفلك ، كما كتب شروطا وتفسيرات على المجسطلى لبطليموس وله أرصاد قيمة قام بها فى بغداد وحسب حركة الشمس ٠

ومن الجغرافيين المسلمين التاجر سليمان الذى أبحر من سيراف على الخليج الفارسى ، وجاوز المحيط الهندى ، وبلغ شواطئ الصين ثم كتب رحلته فى سنة ٢٣٧هـ /

٨٥١م وكتابه أول مؤلف نشر فى بلاد العرب عن بلاد الصين وقد نقل إلى اللغة الفرنسية ٠ واليعقوبى (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٨م) الذى عرف كتابه باسم البلدان ٠

ثم جاء من بعده ابن خرداذبة وهو من الجغرافيين القرن الثالث الهجرى (ت٢٣٢هـ / ٨٤٦م) وله كتاب المسالك والممالك ، ويعتبر أبو عبيد الله محمد بن جابر البتانى من أهم الجغرافيين القرن الرابع الهجرى فقد توفى سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م ، وكان يدرس فى مرصده حركات النجوم ويطابق معلوماته على ما ورد فى المجلسطى ، ومن أشهر كتاباته الزيج الصابئ ، ومن أعماله الهامة كتاب الأطوال والعروض والتى كانت أساسا للجداول الجغرافية التى وضعها المسعودى الذى قضى خمسا وعشرين سنة من حياته فى الطواف فى بلدان الدولة الإسلامية ، وفى الممالك المجاورة لها كبلاد الهند وسجل مشاهداته فى تأليفه المهمة التى يعد أشهرها كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر ، حيث وصف فيه أحوال الأمم وذكر نحلهم وعوائدهم ، ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وكتابه التنبيه والإشراف ، توفى المسعودى سنة (٣٤٥هـ / ٩٥٦م) ٠

ومن الجغرافيين العرب فى القرن الرابع الهجرى أيضا المقدسى الذى وضع كتابه أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، وانتهى من تأليفه سنة ٣٧٥هـ / ٩٨٥م وقد وصف بأنه أعظم الجغرافيين الذين عرفهم العالم على مر العصور ٠

ومن أهم الجغرافيين الذين اهتموا برسم الخرائط ، أبو زيد أحمد بن سهل البلخى المتوفى فى مطلع القرن الرابع للهجرة ، وله كتاب صورة الأرض والاصطخرى وابن حوقل كما تقدم ذكرهما ، والإدريسى الذى رحل إلى الأندلس وتلقى العلم على يد علماء قرطبة ، ثم استقر فى صقلية فى خدمة الملك النورماندى روجر الثانى وقد ألف كتابه نزهة المشتاق فى اختراق الأفاق ، وهو من أهم الأعمال الجغرافية ، ويزيد من أهميته مجموعة الخرائط الهامة التى ربت على السبعين وقد أفاد الإدريسى من ابن خرداذبه وسليمان التاجر صاحب أخبار الصين والهند ، توفى الإدريسى سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٦م ٠

وكتب المسلمون المعاجم الجغرافية ، ومن أهمها معجم البلدان لياقوت الحموى ، وهو معجم وموسوعة جغرافية ضخمة إلى جانب ما فيه من معارف تاريخية وأدبية عظيمة ٠

أما عن الرحلات ، فالمكتبة العربية تزخر بكتب الرحلات ومن أهمها ابن فضلان الذى ذهب فى بعثة أرسلها الخليفة المقتدر بالله العباسى إلى نهر الفولجا والبلغار سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م ، وقد ترك ابن فضلان تسجيلا لرحلته ، وصف فيه عادات وتقاليد

وأخلاق الخزر والروس ومعلومات أخرى ينفرد بها ابن فضلان ، ورحلة أبى دلف الخزرجى سنة ٣٣١هـ / ٩٤٢م إلى تركستان والصين والتبت والهند وسجستان ، ورحلة إبراهيم بن يعقوب العالم الأندلسى إلى المانيا وأوربا الوسطى وما يسمى الآن بلغاريا وجيكوسلوفاكيا ، وساحل فرنسا وهولندا ٠

<u>- وكان من أعظم الرحلات شهرة رحلة ابن جبير ورحلة ابن بطوطة</u>

<u>ابن جبير :</u> ولد فى الأندلس سنة ٥٣٩هـ / ١١٤٤م وتوفى بمصر سنة ٦١٤هـ/١٢١م كان أديبا وعالما فى الفقه والحديث رحل إلى المشرق ثلاث رحلات الأولى بدأها سنة ٥٧٨هـ وانتهت سنة ٥٨١هـ ، وصف خلالها كل ما مر به من مدن وما شاهد من عجائب البلدان وغرائب المشاهد ، وتحدث عن الأحوال السياسية والاجتماعية والأخلاقية ، ووصف النواحى الدينية ٠

ابن بطوطة : هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى المعروف بابن بطوطة ، ولد فى طنجه سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٣م وتوفى فى مراكش سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م طاف ابن بطوطة معظم أرجاء العالم الإسلامى ، حيث زار الحجاز والشام والعراق وفارس وأسيا الوسطى وبيزنطة ، وبخارى وافغانستان والهند والصين وسيلان ، وعاد إلى بلاده ، رحل إلى الأندلس فزار مدنها وعاد إلى وطنه ثم سافر إلى أفريقيا ووصل إلى تمبكتو وغيرها ووصف ما شاهده فى رحلاته فى كتابه المسمى "تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" وهو المعروف برحلة ابن بطوطة ، وابن جبير وابن بطوطة يمثلان مرحلة من مراحل الكتابة الجغرافية عند المسلمين ٠

وتحدث الجغرافيون المسلمون عن الجغرافيا الاقتصادية والثروة المعدنية والإنتاج الزراعى ، وتحدثوا عن الطرق والمسالك ، وناقشوا موضوع السكان وحياتهم الاجتماعية وذلك لأهميتها عند جمع الخراج ٠

والجغرافيون المسلمون هم الذين وضعوا أساس علم المحيطات كما وضعوا أصول علم الخرائط ، وكانت صورة الأرض للخوارزمى "خلال عصر المأمون" من أوائل الكتب التى تضمنت عددا من الخرائط ٠

ووضع البلخى (ت ٣٢٢هـ / ٩٣٤م) أول أطلس عربى ألحق بكتابه صور الأقاليم وشهد عصر المأمون جهود المسعودى فى رسم الخرائط أو الصور المأمونية، واشترك معه عدد من علماء عصر المأمون وصوروا العالم بأفلاكه ونجومه ، وبره وبحره وعامره وغامره ومساكن الأمم والمدن وغير ذلك فجاءت أحسن مما تقدمها من محاولات ٠

وهكذا يتجلى فضل العرب فى هذا العلم ، يقول جوستاف لوبون : ويكتفى أن نشير إلى ذلك إلى ما حققه العرب فى الجغرافية لاثبات قيمتهم العالمية فالعرب هم الذين عينوا بمعارفهم الفلكية مواقع الأماكن تعيينا مضبوطا فى الخرائط فصححوا بذلك أخطاء علماء اليونان ، والعرب هم الذين نشروا رحلاتهم الممتعة عن بقاع العالم التى كان يشك الأوربيون فى وجودها ، وهم الذين وضعوا الكتب الجغرافية التى جاءت ناسخة لما تقدمها فاقتصرت أمم الغرب عليها وحدها قرونا كثيرة٠

وهكذا نرى جهود الجغرافيين المسلمين فى حفاظهم على التراث الجغرافى القديم ، ودورهم فى إقامة هذا العلم على أسس من التجربة والملاحظة والابتكار أسهمت فى تطوير الفكر الجغرافى مما أدى إلى نجاح حركة الكشوف الجغرافية ٠

الفلسفة :

الفلسفة كلمة تعنى فى أصلها اليونانى حب الحكمة ، وموضوعها البحث فى الكون وفى طبيعة الإنسان ومركزه فى العالم وسلوكه الأخلاقى ٠ وهدف الفلسفة الوصول إلى المعرفة هى العقل وما اكتشفه من قوانين المنطق وأساليب الجدل والبرهان والاستقراء والاستنتاج ٠

وقد تأثر المسلمون بالمدارس الفلسفية القديمة وخاصة مدرسة الإسكندرية التى وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام مفكريها ومنهم يوحنا النحوى الذى يذكر أنه التقى بعمرو بن العاص عند فتح الإسكندرية ، وترجم المسلمون الفلسفة اليونانية ، وانتجوا فكرا فلسفيا خاصا بهم ، وأضافوا إلى الفكر الإنسانى اضافات أصيلة٠

وقد اهتم الخلفاء الأمويون بالفلسفة ، ودعا الأمير خالد بن زيد فلاسفة من الإسكندرية حيث استقبلهم فى دمشق ، كذلك أبدى الخليفة عمر بن عبد العزيز اهتمامه بمدرسة الإسكندرية الفلسفية واتصل ببعض مفكريها ٠

وقد ارتبط ظهور الفلسفة بشكل جاد مع التجمة ، التى بدأت فى العصر الأموى حيث يمكن للدارس أن يستنتج أن المسلمين قاموا بترجمة بعض الأعمال الفلسفية،وتشير المصادر أن الخليفة مروان بن الحكم(٦٤-٦٥هـ/٦٨٣-٦٨٤م) كلف ماسروجيه اليهودى بترجمة كتابات الكاهن السكندرى هارون القس ويبدو أن الترجمة كانت من السريانية إلى العربية ، واهتم عمر بن عبد العزيز بخزائن الكتب ووفرها للعلماء فى دمشق ٠

واهتم الخليفة العباسى المأمون بالفلسفة وعلم الكلام ، فصرف الكثير من المال للمترجمين والمحققين لنتاج سقراط (٤٧٠-٣٦٩ ق٠م) وأفلاطون(٤٢٩-٣٤٧ ق٠م) ،

وأرسطو طاليس (٣٨٤-٣٢٢ ق٠م) لأهمية فلسفتهم لدى المأمون، وتمخضت عناية المأمون بالفلسفة بأن ظهر فلاسفة مسلمون مثل : الكندى، والفارابى فى المشرق الإسلامى وابن طفيل وابن رشد وابن ماجه فى المغرب الإسلامى ، وغيرهم ممن لم يكتفوا بنقل الفلسفة القديمة من اليونانية إلى العربية فقط بل درسوها وشرحوها وفسروا الغامض منها ، وابتكروا نظريات فيها ٠

ومن أشهر فلاسفة الإسلام :

الكندى :

وينسب إلى آل كنده القحطانية التى حكمت اليمن ، وكان أبوه وهو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندى أميرا على الكوفة فى عهد الخليفة العباسى المهدى عاش (٢٦٠هـ / ٨٧٣م) ولد بالكوفة ، ودرس فى البصرة على أشهر علمائها ، حتى برز فى الفلسفة ، وصار فاضل دهره وواحد عصره ، وأكبر فلاسفة المسلمين ، خدم المأمون والمعتصم ، وأسهم فى النهضة الفكرية ويعتبر الكندى من نتاج مدرسة المعتزلة ٠

- ترجم مؤلفات ارسطو طاليس وغيره من فلاسفة اليونان ٠
- اهتم بدراسة فلسفة علماء الهند وفسر نظرياتهم وعلق عليها ٠
- اشتغل فى بغداد فلكيا وطبيبا وفيلسوفا ٠
- أعطى اهتمامه بعلم الحيل المعروف الآن بعلم الميكانيكا وكان العلماء يعتمدون على نظرياته عند القيام بأعمال البناء ٠
- قسم الكندى العلوم إلى أسسها الفكرية والمنطقية فاعتبر أولا العلوم الفلسفية وتشمل الرياضيات والمنطق والطبيعيات والفيزياء والسياسة وعلم الاجتماع ، أما الثانى فهو العلوم الدينية وتحتوى على أصول الدين والعقائد والتوحيد وقد تأثر الكندى فى تقسيم العلوم بالفيلسوف أرسطو ٠
- أعطى جزءا من وقته لعلم الهندسة فترجم الكثير من مؤلفات علماء اليونان ٠
- اهتم بدراسة الموسيقى وله العديد من المؤلفات التى تبعت فى الموسيقى منها رسالة الكندى فى النغم وعندما تحول التيار ضد المعتزلة زج به فى السجن واتهم بتأويل الدين على وفق الفلسفة ، وصودرت مكتبته واعدمت كتبه فلم يبق منها إلا القليل مما سبق ذكره ٠ وتوفى الكندى ببغداد سنة (٢٦١هـ/٨٧٣م) ٠

أبو النصر الفارابى (٢٦٠-٣٣٩هـ / ٨٧٤-٩٥٠م) :

هو أبة النصر محمد بن طرخان الفارابى ، ولد فى أواسط أسيا فى فاراب درس الفاربى الفلسفة فى بغداد ، ورحل إلى حلب وعاش زاهدا فى كنف سيف الدولة الحمدانى ، كانت فلسفته تميل إلى المزج بين الأفلاطونية ، والأرسطوطالية ، والتصوف الإسلامى ، مما حمل العلماء على أن يسمونه المعلم الثانى ٠

والفارابى هو المؤسس الحقيقى للدراسات الفلسفية الإسلامية ، فهو الذى وضع أسسها وشيد بنيانها فاعتمد عليه الكثيرون الذين أتوا بعده ومنهم بن سينا ، وابن رشد ٠ وللفارابى مؤلفات كثيرة فى مختلف العلوم منها :

- كتابة فى إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها وهو أشبه بقاموس على شكل الموسوعات العلمية ٠
- الجمع بين رأيى الحكيمين أفلاطون الالهى وأرسطو الطبيعى ٠
- كتابة آراء أهل المدينة الفاضلة ، وشرح فيه نظام المجتمع الإنسانى الأمثل متأثرا بجمهورية أفلاطون
- بحث الفارابى فى علم الكلام والقصيدة والفقه والشريعة ، وقواعد النحو ، والتقدير الجمالى للشعر والنثر ، وتنظيم المجتمع الكامل ٠
- وكذلك كتابه فى أغراض فلسفة أفلاطون وأرسطو طاليس وهو يشهد له بالبراعة الفلسفية والتحقق بفنون الحكمة٠
- أجمع علماء المشرق والمغرب على أن الفارابى كان عازفا ماهرا وعالما بأصول الموسيقى وفروعها التى قادته إلى اختراع العود والربابة وآله القانون ، فهو المعلم الأول فى الموسيقى٠

زار الفارابى مصر وأكمل فيها كتابه فى الفلسفة السياسية عن المدينة الفاضلة، واستقر حاله فى حلب وقيل أن الفارابى كان يعرف أكثر من سبعين لغة، وتشعبت معارفه حيث تطرق إلى جميع العلوم النظرية والتطبيقية ، فقد كان موسوعة تمشى على قدمين ، إذ تكلم عن المعادن ذات القابلية للتمدد بالطرق، كالصفائح وسحبها أسلاكا ، وعرفها تعريفا علميا ، مثل الذهب والفضة، والرصاص والقصدير والنحاس والحديد والخارصين ٠

كما قدم دراسة كاملة بين فيها فساد علم التنجيم ، ونفى ما يزعمه المنجمون من أن بعض الكواكب تجلب السعادة وبعضها يجلب النحس وفرق بين التنجيم وعلم الفلك الذى يرمى إلى دراسة حركات الكواكب دراسة علمية ، توفى الفارابى بدمشق فى كنف الأمير سيف الدولة الحمدانى سنة ٣٣٩هـ/٩٥٠م

ابن سينا : (٣٧٠-٤٢٨هـ / ٩٨٠-١٠٣٦م) :

هو أبو على الحسين بن عبد الله بن سينا ، ولد فى أفشنة قرب خرميثن - احدى قرى بخارى -، ثم انتقل به والده إلى بخارى ، وفيها حفظ القرآن الكريم ، ولم يكن يبلغ السادسة عشر من عمره حتى تعلم الكثير من العلوم كالفقه والمنطق والهندسة والطبيعة ، والفلسفة والطب وغيرهما ، كان ابن سينا معاصر لأبى الريحان البيرونى وابن الهيثم وكان صديقا حميما لأمراء السامانيين الذين حكموا كرمان وسجستان وجرجان وما وراء النهر وخراسان (٢٦٠-٣٨٩هـ) ويذكر أن نوح بن منصور ملك الدولة السامانية مرض مرضا حادا احتار فيه الأطباء ، فاستدعى الطبيب ابن سينا فبرئ على يديه فقربه إليه ، وكان لهذا الملك مكتبة عظيمة عامرة بنفائس الكتب ، فاستأذنه ابن سينا فى دخولها فاستوعب ما فيها من الكتب قراءة ودراسة ، ثم أخذ يتنقل فى البلدان وأخذ فى التأليف وهو فى الحادية والعشرين من عمره ، وارتفعت مسئوليته ٠٠ وتنقل فى بلاد خراسان وكان من أشهر الأطباء الذين أنجبهم العالم ، وهو المعروف فى أوربا باسم " أفسينا " Avasina ٠

لقد تميز ابن سينا عن غيره فى جميع فروع المعرفة ، وعى وجه الخصوص نبغ فى العلوم البحتة والتطبيقية مثل : الفلسفة والفيزياء والهندسة والرياضيات والطب والكيمياء والصيدلة والنبات وعلوم الأرض وعلم الحيوان ، واللغة العربية نحوا وصرفا وبلاغة وشعرا ٠٠ ، ومن أشهر كتبه كتاب " القانون" الذى حوى أهم ما عرف إلى زمانه من علوم الطب ، وكتاب " الشفاء " فى الطب وفى غيره وكتاب النجاة تلخيص للشفاء ، وكتابه " الإشارات والتنبيهات " فى الفلسفة .

تقلبت الأحوال بابن سينا ، حيث يذكر أنه سجن مرتين الأولى فى عهد شمس الدولة البويهى حاكم همذان ، والثانية فى عهد علاء الدولة أمير أصفهان ، وولى الوزارة لشمس الدولة أبى طاهر بن فخر الدولة ، توفى ابن سينا بهمذان ودفن بها ، عن عمر يناهز ثمان وخمسين سنة ٠

جماعة أخوان الصفا وخلان الوفاء :

وهى جماعة فلسفية سرية لها ميول باطنية سياسية ، تكونت نواتها فى البصرة حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى ، ثم نمت وصار لها فرع فى بغداد والقاهرة وسلمية فى سوريا ، وكان أعضائها خمسة هم : أبو سليمان محمد ابن معشر البستى ويعرف بالمقدسى ، وأبو الحسن على بن هارون الزنجانى ، وأبو أحمد المهرجانى ، وأبو الحسن العوفى ، وزيد بن رفاعة ، وأبو يعقوب السجستانى ٠

وقد كشف لنا الدكتور صابر أبا زيد فى كتابه فكره الزمان عند اخوان الصفا اثنى عشر عضوا من أعضاء الجماعة ونفى أن يكون أبو هان التوحيدى أحدهم ناقدا لآراء المؤرخين ٠

وكانوا يجتمعون سرا ويتباحثون فى الفلسفة على أنواعها حتى صار لهم فيها مذهب خاص ، هو خلاصة أبحاث المسلمين بعد اطلاعهم على آراء اليونان والفرس والهنود ، وتعديلها على ما يقتضيه الإسلام ، وزعموا أنهم بمذهبهم هذا قربوا الطريق إلى الفوز برضوان الله ، وذلك أنهم قالوا ، أن الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية ، وزعموا أنه متى التقت الفلسفة اليونانية والشريعة الإسلامية قد حصل الكمال٠

وكان لأبحاثهم هذه وكتاباتهم تأثير كبير فى كثير من علماء المسلمين وفلاسفتهم كالمعرى ، وأبى حيان التوحيدى ، والغزالى ، وغيرهم من مفكرى القرنين الرابع والخامس الهجرى ٠

الغزالى (٤٥١-٥٠٥هـ / ١٠٥٩-١١١١م) :

هو أبو حامد محمد بن محمد الغزالى حجة الإسلام : ومن أكبر أعلام الفكر والتصوف فى زمانه ولد فى طوس - إحدى مدن خراسان - سنة ٤٥١هـ/١٠٥٩م تعلم فى بلده ثم رحل إلى جورجيان ثم إلى نيسابور حيث كان إمام الحرمين الجوينى ظل فى جواره يتلقى منه العلوم الدينية والعقلية ، ثم ولى التدريس فى المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٨٤هـ ثم انقط عن التدريس وسلك طريق الزهد ٠

تكاثر الفلاسفة فى عصره وناهضوا رجال الدين فتصدى لهم وأطلع على أقوالهم ، قضى نحو عشرة أعوام فى الأسفار بين الحجاز والشام وبيت المقدس على طريقة الصوفية ، وأخذ يبحث ويناظر حتى ظهر له أن الفلاسفة على ضلال أو خلاف وحمل عليهم حملة شعواء صادقة بالتأليف والمجادلة وكان يجادلهم ببراهينهم وحججهم فسمى "حجة الإسلام" ٠

ومن كتاياته "تهافت الفلاسفة" ، الذى تصدى فيه لأباطيل الفلاسفة ، هذا إلى جانب أرفع مؤلفاته شأنا وهو كتابه الشهير " إحياء علوم الدين " توفر على بحث الأخلاق ، وله المنقذ من الضلال " وهى قصة حياته الباطنية" ٠

ابن طفيل (٥٠٠-٥٨١هـ / ١١٠٦-١١٨٥م) :

هو أبو بكر بن عبد الملك بن طفيل الأندلسى ، ولد فى وادى "آش" بالقرب من غرناطة سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٦م ، اشتهر بالفلسفة والطب ، قضى حياته فى بلاط الموحدين يدرس ويعمل طبيبا ، حيث كان طبيب السلطان الموحدى أبى يعقوب ، اشتغل وزيرا فى حكومة الموحدين ، كان من العلماء المغرمين بالتجارب العلمية، انتقد نظام بطليموس الفلكى وخاصة نظريته القائلة بأن الأفلاك ذات مراكز متعددة٠

يعتبر بن طفيل أعجوبة زمانه ، حيث تفوق فى معظم فروع المعرفة وقد بنى أراءه فى علم الفلك على علم الهندسة ، ولذا برز فى الرياضيات التطبيقية، واشتهر فى علم الفزياء، ويرى ابن طفيل أن العالم يجب أن يكون ملما بمعظم العلوم التى لها علاقة ببعضها ، وأن يكون مثقفا مدركا لما يجرى فى العالم الذى حوله٠

ومن مؤلفاته :

١- قصة حى ابن يقظان التى ترجمت إلى لغات العالم لأهميتها ، وهى رواية فلسفية خيالية صور فيها وصول الإنسان إلى العقل بمعزل عن كل تعليم ، وكل ما يحيط به وشبه الإنسان بالحيوان الأليف ٠

٢- أسرار الحكمة الشرقية ٠

٣- شرح الأثار العلوية لأرسطو طاليس ٠

٤- كتاب فى الطب ٠

وخلاصة القول إن ابن طفيل كان مدرسة فى الفلسفة ومن أصحاب الكفاءات النادرة الذين أسهموا اسهامات مبتكرة فى فروع العلوم البحتة ، والعلوم التطبيقية ، توفى ابن طفيل فى مدينة مراكش بالمغرب سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م وشيع ملك المغرب آنذاك جنازته بنفسه تقديرا لمكانته العلمية العظيمة ٠

ابن رشد (٥٢٠-٥٩٥هـ / ١١٢٦-١١٩٨م) :

هو محمد بن قاسم أبى الوليد محمد بن محمد بن رشد الحافظ القرطبى ، ولد فى قرطبة ولى القضاء فى أشبيليه وقرطبة ، قربه إليه الخليفة الموحدى يوسف وعينه طبيبا ووزيرا له بدلا من ابن طفيل ، حيث كان ابن رشد فيلسوف وطبيب بجانب نبوغه فى علم الفقه واللغة والأدب ٠

وهو أعظم من شرح فلسفة أرسطو وعرض أفكاره على وجهها الصحيح ، وعلق على كل كتبه التى وصلت إلى العالم العربى فى شروح متغايره، حتى أطلق عليه اسم "الشارح الكبير" ، وعلى شروحه بنى الأوربيون فلسفتهم فى القرون الوسطى، وكان لفلسفته

وآرائه أثر كبير فى التطور الفكرى فى جامعة باريس وغرب أوربا وكان من أثر تقديرهم لأرائه أن سموه أفيروس وأطلقوا على مذهبه الأفيروسية، فكانت فلسفته حلقة الاتصال بين الفلسفة الإسلامية والشعوب المسيحية فى أوربا ٠

ويعد ابن رشد آخر حلقة فلسفية ذات بال من حلقات تفكير المسلمين ، فقد ألم بمؤلفاتهم وأبحاثهم ، ونصب نفسه مدافعا عن الفلاسفة الذين هاجمهم الغزالى فأعد كتاب " تهافت التهافت " ليرد به على كتاب تهافت الفلاسفة الذى وضعه الغزالى للطعن على الفلاسفة ، وبذل جهدا كبيرا فى إثبات أن الدين لا يناقض الفلسفة الحقه فى شئ ٠

ومن مؤلفات ابن رشد :

- كتاب " فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال " ٠
- الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة ٠
- كتاب التحصيل الذى جمع فيه أهل العلم من الصحابة والتابعين ٠
- وكتاب " الكليات فى الطب " وهو موسوعة طبية فى سبع مجلدات ، ومحتوياته تنحصر فى علم التشريح ، وكلية الدورة الدموية عند الإنسان ، وتشخيص بعض الأمراض المنتشرة آنذاك ، ووصفه بعض الأدوية لها ، وفهم ابن رشد فهما جيدا الشبكية للعين ، وهناك قول مأثور له : " من اشتغل بعلم التشريح ازداد إيمانا بالله " ٠
- وكتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، وهو كتاب قيم فى الفقه المقارن ٠
- وكتاب جوامع كتب ارسطو طاليس فى الطبيعيات والالهيات ٠

توفى ابن رشد فى مراكش يوم الخميس ٩ من صفر سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م ثم حمل جسده إلى قرطبة حيث دفن مع أبائه واجداده وما زال تمثاله فى ميدان عام بأسبانيا ٠

ابن باجه :

هو أبو بكر محمد بن يحى الصائغ المشهور بابن باجه ولد فى مدينة سرقسطة، ولا يعرف تاريخ ولادته ، درس فلسفة ارسطوطاليس وأطلع على كتب الفارابى وابن سينا والغزالى ودرسها ، اشتهر ابن باجه بنبوغه فى الفلسفة والعلوم الطبيعية والفلك والرياضة ، والطب ، والصيدلة ٠

ترجمت أعمال ابن باجه إلى اللاتينية والعبرية ، حيث عمل دراسة مفصله عن علم الحركة تدل على طول باعه فى هذا المجال ، وصحح كثيرا من المؤلفات فى الفلسفة

والمنطق والطب والصيدلة والهندسة والفلك ، والنبات وعلم النفس وغيرها ، انتقل إلى فارس واتهم بالالحاد ثم مات مسموما فى مدينة فاس سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٨م ٠

الدراسات العلمية

الدراسات العلمية وثيقة الصلة بالحياة البشرية ، ولها شأن عظيم فى تقدم المدنية الحديثة التى تقوم على الاختراع والاكتشاف والاختبار وتتمثل هذه الدراسات فى الطب ، والفلك والرياضيات والكيمياء والفيزياء ٠

الطب يقول أبو القاسم صاعد الأندلسى : " وكانت العرب فى صدر الإسلام لا تعنى بشئ من العلم إلا بلغتها ، ومعرفة أحكام شريعتها حاشا صناعة الطب فإنها كانت موجودة عند أفراد من العرب غير منكره عند جماهيرهم ، لحاجة الناس طراً إليها ، ولما كان عندهم من الأثر عن النبىﷺ فى الحث عليها ، حيث يقول " يا عباد الله تداووا ، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء إلا واحد هو الهرم " ٠

ومن أشهر الأطباء العرب والمسلمين الآتى :-

- استقدم أبو جعفر المنصور فى سنة ١٤٨هـ / ٧٦٥م **جورجيس ابن بختيشوع** رئيس أطباء جنديسابور وكان نصرانيا عارفا باليونانية والسريانية والفارسية والعربية نقل للمنصور بعض كتبه من اليونانية إلى العربية وخلفه الكثير من أبناء اسرته فى بغداد ٠
- **يوحنا بن ماسويه** ، قلده الرشيد أمر الكتب الطبية التى عثر عليها بغزة وعموريه فنقل العديد منها للعربية وقدم فى الطب خلال عهدى المأمون والمعتصم والواثق وامتد به العمر إلى أيام المتوكل : نقل العديد من كتب التراث اليونانى وصار طبيبا خاصا للمتوكل ٠

لم يكد عصر الترجمة ينتهى حتى كانت مؤلفات أبقراط وجالينوس وديستوريديس وغيرها قد أصبحت فى متناول أطباء المسلمين الذين لم يلبثوا أن فاقوا اساتذتهم ، فأقبلوا على فحص ماجاء بهذه المؤلفات وصححوا ما ورد فيها من أخطاء ثم أضافوا لها الكثير من خلال مؤلفات طبية اسلامية جديدة وظهر الأطباء المؤلفون مثل :

- على بن سهل ، الرازى ، على بن العباس ، وابن سينا وغيرهم ممن ازدهر الطب الإسلامى على أيديهم ٠

- **الرازى :** (٢٥٠-٣٢٠هـ / ٨٦٤-٩٣٢م) هو محمد بن زكريا الذى عرف فى أوربا باسم رازيس ٠

ولد فى الرى القريبة من طهران ، ونبغ فى الطب والكيمياء والفلسفة والموسيقى ، وكان من أعظم أطباء العالم الإسلامى ، تسلم منصب مستشفى الرى، ثم أصبح رئيسا لمستشفى بغداد الكبير ٠

ألف الرازى أكثر من مائة مؤلف أهمها كتابان فى الطب هما :

كتاب الحاوى : وهو أكبر موسوعة فى الطب كتبها طبيب بمفرده ، احتوى هذا الكتاب على طب اليونان والسريان والهند والعرب القدماء ، وأضاف إلى كل ذلك خبرته وتجاربه ٠

ومن محتوياته الحديث عن أمراض الرأس كالسكته والفالج وأوجاع العصب والمانخوليا ، والصرع والكابوس والتشنج ، وأمراض العيون والأنف والأذن والأسنان ٠

وكان الرازى يسمى أعراض كل مرض ويصف العلاج الموافق له ثم يؤكد تشخيصه وصحة مداواته بأمثلة كثيرة من تجاربه ،الجدرى والحصبة : وهو كتاب آيه فى الملاحظة المباشرة ، والتحليل الدقيق وباكورة الدراسات العلمية الصحيحة للأمراض المعدية ، والرازى هو أول طبيب يميز ويفرق بين هذين المرضين ، وأشار إلى انتقالهما بالعدوى ، وأكد على أهمية النبض والقلب والتنفس والبراز عند المريض بهما ، ثم تكلم عن التشوهات التى تحدث من جرائهما، ونصح باتباع طرق يمكن أن تحول دون هذه التشوهات ٠

وتبدو قيمة هذا الكتاب من طبعه باللغة الانجليزية أربعين مرة، وترجم إلى عدة لغات منها اللاتينية٠

ومن أعمال الرازى الآتى :

١- ربطه بين الكيمياء والطب ٠
٢- أول من استخدم الماء البارد فى علاج الحميات ٠
٣- تكلم عن الحصى فى الكلى والمثانة بدقة متناهية(١٧٦) ٠
٤- أول من استخدم أمعاء الحيوانات فى خياطة الجروح ٠
٥- برع فى قدح الماء الأزرق من العين ٠
٦- له جهود فى الأمراض التناسلية والتوليد ٠

أبو الحسن أحمد بن محمد الطبرى (ت ٣٦٦هـ / ٩٧٦م) ٠

يدين علم الطب الإسلامى لهذا العالم الطبيب باكتشاف الحشرة التى تسبب داء الجرب ، الذى نجح الطبيب الأندلسى ابن زهر فى علاجه علاجا شافيا ٠

ابن سينا :

قيل فيه إن الطب كان ناقصا فكمله ابن سينا ، وكان أبرع أطباء عصره وهو أشهر أطباء المسلمين وأبعدهم أثرا وكتابه " القانون" اعتبره الأوربيون خير ما أنتجته الحضارة العربية الإسلامية ، فهو قاموس فى الطب والصيدلة ، وهو خلاصة تجاربه وقراءاته فى الطب ، وفيه خلاصة أبحاث اليونان والفرس والكلدان والهنود والعرب ٠

ويتكون هذا الكتاب من خمسة فروع :

- الأول يشمل الكليات أى المبادئ العامة النظرية والعلمية ٠
- الثانى يتكلم فيه عن الأدوية ٠
- الثالث يتحدث عن أمراض كل عضو من الرأس إلى القدم ٠
- الرابع عن أمراض لا تختص بعضو ٠
- الخامس فى تركيب الأدوية وآلات الطب ٠

ومن أهم أعماله :

- أول من وصف الحميره الخبيثة وما ينتج عنها من حمى سماها الحمى الفارسية ٠
- أول من اكتشف الطفيلية المسماه بالانكلستوما والمرض الناشئ عنها "الرهقان" ٠
- أول من وصف السحابا وفرق بين الالتهاب الرئوى والبلورى ٠
- أشار إلى أمراض العقم وتكلم عن الأمراض الخبيثة والجهاز الهضمى ٠

وقد نقلت كتبه إلى أكثر لغات العالم ، وظلت مرجعا عاما لأطباء العالم ، وأساسا للمباحثات الطبية فى جامعات فرنسا وايطاليا ستة قرون ، وطبعت عدة مرات وكان طبعها يعاد حتى القرن الثامن عشر الميلادى ٠

أبو القاسم الزهراوى(ت ٤٠٤هـ / ١٠١٣م):

ظهر فى الزهراء بجوار قرطبة فى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى وكان طبيب البلاط عند الحكم الثانى (٣٥٠-٣٦٦م) وسبب تفوقه هو أنه مؤلف الرسالة القيمة "التصريف لمن عجز عن التأليف" وتحوى ثلاثين جزءا وفيه قسم طبى وجراحى وصيدلى ٠

وقد ورد فى هذه الرسالة آراء جديدة فى الجراحة ، منها ما يتعلق بكى الجراحات وسحق حصاة المثانة ، ولزوم تشريح الأجسام الحية والميتة ٠

- أول من استعمل ربط الشرايين فى الجراحات ٠
- استخدم الكى فى علاج النزيف ٠
- اخترع الكثير من آلات الجراحة ٠
- تكلم عن جراحة العين والأذن ٠
- يذكر أنه نجح فى عملية شق القصبة الهوائية ٠
- اخترع منظار المهبل ، وتفتيت رأس الجنين إذا كان ضخما ٠

الصيدلة :

هى علم صناعة الأدوية وكل ما يتصل بأسمائها وتصنيفها واكتشافها وأصحابها وتاريخها ، اشتهر بين العرب باسم الصيدلة أو علم المفردات أو العقاقير أو الأدوية أو الأقراباذين ٠

والعرب هم المؤسسون الحقيقيون لمهنة الصيدلة ، حيث سبقوا الأمم فى انشاء الصيدليات ، وتحضير الأدوية ، وإقامة الرقابة على الصيدليات والصيادلة ، ونظموا جوانب الأدوية ، وكانت لهم الصيدليات الخاصة والعامة ، وألحقوا بكل مستشفى صيدلية خاصة بها ، أما العامة فقد افتتحوها فى أواخر عهد المنصور ، وأنشأوا صيدليات خاصة بساحة المعركة كانت تصحب البيمارستانات المحمولة المتنقلة ٠

مصادر لأدوية واكتشافها:

كان مصدر العرب الأول فى العقاقير كتب الهند لأن الهند امتازت قديما بمعرفتها للحشائش ، وبرعت فى استخراج خواصها ، واشتهرت بمعرفة خصائصها ومفعولها ، كما كان العرب مطلعين على خصائص العقاقير الطبية إطلاعا واسعا ٠

ومن المكتشفات العربية فى الأدوية الآتى :

- اكتشفوا القرفة ، جوز الطب - الصندل - الكافور - جوز القيئ - الحنظل - التمر الهندى - المسك - السنامكة - الكحول - المستحلبات ٠
- أول من حضروا المخدرات لإزالة الألم وتخفيفه من الأفيون والحشيش والزؤان
- يدين الطب لعلم الكيمياء العربى بسلسلة من أشكال العقاقير كالشراب الحلو المستخرج من نبات الكرنب مع السكر الذى فعل دورا هاما فى تاريخ الطب، والجلاب وهو شراب حلو المذاق منعش٠

وقد فكر الرازى بالمرضى الذين يشكون حساسية مرهفة شديدة ويعجزون عن تناول الأدوية ، فغلف الحبات بغلاف من السكر ومزج عصير الفاكهة بالسكر أو العسل ، حتى تذهب مرارتها ٠

كما اهتدى ابن سينا إلى تغليف بعض الأدوية التى كانت تؤخذ بواسطة البلع وأضاف العرب إلى بعضها عصير الليمون أو البرتقال أو القرنفل وغيره وذلك للتخفيف من وطأه هذه الأدوية، وأما العادة المتبعة اليوم فى تغليف حبات الأدوية بالذهب أو الفضة فهو تقليد يرجع فضله إلى ابن سينا الذى وصف الذهب والفضة كأدوية مفيدة للقلب ولجأ إلى تغليف الحبوب بهما٠وقام الصيادلة العرب بتحضير الأشربة والكحول عن طريق التخمير والتصفية واستخرجوا بعض الخلاصات الطبية ٠

أشهر علماء الصيدلة :

هم كثيرون أشهرهم ابن وافد الأندلسى - الغافقى - الإدريسى القرطبى - أبو منصور الصورى - أحمد بن البيطار - أبو القاسم الزهراوى ٠

- أبو القاسم الزهراوى الطبيب المشهور ، وله كتاب فى الصيدلة اسمه الأدوية المفردة وهو أسبانى من مالقه وكان أبوه بيطريا ٠
- **ابن البيطار ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م:**

وهو أشهر صيدلى عربى وأعظم عالم نباتى عرفته القرون الوسطى الإسلامية، زار بلاد الروم والمغرب ثم عاد إلى مصر واستقر فيها بعض الوقت زمن الأيوبيين ثم سافر إلى الشام حيث التقى بابن أبى أصيبعه فتعاون فى دراسة مؤلفات السابقين من صيادلة اليونان والعرب ، وشرعا فى التأليف والتنقيب معا ، حتى ألف كتابه المشهور " الجامع لمفردات الأغذية والأدوية " وهو كتاب أشبه بمعجم طبى مرتب على حروف الهجاء جمع أسماء الأدوية وذكر منافعها وطرق استعمالها ٠

وقد اشتمل هذا المعجم على أكثر من ألف وأربعمائة عقار نباتى ومعدبى وفيه ما يزيد على ثلثمائة دواء جديد لم توجد فى أى كتاب آخر ، ترجم هذا الكتاب إلى لغات ثلاث هى الألمانية واللاتينية والفرنسية

داود الكوهين الهاروتى العطار:

كان عميدا للصيادلة فى القاهرة بعد سفر ابن البيطار إلى الشام وقد وضع كتابا فى علم الأدوية ، وله كتاب منهاج الدكان ودستور الأعيان فى اعمال وتركيب الأدوية

النافعة للأبدان ، وهو يقع فى خمسة وعشرين بابا تتضمن نصائح هامة لمن أراد أن يعمل بالصيدلة ٠ صنفه سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م ٠

وكان فى كل مدينة عميد للصيادلة يقوم بامتحانهم ويمنحهم رخصة العمل إذا نجحوا ويقيد أسماءهم فى الجدول الخاص بهم ، كما كان فى كل مدينة مفتش خاص يفتش على تحضير الأدوية ويراقبها ويقوم بجولته التفتيشية وبصحبته شرطة الصحة ٠

علم الكيمياء :

هو علم يرمى إلى اكتشاف الأجسام مع تحديد خصائصها وتفاعلاتها ، وما يمكن الانتفاع به من ورائها ، واتقاء أضرارها فى مجالات التطبيق العملى ٠

بدأ العرب يهتمون بهذا العلم عن طريق النقل عن تراث اليونان وعرف عندهم باسم الصفة ، وتذكر المصادر أن خالد بن يزيد بن معاوية (ت٨٥هـ/٧٠٤م) هو أول من اهتم بترجمة كتب الكيمياء حيث علمه راهب رومى اسمه مريانوس Mariaunus كان فى مدرسة الإسكندرية والعرب أول من اهتموا بعلم الكيمياء ولم تصبح علما حقيقيا إلا بفضل جهودهم العلمية وميلهم إلى التجربة والملاحظة والاستنتاج ٠

وعندما أصبح لدى الأمة العربية الإسلامية علماء مشهورون فى ميدان الكيمياء بدأ هؤلاء بمراجعة ما ترجم إلى اللغة العربية ، مع الإضافة الجوهرية إليه عن طريق الشرح والتعليق ، وبهذا صارت مؤلفات الحضارات القديمة كأنها مؤلفات عربية بعد ما أدخلوا عليها التعديلات الكثير ٠

وقد درس علماء العرب والمسلمين عن كتب خواص المادة واستعملوا آلات خاصة لايجاد الوزن النوعى والكثافة النوعية لبعض المعادن والجواهر ٠

أشهر الكيميائيين العرب :

جابر بن حيان (١٠١-١٩٧هـ) :

هو أبو عبد الله جابر بن حيان الأزدى ، ولد فى طوس فى خراسان ، هاجر والده حيان بن عبد الله الأزدى من اليمن إلى الكوفة فى أواخر عصر بنى أمية ، وعمل فى الكوفة صيدليا وبقى يمارس هذه المهنة مدة طويلة وعندما بدأ بنو العباس يطالبون بنى أمية بالخلافة ساندهم حيان ، فأرسلوه إلى طوس فى خراسان لنشر أفكاره ، وهناك ولد النابغة جابر بن حيان مؤسس علم الكيمياء ، وكيموى العرب الأول٠

لقد نبغ جابر بن حيان فى علم الكيمياء فصنف عددا كبيرا من الكتب الأصلية التى أدهشت معاصريه ، ولقد تتلمذ جابر بن حيان على مؤلفات خالد بن يزيد بن معاوية

، ومن أستاذه الإمام جعفر الصادق ، قام جابر بكثير من العمليات المخبرية كالتبخر والتكليس والتصعيد ، والتقطير ، والتكثيف والترشيح ، والإذابة ، والصهر ، والبلورة ، كما حضر عددا كبيرا من المواد الكيميائية مثل : أكسيد الزئبق ، وحامض الكبريتيك وحامض النيتريك ، وحامض الأزوتيك ، والماء الملكى الذى يذيب الذهب٠

وله مؤلفات كثيرة فى مختلف العلوم ومن كتبه فى الكيمياء : الرحمة - الميزان - السموم ، والخواص الكبير والاستتمام وقد أقسم جابر بن حيان السموم إلى أنواع ثلاثة - حيوانية : مرارة الأفعى ومرارة لسان السلحفاة ، وذيل الإبل ٠

نباتية : الأفيون والحنظل ٠

حجرية : الزنجار ، الزئبق ، الزرنيخ ٠

كما عرف استخدام ثانى أوكسيد المانجنيز فى صناعة الزجاج لإزالة اللون الأخضر أو الأزرق من الزجاج ترجمت كتب جابر بن حيان إلى اللاتينية فى وقت مبكر ، وكان لها أثر كبير فى تكوين مدرسة كيميائية فى أوربا ، ونقل كتابة المعروف بالاستتمام إلى الفرنسية٠

وهو أول من استعمل الموازين الحساسة ، والأوزان المتناهية فى الدقة فى تجاربه العلمية ، كالقيراط والدانق والدرهم والمثقال والأوقية والرطل٠

<u>أبو بكر الرازى(٢٥٠-٣٢٠هـ) :</u>

هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازى ، عرف عند الغرب باسم رازيس Rhazes ولد فى الرى ثم غادرها إلى بغداد بعد سن الثلاثين - الرى فتحها العرب زمن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وتقع على بعد خمسة أميال جنوب شرق طبريا ، قضى معظم حياته فى بغداد ، كان فى بداية حياته يتعامل بالطرفة ويضرب بالعود ، ولصرافة اهتم بدراسة الفلسفة ، والفلك والكيمياء والرياضيات والطب ، تتلمذ على كتب جابر بن حيان الأزدى ٠

كان الرازى من علماء العرب المسلمين الذين أعطوا علم الكيمياء حقه ، فامتاز بأسلوبه العلمى ، وقد قسم المواد الكيميائية إلى أربعة أقسام هى :

١- المواد المعدنية٠ ٢- المواد النباتية٠ ٣- المواد الحيوانية٠ ٤- المواد المولدة

عكف على التأليف ، صنف أكثر من مائتي وعشرين مؤلفا ، فى الطب والكيمياء والهندسة والمنطق وغيرها ، ولا يزال باقيا منها إلى الآن بضعة وعشرون مؤلفا من أهمها كتاب الحاوى وهو أجل كتبه وأعظمها ٠

علم الفيزياء :

هو علم التفاعلات المادية أو الميكانيكية بين قوى الطبيعة ، كما هو علم الظواهر الموجودة فى الطبية والمستقلة عن إرادة الإنسان ٠

فى بادئ الأمر لم ينل علم الفيزياء العناية الكافية من علماء العرب والمسلمين حيث كان علم الفيزياء جزءا لا يتجزأ من علم الهندسة ، ولكن الحسن بن الهيثم (٣٥٤-٤٣٠هـ) ببراعته وذكائه غير الوضع ، وأعطى علم الفيزياء اهتماما نادرا حتى ترعرع تحت رعايته ونال استقلاله التام عن علم الهندسة

نهض العرب بالفيزياء نهضة واضحة وأضافوا إليها معلومات جديدة هامة ولا سيما فى البصريات ، ومن أثارهم أنهم عينوا الكثافة النوعية لكثير من الحجارة الكريمة ، وشرحوا أسباب خروج الماء من العيون الطبيعية والآبار الارتوازية بنظرية الأوانى المستطرقة ، واشتغلوا بالعدسات ، وأجروا تجارب لإيجاد العلاقة بين وزن الهواء وكثافته ، وكتبوا فى الضوء والجاذبية الأرضية والمرايا المحرقة٠

وضع العرب قانون الذبذبة ، بحيث اخترعوا الرقاص أو البندول وظهرت الساعات أو المزاول وبلغت درجة كبيرة من الاتقان ٠

وقد اهتم العرب فى صنع الساعات التى تعمل بالماء أو الزئبق أو حتى بالشموع المضاءة٠

واشتهر بالفيزياء من العرب والمسلمين كثيرون منهم ٠

ابن الهيثم(٣٥٤-٤٣٠هـ/٩٦٥-١٠٣٨م):

هو أبو على محمد بن الحسن بن الهيثم والذى عرف باسم الحزين عند علماء العرب ، ولد فى البصره ، ونشأ وتعلم وعمل كاتبا بها وزار بغداد عدة مرات للتعرف على علمائها وجاء مصر فى عهد الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله، وله أكثر من مائتى مؤلف ٠

بدأ حياته فى الفترة الذهبية للحضارة العربية والإسلامية حيث اكتمل نقل كتب الفلسفة والهندسة والرياضيات والطب وغيرها من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية ، وبدأت فترة الإبداع والابتكار ٠

ويعتبر ابن الهيثم من أعظم علماء العرب والمسلمين فى جميع فروع المعرفة وخاصة علم الفيزياء ، ومن أعظم الباحثين فى علم الضوء فى جميع العصور ونال شهرة

عظيمة بكتابة " المناظر " الذى يحتوى على اكتشافات كثيرة فى الفيزياء ، ودراسات عميقة فى حقلى انعكاس وانكسار الأشعة ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية ٠

- شرح ابن الهيثم الرؤية ووصف تركيب العين وذهب إلى أن الصورة التى تكونها العين للأشياء تنطبع على الشبكية ٠
- درس ظاهرة انكسار الضوء ، واكتشف قاعدة قبول العكس ، ودرس انعكاس الضوء على المرايا المستوية والمقعرة والمحدبة " وتكوين الصور بواسطتها ٠
- ذهب إلى أن للضوء سرعة محدده ، رغم أنها كبيرة " ولذلك فهو يحتاج إلى زمن فى انتقاله من مكان لأخر ،وشرح شرحا علميا سبب حدوث قوس قزح والخسوف والكسوف ٠

أبو الريحان البيرونى(٣٦٢-٤٣٣هـ):

ولد بناحية خوارزم ، وهو عالم عربى من أصل فارسى ، درس الرياضيات والفلك والطب والتقاويم والتاريخ والعلوم اليونانية والهندية ، أجرى تجارب علمية كثيرة على ظاهرة الجاذبية الأرضية حتى أرسى قواعدها ٠

- فهم تأثير هذه الجاذبية فهما علميا صحيحا وقال عنها فى كتاب القانون المسعودى"الناس على الأرض منتصبوا القامات على استقامة أقطار الكرة وعليها أيضا نزول الأثقال إلى أسفل" ٠
- وشرح البيرونى أسباب خروج الماء فى العيون الطبيعية والآبار الارتوازية بنظرية الأوانى المستطرقة ٠
- حدد الثقل النوعى لعدد من المعادن والأحجار الثمينة ، ومن مؤلفاته كتاب الدستور ، تاريخ الهند ، التفهيم لأوائل صناعة التنجيم ، الآثار الباقية عن القرون الخالية ٠

وسوف يرد ذكره فى علم الفلك ٠

الخازن(ت ٥٥٠هـ /١١٥٥م):

هو أبو الفتح عبد الرحمن الخازن سبب تسميته بالخازن لأنه كان مملوكا لعلى الخازن المروزى فى مدينة مرو ، وهى أشهر مدن خراسان ، وفيها درس أبو الفتح ونبغ فى علم الفيزياء والفلك والرياضيات ٠

ألف كتابه المشهور "ميزان الحكمة " سنة ٥٠٦هـ /١١١٢م والذى يحتوى على نظريات وأفكار حول الهندسة الميكانيكية ٠

- أبدع الخازن فى حقل الفيزياء وخاصة فى موضوعى الحركة ، وعلم السوائل الساكنة ، وعلم الكثافة النوعية ،له دور جليل فى ميدان علم الجاذبية ، واستخدم ميزان الهواء لاستخراج الثقل النوعى للسوائل بكل نجاح ٠

الخازن المصرى (٤٧١هـ / ١٠٧٨م) :

صاحب أبحاث قيمة فى المرايا وحرارتها ومحل الصور الظاهرة منها وكتابة عن البصريات ، وهذا الكتاب هو مصدر معارفنا للبصريات٠

فخر الدين الرازى(٥٤٤-٦٠٦هـ / ١١٤٩-١٢٠٩م):

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمى البكرى المعروف باسم الإمام فخر الدين الرازى ، ولد فى الرى ، كان عالما بالفقه والتفسير ، ولم يترك العلوم الأخرى ، فقد اهتم بدراسة الفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك والكيمياء والطب والفيزياء ، ومن مؤلفاته كتاب " المباحث الشرقية فى علم الالهيات والطبيعيات " وتحدث فيه عن تفاوت القوى من حيث الشدة والمدة والقانون الأول للحركة والقانون الثالث للحركة ، ومقاومة الوسط الذى يتحرك فيه الجسم ، والضوء ، والصوت ، درس الرازى بعض الظواهر الطبيعية مثل الجاذبية الأرضية .

علم الفلك :

هو علم يبحث فيه عن ظواهر الأجرام السماوية ونواميس حركاتها المرئية والحقيقية ومقاديرها وأبعادها وخاصياتها الطبيعية ٠

وهدف هذا العلم فهو تفسير حركة الكواكب المرئية والحقيقية وتحديد العلاقة بين هذه الكواكب السماوية وبين ما تحت فلك القمر من كائنات وقد أطلق العرب على هذا العلم أسماء مختلفة مثل علم التنجيم ، وعلم النجوم وعلم الهيئة ٠

برع العرب والمسلمين فى علم الفلك وتقدموا فيه تقدما فاقوا به أساتذتهم ، وظهر فضلهم فيه ، فقد جمع بين آراء الفرس ، والهند ، والكلدان ، واليونان وغيرهم ٠ وأضافوا إليه إضافات هامة ، وحفظوا فى نقلهم لكتب الفلك اليونانية الكثير من المؤلفات التى ضاعت أصولها ، وكان علم الفلك يدرس فى مدارس بغداد، ودمشق ، وسمرقند ، والقاهرة ، وفارس ، وطليطلة ، وقرطبة وغيرها ٠

وقد اهتم علماء العرب والمسلمين بعلم الفلك كان العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام يهتمون بالتوقيت ورصد مراكز النجوم وحركات الكواكب ، واتخذوا منها دليلا فى

ليل الصحراء ، وعرفوا الجهات الأربع ، والخسوف والكسوف ، وأسماء بعض الكواكب واستمر التنجيم مأخوذا به رغم محاربة الإسلام له ، واهتم المسلمون به وحرصا منهم على فهم الآيات القرآنية : ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ۞وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ۞لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ وأيضا الآية الكريمة: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ۞وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ ،وأيضا قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٠

تميز علماء العرب والمسلمين عن غيرهم من الشعوب الأخرى بإقامة المراصد الفلكية التى انتشرت فى بلاد الإسلام ، وذلك ناتج من تشجيع حكامها وعنايتهم بعلم الفلك ، فقد بنى الخليفة المأمون مرصدا عظيما فى حى الشماسية من بغداد وأخر على قمة جبل قاسيون بدمشق وبنى الحاكم بأمر الله الفاطمى مرصدا كبيرا على جبل المقطم قرب القاهرة ٠

كما أن هناك مرصدا للدينورى (ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م) بأصفهان ، ومرصدى انطاكية والرقة اللذين عمل فيهما البتانى (٢٣٥-٣١٧هـ) ومرصد ابن الشاطر (٧٠٤-٧٧٧هـ) بدمشق ، ومرصد مراغة الذى أشرف على بنائه نصير الدين الطوسى (٥٩٧-٧٦٢هـ) ومرصد أولوغ بك (٧٩٦-٨٥٣هـ) بسمرقند وغيرها ٠

أهم إضافات وإنجازات العرب والمسلمين فى الفلك :

ترك العرب والمسلمين فى علم الفلك ثروة ضخمة وشاملة تجلت فى الأمور التالية :

١- المراصد : استعمل العرب آلات الرصد لمراقبة النجوم ودراستها وكان يقال للواحدة من هذه الالات الاسطرلاب ، ولذلك بنيت المراصد الضخمة فى مختلف العواصم الإسلامية سواء على أيدى الخلفاء أم على أيدى العلماء كما رأينا ٠

٢- الأزياج : الزيج هو جدول حساب مواقع النجوم وحركاتها من سرعة وبطء واستقام ورجوع وغيرها ، ولهذه الأزياج قوانين ومبادئ يتم بموجبها معرفة الأيام والشهور والسنين ، وقد وضع العرب أكثر من عشرين زيجا ٠

ومن أشهر علماء العرب والمسلمين فى الفلك ٠

الكندى : وقد وضع ستة عشر مؤلفا فى علم الفلك ، وتسعة عشر مؤلفا فى علم النجوم ٠

أبو معشر البلخى :

وأشهر كتبه (مدخل إلى علم أحكام النجوم) ٠

محمد بن إبراهيم الفزارى ت ١٨٩هـ / ٣٠٤م :

هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفزارى ولد ببغداد، وقد أحاطه الخليفة العباسى أبا جعفر المنصور بالرعاية وتتلمذ على يد أبيه أبى اسحق إبراهيم الفزارى (ت ١٦٠هـ / ٧٧٦م) ، وكان عالما فى الهيئة ، قام محمد بن إبراهيم بترجمة كتاب " سدهانتا " من الهندية إلى العربية ، وصنف كتاب " السند هند " وصار من أهم المراجع التى يرجع إليها الباحث فى علم الفلك أيام الخليفة العباسى المأمون ٠

ومحمد بن إبراهيم الفزارى هو أول من صنع اسطرلاب فى الإسلام ، وألف كتابا يصف طريقة العمل به وسماه (كتاب العمل بالاسطرلاب المسطح) ٠

ومن مؤلفاته فى علم الفلك كتاب " العمل بالاسطرلاب ذات الحلق" ٠

سند بن على(القرن الثالث الهجرى):

هو سند بن على أبو الطيب والمعروف بسند على المنجم عاش فى بغداد ، زمن الخليفة المأمون ، ونال شهرة عظيمة بين معاصريه فى علم الهيئة وعمل الأزياج حيث كان من كبار المتخصصين بعلم النجوم وعلم الاسطرلاب ، عينه الخليفة المأمون مشرفا على جميع المراصد فى الدولة الإسلامية ، ومن مؤلفاته : كتاب المفصلات والمتوسطات ٠

- كتاب القواطع ٠ كتاب الحساب الهندى كتاب الجمع والتفريق ، كتاب الجبر والمقابلة ٠

أبو العباس الفرغانى : من علماء ق ٣هـ :

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن كثير الفرغانى من بلاد ما وراء النهر وهو من معاصرى العلامة الخوارزمى (١٦٤-٢٣٥هـ) ، أسند إليه المأمون العباسى دراسات تتعلق بعلم الفلك ، وعين رئيسا لمرصد الشماسة فى بغداد ٠

- درس أبو العباسى الفرغانى علم تسطيح الكرة عن كثب ٠
- عمل على تطوير الساعة الشمسية " المزولة " ٠
- له كتاب عن الاسطرلاب : " الحركات السماوية وجوامع علم النجوم " ٠
- حدد قطر الأرض ، وكذلك أقطار بعض الكواكب ٠ فيذكر أن حجم القمر=٣٩% من حجم الأرض ، والشمس = ١٦٦ ضعفا للأرض والمريخ=١٥/٨ من حجم الأرض والمشترى = ٩٥ ضعفا للأرض ، وزحل=٩٠ ضعفا للأرض ٠

السرخسى ت ٢٨٦هـ / ٨٩٩م :

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مروان السرخسى ، توفى فى بغداد ، كان معلما للخليفة المعتضد بالله العباسى ٠

تفنن السرخسى فى علم الفلك ، فترجم المصادر الهامة للعلوم اليونانية والهندية والفارسية فى هذا المجال ، وقدم دراسة نظرية وتاريخية فيه ، حيث جمع آراء العلماء الأوائل فى كتابه المشهور (كتاب المدخل إلى صناعة النجوم) الذى يحتوى على موضوعات هامة فى علم الفلك ٠

البتانى(٢٣٥-٣١٧هـ / ٨٤٩-٩٢٩م):

هو أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان البتانى ، ولد فى بتان من نواحى حران على نهر البلخ أحد روافد نهر الفرات ، فى دمشق ٠

اشتهر بألقاب كثيرة منها : بطليموس العرب ، وقاموس كليات المعارف عند العرب والمسلمين ، وكذلك لقب بالرقى- نسبة إلى الرقة الواقعة على نهر الفرات فى العراق- قام البتانى بأرصاد كثيرة

- وضع جداول فلكية على مستوى كبير من الأهمية والاتقان والدقة " الزيج الصابى" ٠
- ابتكر الدوال المثلثية المعروفة ٠
- له العديد من الكتب فى الفلك منها " الشرح المختصر لكتب بطليموس الفلكية الأربعة " ٠
- درس " أبعد نقطة بين الشمس والأرض " ٠
- حدد بطليموس فى كتابه المجسطى السنة الشمسية لـ ٣٦٥ يوما وخمس ساعات و٥٥ دقيقة و١٢ ثانية ، بينما توصل البتانى بأرصاده المتناهية فى الدقة أن طول السنة الشمسية ٣٦٥ يوما ، و٥ ساعات و٤٦ دقيقة و٣٢ ثانية أما القيمة الحقيقية التى توصل إليها علماء العصر الحديث فهى ٣٦٥ يوما و٥ساعات و٤٨ دقيقة و٤٦ ثانية ٠
- صحح البتانى قيمة الاعتدالين الصيفى والشتوى ٠

ترجمت أعماله إلى اللاتينية والإسبانية عدة مرات ، ويعد من أشهر علماء الفلك فى العالم ٠

البوزجانى (٣٢٨-٣٨٨هـ /٩٣٩-٩٩٨م):

هو أبو الوفاء محمد بن اسماعيل بن العباس الحاسب ، ولد فى بؤجان بين هراة ونيسابور فى خراسان ، وتوفى فى بغداد٠

عمل البوزجانى مرصدا فى بغداد، ونال شهرة عظيمة من دراسته لإنتاج كل من اقليدس وديوفانتوس وبطليموس، وكذلك تصحيحه للأخطاء التى وقع فيها العلماء الكبار، كما شرح وعلق على مؤلفات البتانى فى علم الفلك، فهو من ألمع علماء العرب والمسلمين فى علمى الفلك والهندسة٠

ابن يونس المصرى(ت ٢٢٩هـ / ٨٤٣م):

هو أبو سعيد على بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن على عبد الأعلى الصدفى المصرى يعد أعظم فلكى بعد البتانى والبوزجانى ، عرف الخلفاء الفاطميون لهذا العلم قدره فهيأوا له أسباب العمل فهو من فلكى الخليفة الحاكم بأمر الله ، أو زيج ابن يونس ، وقد بسط فيه القول والعمل إذا اعتمد على الآلات الصحيحة ، كما أنه أشرف على إنشاء الرصد فى عهد الخليفة الحاكم٠

وفق ابن يونس فى رصد كسوف الشمس وخسوف القمر فى مصر سنة ٣١٨هـ / ٩٧٨م ، وتصحيح ميل البروج وابن يونس هو مخترع بندول الساعة ٠

البيرونى (٣٦٢هـ / ٩٧٢م):

ولد سنة ٣٦٢هـ فى بيروت بالقرب من مدينة كاث والتى تعتبر أكبر مدن قلبقستان فى القرون الوسطى ، ويذكر ابن أبو أصبيعة فى كتابة أن بيرون مدينة فى السند ، والسند مقاطعة فى باكستان عاصمتها كراتشى ٠

وهو مؤلف عربى من أصل فارسى وقد سبق ذكره فى علم الفيزياء ، ولد بضاحية من ضواحى خوارزم ، له تصانيف عديدة فى علم الفلك منها : القانون المسعودى فى الهيئة والنجوم ، أهداه لسلطان غزنه السلطان مسعود ٠

ويعد البيرونى من أعمق المفكرين المسلمين فى العلوم الفلكية والطبيعية والرياضية ، وله كتاب الأثار الباقية عن القرون الخالية فى تقاويم وعادات الشعوب القديمة ٠

- وهو أول من أثبت كروية الأرض وقاس قطرها ٠
-وأثبت أن الأرض تدور حول محورها ، وفسر الجاذبية الأرضية ٠
-أول من صحح نظرية الإغريق القائلة بأن الشمس تدور حول الأرض فتسبب الليل والنهار ٠
- ألف رسالة فى فى المعادن ٠

- أجرى البيرونى دراسات مستفيضة على ظاهرتى الكسوف والخسوف ٠
- شرح الشفق والغسق ، و أثبت أن سرعة الضوء تفوق سرعة الصوت ٠

أمية أبو الصلت(٤٦٠-٥٢٩هـ):

أمية بن عبد العزيز الأندلسى الدانى ، يلقب بالحكيم ، ويكنى بأبى الصلت ولد فى مدينة دانية من شرق الأندلس سنة ٤٦٠هـ ، من مشاهير علماء العرب والمسلمين فى الفلك ، قدم أبو الصلت من بلاد الأندلس إلى الديار المصرية ، واستقر فى القاهرة ما يقرب من عشرين سنة ، وتعلم الطب والفلك ، ثم عاد للأندلس وتوفى بها سنة ٥٢٩هـ ٠

اشتغل أبو الصلت فى علم الفلك وله صولات وجولات فى هذا الحقل ، ويظهر ولعه واضحا وجليا فى مؤلفة " الوجيز فى علم الهيئة " الذى ضم أرصاد علماء العرب والمسلمين فى الأندلس ، وأولى أبو صلت عناية خاصة بصناعة طريقة استعمال الاسطرلاب ، فكتب فيه رسالة سماها " رسالة العمل بالاسطرلاب " حيث أن لدية قناعة تامة بأهمية هذا الجهاز لرصد الكواكب ولمعرفة ارتفاع الجبال والملاحة ، وتحتوى هذه الرسالة على ٩٠ بابا ٠

الرياضيات :

وجه العرب جانبا كثيرا من اهتمامهم بالعلوم إلى الرياضيات ، فذاعت دراستها لديهم ونبغوا فيها ، وتقدموا فى أبحاثها ، وأضافوا إلى ما نقلوه عن اليونان والهنود الكثير مما لم يكن معروفا من قبل فى الأزمان الماضية كان الإنسان لا يعرف الأعداد الحسابية ، وكل ما كان يستطيع هو تقدير الكمية بقليل أو كثير ، فقد كان لا يفرق بين الثلاثين والثلاثة أو الاربعين والأربعة ، وهكذا ، وغاية الاعداد التى كان يعرفها هى واحد واثنين ثم كثير ٠ وكان الحال زمن الرسولﷺ أن بعض العلماء المسلمين كانوا يستعملون الحروف الأبجدية فى كتابة مؤلفاتهم ، لكل حرف رقم خاص يدل علية ، فحرف الألف يرمز إلى واحد ، وحرف الباء يرمز إلى اثنين، وهكذا حرف الياء يرمز إلى العشرة ، وحرف الكاف يرمز إلى عشرين ، وحرف اللام يرمز إلى ثلاثين ٠٠٠ إلخ ٠

فلو عدنا إلى القرآن الكريم لرأينا أن الله تبارك وتعالى ذكر الأرقام بالكلمات كقوله تعالى ثانى اثنين﴾ التوبة ٤٠ و﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾ التوبة ٨٠ و﴿فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما﴾العنكبوت ١٤ و﴿ فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ و ﴿ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة وازدادوا تسعا﴾ الكهف ٢٥

واستعمل علماء العرب والمسلمين طريقة حساب الجمل بعد ظهور الأرقام الهندية العربية والتى خدمت البشرية إلى يومنا هذا ٠

ويرجع الفضل إلى العالم محمد بن إبراهيم الفزارى الكوفى المتوفى سنة ١٨٠هـ / ٧٩٦م ، فى نقل هذه الأرقام والتعريف بها ونشرها فى العالم العربى

وكون علماء المسلمين من تلك الأشكال سلسلتين هما :

السلسلة الهندية التى نستعملها الآن فى الترقيم وهى:١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩

ثم السلسلة الغبارية التى انتشر استخدامها فى الأندلس ، وعن طريقها دخلت أوربا وعرفت باسم الأرقام العربية ، بينما نطلق عليها نحن خطأ اسم (الأرقام الأفرنجية) ، والسلسلة الغبارية هذه مرقمة على أساس الزوايا ، فالرقم "١" فيه زاوية واحدة (1) ، والرقم (٢) زاويتان (2) والرقم ثلاثة فيه ثلاث زوايا(3) وهكذا٠٠٠

1 2 3 4 5 6 7 8 9 0

وقد أدخل على هذه الأشكال من التعديل ما جعلها تبدو على النحو الذى تعرفه [1 2 3 4 5 6 7 8 9 10] والأصل فى تسميتها عناية أن الهنود كانوا يبسطون الغبار على لوح من الخشب مثلا ثم يرسمون عليه أرقام الحساب ٠

<u>هل الصفر ابتداع العرب والمسلمين :</u>

نجد أن العرب والمسلمين عرفوا الصفر منذ الأزل ، ويظهر ذلك من قول الرسول ﷺ "إن ربكم يستحى من عبده إذا رفع يديه إلى السماء أن يردهما صفرا" رواه أبو داود فى سننه ٠

والثابت أن الغرب لم يعرف "الصفر" قبل القرن الثانى عشر الميلادى بينما تحدثنا المصادر العربية أن المسلمين كانوا يعرفونه فى القرن الثامن وكانوا يرسمونه حلقة ، للدالة على الصفر ، وقد استعمل العرب الصفر للدلالة على (لا شئ) ، وعندما طور المسلمون الصفر عبروا عنه بدائرة ومركزها نقطة [0] ، ففى المشرق - مصر وما فى شرقها من بلاد المسلمين - احتفظ العرب والمسلمون بالنقطة - مركز الدائرة - واستعملوها مع الأرقام فكانت (١،٢،٣،٤،٥،٦،٧،٨،٩،٠) ، أما فى المغرب وهى البلاد الإسلامية غرب مصر بما فيها الأندلس - فقد احتفظوا بالدائرة(٢٧٦) دون مركزها فكانت الأرقام الغبارية العربية كما ذكرها كالآتى (1-2-3-4-5-6-7-8-9-0) ٠

<u>وقد اشتهر بالرياضيات الكثير من علماء العرب والمسلمين منهم :</u>

<u>الخوارزمى (١٦٤-٢٣٥هـ / ٧٨٠-٨٥٠م):</u>

هو محمد بن موسى الخوارزمى ولد فى خوارزم وعاش فى بغداد ، اتصل بالخليفة المأمون حيث أصبح من الأقطاب فى بيت الحكمة الذى أنشأه المأمون وكان للخوارزمى مكانه مرموقة فى علم الهيئة حيث اشتغل فى الأرصاد ، برع فى علم الرياضيات ومن أهم مؤلفاته كتاب " الجبر والمقابلة " ، وترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية ، واقتبس منه الأوربيون معارفهم الأولى فى علم الجبر ، وظل يدرس فى المدارس والجامعات الأوربية حتى القرن السادس عشر الميلادى ، وبذلك قدم العرب علما جديدا إلى أوربا ٠

ثابت بن قرة : (٢٢١-٢٨٨هـ) :

هو أبو الحسن ثابت بن قرة عرفان الحرانى الصابنى ، كان حرفيا بحران ، اشتهر ثابت بعلوم مختلفة مثل : السريانية واليونانية والعبرية ٠

برع ثابت بن قرة فى الرياضيات ، حيث مهد تمهيدا علميا لحساب التفاضل والتكامل ٠

- اهتم بترجمة الكثير من الكتب فى الرياضيات ٠
- له مؤلفات فى الهندسة التحليلية ٠
- ينسب إليه تقسيم الزاوية إلى أقسام متساوية ٠
- له كتاب رسالة فى المسائل الهندسية ٠
- ورسالة فى الأعداد ٠
- ابتكر ثابت بن قرة قوانين للأعداد المتحاربة التى لعبت دورا هاما فى السحر والتنجيم والتنبؤ بخريطة البروج ٠

ذاع صيت ثابت بن قرة بين معاصريه من علماء العرب والمسلمين حتى لقب "مهندس العرب" ٠توفى ثابت بن قرة سنة ٢٨٨هـ / ٩٠٠م وعمره سبع وستون سنة

أبو كامل المصرى(٢٣٦-٣١٨هـ):

هو أبو كامل شجاع بن أسلم المصرى ، من أهالى مصر ، نبغ فى الرياضيات فحاز شهرة عظيمة فى علم الجبر ، حتى صار يلقب بأستاذ الجبر

ومن أهم مؤلفاته فى هذا العلم كتابه (الكامل بالجبر) وهو من المراجع الفريدة لعلماء الرياضيات فى الجبر فى جميع أنحاء المعمورة ٠

- كتب الوصايا حاول فيه أن يشرح المسائل الرياضية التى استعصت على علماء وقته ٠
- وهو أول من أرسى قواعد حل المعادلات الجبرية ٠

- اهتم بالرياضيات البحتة ٠

عمر الخيام(٤٣٦-٥١٧هـ /١٠٤٤-١١٢٣م):

هو أبو الفتوح عمر بن إبراهيم الخيام النيسابورى ، كان فى صغره يشتغل فى حرفة صنع وبيع الخيام ولذا لقب بالخيام ٠

المؤسسات التعليمية

عرف العالم الإسلامى طوال عهوده المختلفة عددا كبيرا من القنوات التى عن طريقها وقف الكثيرون على العديد من أطراف وجوانب المعرفة التى خاضوا إليها وأسهموا فى تطويرها ونموها ، مما عرف باسم المؤسسات التعليمية وشملت هذه المؤسسات الآتى :

١- المساجد :

تاريخ التربية الإسلامية يرتبط ارتباطا وثيقا بالمسجد ، ولهذا فالحديث عنه حديث عن مكان كأحد المؤسسات التعليمية لنشر الثقافة الإسلامية ٠

فمنذ بعث النبى ﷺ برسالة الإسلام والمسلمون يتخذون من المسجد بيتا يتعبدون فيه لله ، واتخاذه أيضا مكانا تتم فيه عملية التربية والتعليم حيث قامت حلقات الدراسة فى المسجد ، واستمرت كذلك على مر السنين والقرون فى مختلف البلاد الإسلامية دون انقطاع ولعل السبب فى جعل المسجد مركزا ثقافيا هو أن الدراسات فى السنوات أولى للإسلام كانت دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الجديد وتوضح أسسه وأحكامه وأهدافه ، وهذه تتصل بالمسجد أوثق اتصال ، ثم أن المسلمين اتخذوا من المسجد مكانا للعبادة ومعهدا للتعليم ، ودارا للقضاء ، وساحة تتجمع فيها الجيوش ومنزلا لاستقبال الوفود والسفراء ٠

والمسجد هو أقدم الأبنية التى اهتم بها المسلمون ، وهو المؤسسة العلمية الأولى فى الإسلام ، وهو مركز الإشعاع الثقافى والحضارى الذى امتد لينتشر فى الأقاليم التى فتحها المسلمون ٠

والمسجد النبوى فى المدينة المنورة هو أول نموذج من هذه المؤسسات التعليمية الذى وضعت فيه اللبنات للتعليم حيث كان المسلمون يعقدون به حلقات العلم، وكانت تعقد أيضا فى مسجد قباء٠

وقد أصبح المسجد النبوى الأساس الذى سار عليه تخطيط المساجد الإسلامية وظل المسجد النبوى على حاله سنين طويلة ، حتى ولاية الوليد بن عبد الملك الخلافة وأمر بهدم المسجد وبنائه من جديد ٠

ويروى ابن خلكان أن حلقات الدرس كانت تعقد بالمسجد النبوى فى المدينة ومن أشهر هذه الحلقات ربيعة الرأى فقيه أهل المدينة وكان مالك بن أنس يأتيه ليتعلم بين يديه ٠

ومع حركة الفتوح الإسلامية أقام المسلمون مساجدهم فى الأقاليم المفتوحة لتكون مراكز لنشر الثقافة الإسلامية ، ومراكز للعلم والمعرفة ٠

حيث أصبح من المتبع أن يبنى مسجد أو أكثر فى كل مكان فتحه المسلمون، أو فى كل قرية أو مدينة أسسوها ، ومثال لذلك أن الخليفة عمر بن الخطاب﵁ لما فتح البلدان كتب إلى أبى موسى وهو على البصرة ويأمره بأن يتخذ مسجدا للجماعة ، ويتخذ للقبائل مساجد ، وكتب إلى سعد بن أبى وقاص وهو على الكوفة ، وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك ٠

كما بنى عقبة ابن نافع المسجد **<u>الجامع فى القيروان</u>** ، وبنى موسى بن نصير مسجدا فى أغمات لنشر تعليم الإسلام وكانت هذه أول المساجد الإسلامية التى تأصلت فيها اللغة العربية وأصبحت لغة العلم والعلماء ، وفيها وضعت أصول تعليم اللغة ، ففى المسجد الجامع بالبصره كان العالم الجليل "الخليل بن أحمد" يعقد مجلسه العلمى ، وعلى يديه تتلمذ أئمة النحو المسلمين وفى مسجد الكوفة كانت دروس القراءات تعقد ، وكان أول من جلس لإقراء القرآن الكريم وتجويده وضبطه " عبد الله بن حبيب بن ربيعه الضرير "وفى الكوفة ظهرت مدرسة لتفسير القرآن الكريم وكان من أهم رجالها "سعيد بن جبير" وكانت حلقات التفسير أكبر حلقات العلم بهذا المسجد " ٠

أما **<u>جامع عمرو</u>** فكان أول الجوامع التى أنشئت بمصر ، وأطلق عليه اسم الجامع العتيق ، ويذكر المقريزى : "بالجامع زوايا يدرس فيها الفقه منها زاوية الإمام الشافعى ، والزاوية المجدية ، والزاوية الصاحبية والزاوية الكمالية ، ويذكر أنه كان بالمسجد بضعا وأربعين حلقة لإقراء العلم لا تكاد تبرح منه" ٠

ومن أشهر المساجد التى بنيت بالعالم الإسلامى خلال العصر الأموى جامع دمشق : الذى بناه الخليفة الوليد بن عبد الملك فيما بين عامى ٨٨-٩٦هـ /٧٠٦-٧١٤م وكان هذا المسجد مركزا هاما من مراكز الثقافة فى العالم الإسلامى، ويذكر ابن جبير أنه

كان فيه حلقات للتدريس للطلبة ، وللمدرسين فيها إجراء واسع ، وللمالكية زاوية للتدريس فى الجانب الغربى ، للطلبة المغربة ، وفى الجانب الغربى أيضا مقصوره للخليفة يجتمعون فيها للتدريس ويصلون بها ، وفى الجامع عدة زوايا يتخذها الطلبة للنسخ والدرس والانفراد عن ازدحام الناس ٠

وكان للخطيب البغدادى بهذا المسجد حلقة كبيرة للدرس وذلك ٤٥٦هـ، وكان الناس يجتمعون إليه فى الصباح كل يوم فيقرأ لهم ٠

ولما أسس أبو جعفر المنصور مدينة بغداد سنة ١٤٥هـ ، اهتم بتشييد الجامع، وجعله المنصور فى وسط المدينة المدوره ، ملاصقا لقصره، وقد جدد هذا المسجد فى عهد هارون الرشيد٠

وقد كان هذا المسجد قبله انظار الأساتذه والطلاب فى ذلك العهد ففى سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م كان البغدادى يعقد به دروسه، وكان الكسائى يجلس فيه ليقرأ فى علوم اللغة، وكذلك أبو العتاهية الذى كان يملى من شعره فى هذا المسجد٠

ومن العلماء الأفذاذ الذين درسوا فى الجامع الأموى القراءات والتفسير والعربية ، علم الدين السخاوى ، ومن رجال الحديث فى هذا الجامع القاسم ابن الحافظ الكبير بن عساكر ، وأحمد بن فرج الأشبيلى نزيل دمشق ، والمتوفى سنة ٦٩٩هـ ٠

ومن علماء الفقه بجامع بنى أميه ضياء الدين الدولعى خطيب الجامع ، ومدرس الزاوية الغربية ، وعماد الدين بن الحرستانى وحمود بن عبد الله أبو المثنى المراغى ، وهو فقيه شافعى أصولى ومن علماء النحو فى الجامع الأموى ابن الحاجب، وابن مالك ، وكذلك على بن الحسن بن أبى الفضائل وكان له حلقة كبيرة بالجامع لاقراء القرآن والفقه والنحو ، وله فى الفرائض يد باسطه ، توفى سنة ٥٦٢هـ ، وكان أبو شامه من أعيان العلماء يدرس التاريخ بالجامع الأموى ٠

ويذكر المقريزى أن أحمد بن طولون رتب فى مسجده دروسا لالقاء الفقه على المذاهب الأربعة ، ودرسا فى القرآن الكريم ، ودرسا فى الحديث ، ودرسا للطب ، ٠٠٠ وعمل بجواره مكتبا لإقراء ايتام المسلمين ٠

المدارس :

مع اتساع دائرة الحضارة الإسلامية ، وتطورها ، تجاوزت الرغبة فى طلب العلم نطاق العلوم الدينية إلى غيرها من العلوم التعليمية والعقلية ، وكان أن ظهرت حركة

الترجمة لتنقل إلى المسلمين معارف أصحاب الحضارات القديمة ، ومن ثم ظهرت مراكز تعليمية أخرى مثل المدرسة ٠

أحس صحابة الرسول ﷺ بحاجتهم إلى أماكن خاصة للتعليم وعدم الاكتفاء بالمسجد وحده كمركز تعليمى ، وهذا ما فعله عبد الله بن العباس فى اخريات أيامه بعد أن استوطن الطائف حيث اتخذ من منزلة معهدا لدراسة العلم بها ٠

وانتشر فى العالم الإسلامى بعد ذلك فكرة اتخاذ الدور والقصور أماكن للعلم ولكنها لم تسمى مدارس ، ويذكر أن فكرة إنشاء المدارس فى المشرق الإسلامى بدأت عندما فكر بعض الدارسين بناء مدارس خاصة بهم لاملاء الحديث أو لالقاء محاضرات الفقه ، مثال لذلك أبا حاتم محمد بن حيان البستى المتوفى سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م حيث اتخذ من داره مدرسة لأصحابه وأفرد فيها مكان لسكنى الطلبة الغرباء من أهل الحديث والمتفقهة ، وأنشأ بها خزانه للكتب أودع بها ما عنده من الكتب ، وعين لها خازنا يقوم بإحضار الكتب لمن يريد القراءة أو النسخ، وشرط عليه ألا يخرج منها شئ خارج المدرسة كما كان للطلبة الدارسين بها بعض الجرايات الخاصة بنفقتهم ٠

ويذكر المقريزى أن المدارس كانت مما استحدث فى الإسلام إذ لم تكن نعرف زمن الصحابة والتابعين "وإنما حدث عملها بعد الأربعمائة من سنة الهجرة " أى فى القرن الخامس الهجرى ، الحادى عشر الميلادى ٠

ويقال أن أول مدرسة بنيت فى الإسلام هى المدرسة البيهقية فى نيسابور بإقليم خراسان وتبعها المدرسة التى أنشأها الأمير نصر بن سيكدلين ، ثم تتابع إنشاء المدارس بعد ذلك ففى عهد السلاجقة خلال النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى أنشأ نظام الملك والذى وزر للسلطان السلجوقى ألب أرسلان ، وكذلك السلطان ملكشاه المدرسة النظامية ببغداد ، وقد شرع فى بنائها سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٤م وتم البناء فى سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م ومن أشهر من قام بالتدريس فيها الشيخ أبو اسحق الشيرازى الفيروزا بادى صاحب كتاب التنبيه فى الفقه على مذهب الإمام الشافعى والغزالى ٠

واقتدى بنظام الملك سلاطين السلاجقة الذين جاءوا بعد ملكاشاه كما اقتفى أثرهم الأتايكه الذين أقاموا امارات على القاضى دولة السلاجقة ٠

ونظرا لازدياد عدد الطلاب والمتعلمين كانت هناك الحاجة لإقامة مراكز خاصة بالتعليم يكون الهدف منها استيعاب تلك الأعداد ليمارسوا فيها نشاطهم ، ففى بلاد الشام أقام بها نور الدين محمود بن الزنكى مدارس الشافعية والحنفية فى دمشق وحلب حماه وحمص

ورفح والرحبه وأعمالها ، ومن أهم هذه المدارس المدرسة النورية التى بناها للفقهاء الشافعية .

بيت الحكمة :

اختلف الباحثون حول فترة تأسيس مكتبة بيت الحكمة ، فبينما يرى Jean Key Gates فى كتابة المدخل إلى المهنة المكتبية أن بغداد وصلت لمستوى كبير من الشهرة فى عهد الخليفة العباسى المامون وخاصة سنة ٢١٥هـ /٨٣٠م عندما أنشأ بيت الحكمة كمؤسسة للبحث العلمى ولها مواصفات وأهداف المكتبة ومركز للترجمة والأبحاث.

بينما يرى ابن النديم فى كتابه الفهرست غير ذلك حيث يفهم من كلامه أنها أنشئت فى عهد هارون الرشيد ، فقد ذكر فى كلامه عن أبى سهل الفصل بن نوبخت أنه كان فى خزانة الحكمة لهارون الرشيدوذكر أيضا عند كلامه عن علان الشعوبى - أصله من الفرس - أنه كان راويه عارفا بالأنساب والمثالب والمناظرات منقطعا إلى البرامكة وينسخ ، فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة.

وبيت الحكمة عبارة عن دار يجتمع فيها العلماء وخزانة للكتب ، ومكتب للترجمة ، ويعتبر بيت الحكمة أول مكتبة عامة ذات شأن فى العالم الإسلامى ، ولعله أول جمعية علمية أو جامعة يجتمع فيها العلماء للبحث والدرس ، ويلجأ إليها طلبة العلم بذلك مركزا علميا شمل علوم الطب والفلسفة والحكمة وغيرها

ويمكن القول أب بيت الحكمة قد أنشأها الرشيد فى أواخر القرن الثانى الهجرى ، وقد أصبحت زمن المأمون مؤسسة علمية متكاملة ، وذلك عن طريق الثروة الضخمة التى جاءت إليها عن طريق التراث اليونانى ، والفارسى ، والهندى والقبطى والآرمى ، ونقلت هذه المعارف عن طريق الترجمة.

ويذكر ابن أبى أصبيعية أن الرشيد قلد يوحنا بن ماسويه ترجمة الكتب القديمة مما وجدها بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين استولى عليها المسلمون .

وهناك طريقة ثابته أتت بمجموعة من الكتب اليونانية عن طريق الاتصال ، بأن طلب المأمون من صاحب قبرص أن يرسل له الكتب اليونانية الموجودة لدية ، ورغم معارضة البعض فى إرسال هذه الكتب للمأمون إلا أن صاحب قبرص وافق فى النهاية على إرسالها بناءا على نصيحة أحد المطارنة له بأن العلوم العقلية إذا دخلت على دولة شرعية أفسدتها ، وأوقعت بين علمائها.

وأتت أيضا عن طريق القسطنطينية حيث يذكر ابن النديم أن المأمون كانت بينه وبين ملك الروم مراسلات ٠٠٠ فكتب إلى ملك الروم مراسلة يسأله فيها الإذن فى انفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم ، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع٠

تلك المجموعات من الكتب اليونانية التى وردت بيت الحكمة وقد صنفت هذه الكتب بحسب موضوعاتها واختير لها المترجمون وفى مكتبة بيت الحكمة وكتبها ذكر القلقشندى : " وأعلم أن الكتب المصنفة أكثر من أن تحصى وأجل من أن تحصر لا سيما الكتب المصنفة فى الملة الإسلامية ، لم يصنف مثلها فى ملة من الملل، ولا قام بنظيرها أمة من الأمم، وأن منها كتبا مشهورة قد توفرت الدواعى على نقلها والاكثار من نسخها، فزادت شهرتها ورغب فى اقتنائها "٠

وقد بدأت بوادر الترجمة مع بداية العصر العباسى خلال عهد المنصور وهارون الرشيد، وقد وصلت أوج مجدها خلال عهد المأمون الذى قال فيه ابن النديم " وكان أعلم الخلفاء بالفقه والكلام"(، وقيل فيه أيضا " ألا رحم الله أمير المؤمنين عبد الله المأمون ما كان أوسع علمه وأغزر عقله فى أمره"٠

ويعتبر عصر المأمون بحق أفضل عصر للترجمة إذ أن دور المأمون كان أفضل دور لمسته حركة الترجمة عبر تاريخها ٠

ومن بين الذين ساهموا فى ازدهار حركة الترجمة بمكتبة بيت الحكمة يوحنا بن ماسوبه الذى تقلد ترجمة الكتب اليونانية إلى بيت الحكمة ، وخدم هارون الرشيد والأمين والمأمون ويقى على ذلك إلى أيام المتوكل ، والحسن بن سهل بن نوبخت وكان من أشهر النقلة من الفارسية إلى العربية ، والحجاج بن يوسف ابن مصر ، ويوحنا البطريق ، ويعقوب بن اسحاق ، وعمر بن فرخان الطبرى ، وثابت بن قرة ، وسنان بن ثابت بن قرة ، وغيرهم فى مختلف الاهتمامات من العلوم كالأطباء ، والفلاسفة ، والفلكيين وأصحاب الحيل والصناعات٠

وقبل أن ينتهى عصر المأمون ، أصبح العرب ملمين إلماما جيدا فى علوم الطب والفلسفة والرياضيات والتاريخ الطبيعى ، كما أصبح فى حوزتهم أفضل ترجمات لمصنفات ابقراط ، وجالينوس وبطليموس وأقليدس وأرسطو طاليس ، إذ كان المأمون يدفع المكافأت السخية عن الترجمات ، فتفاطر المترجمون نت أنحاء العراق والشام وكارع من جميع الملل والجناس يترجمون عن اليونانية والفارسية والسريانية والسنكرينية وغيرها٠

هذا وقد استمرت خزانة الحكمة فى العمل وتأدية رسالتها بعد المأمون ، ولكنها فقدت الكثير من أهميتها شيئا فشيئا مع توالى الزمن ، حتى داهم التتار بغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ، وقتل الخليفة العباسى المستعصم بالله ، فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب وذهبت معالمها وعفت أثارها ٠

مكتبة المدرسة المستنصرية :

أنشأ الخليفة المستنصر بالله مدرسة سميت باسمه على شاطئ دجلة لتدريس المذاهب الفقهية الأربعة ، واستمر بناؤها من سنة ٦٢٥ حتى سنة ٦٣١هـ . وقد بنى المستنصر ضمن مدرسته خزانة الكتب ، وكانت من أهم أقسام المدرسة ، حيث كانت تقع فى القاعات الكبيرة الواقعة فى القسم الشرقى من عمارة المدرسة ، ولم تكن لها نوافذ ، بل كان فيها كوة سقفية لا تزال عامرة تكفى للإضائة والتهوية٠

وقد قدر عدد الكتب التى نقلت إلى المكتبة يوم الافتتاح بثمانين ألف مجلد أكثرها نفيسة بخطوط منسوبة أو رائعة ، ويقال أنها بعد ذلك بلغت أربعمائة ألف مجلد٠

وكانت مكتبة المدرسة المستنصرية منظمة بشكل علمى دقيق لتسهيل استعمالها ، وقد حوت عددا من الكتب النادرة فيها كما قيل نسخة من كتاب تاريخ بغداد تقع فى أربعة عشر جزءا وكانت مكتوبة بخط المؤلف، وكان بين كتبها أيضا نسخة من كتاب (الياسة) وهو يحوى القواعد والعقوبات التى قررها جنكيز خان وجعلها شريعة لقومه٠

وقد أوقف المستنصر على مدرسته أوقافا نفيسة لضمان استمراريتها وخص المكتبة والمشرفين عليها بنصيب موفور من أوقافه ، كما زودها بالحبر والورق والأقلام وسائر الأدوات للكتابة والنسخ بالمجان٠

قائمة المصادر والمراجع

- **المصادر**

- **ابن الأثير : (عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الجزري)**

  ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م

  - الكامل في التاريخ ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م .

- **ابن الجوزي: (عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي جمال الدين أبو الفرج) ت ٥٩٧هـ /١٢٠٠م)**

  - المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، مصطفي عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت١٩٩٢م.

- **ابن العماد : (عبد الحي بن أحمد بن محمد العَكري الحنبلي، (ت: ١٠٨٩هـ)**

  - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت١٩٨٦ م .

- **ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م .**

  - الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي – القاهرة(د.ت)
  - - جمهرة أنساب العرب، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١ م .

- **ابن خرداذبة : (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) ت٣٠٠هـ/ ٩١٢م**

  - المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، بيروت١٨٨٩ م.

- **ابن خلدون : (عبد الرحمن بن خلدون) ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م .**

  - العبر وديوان المبتدأ والخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة ، سهيل ذكار، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٠م .

- **ابن طاهر المقدسي : (المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو ٣٥٥هـ)**

- البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد ب.د .

ابن العماد :(عبد الحي بن أحمد بن محمد العَكري الحنبلي (ت: ١٠٨٩هـ)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت١٩٨٦ م .

- **ابن كثير : (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي) ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م**

- البداية والنهاية،مكتبة الصفا، القاهرة ٢٠٠٣م .

- **ابن مسكويه :(أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت: ٤٢١هـ)**

- تجارب الأمم وتعاقب الهمم ،: ط٢، تحقيق أبو القاسم إمامي، سروش، طهران٢٠٠٠ م .

- المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية(د.ت) .

- **الحِميري : (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم) ت٧١٠م/١٣١٠م**

- المعطار في خبر الأقطار ، ط٢ ، تحقيق : إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت١٩٨٠م .

- **الذهبي: :(شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان) ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م**

- تاريخ الإسلام ، تحقبق بشار عوّاد معروف ،دار الغرب الإسلامي٢٠٠٣ م.

- **الصفدي : (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م**

- الوافي بالوفيات، ، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفي، دار إحياء التراث - بيروت٢٠٠٠م .

- **النويري : (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٢هـ/١٣٩٠م**

نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة١٤٢٣ هـ

محمود مقديش :

نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت - لبنان١٩٨٨ م.

المراجع العربية.

- **أحمد أمين مصطفي** : الرسائل في مصر الإسلامية إلي نهاية الدولة الإخشيدية ، (د.ن) ، ١٩٩٠م .
- **إياد كامل إبراهيم الزيباري:** التداول السلمي للسلطة في نظام الحكم الإسلامي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠١٢م .
- **حسين مؤنس:** أطلس تاريخ الإسلام ، دار الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ١٩٨٧م .
- **خير الدين الزركلي** : الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥ ، بيروت ٢٠٠٢ م.
- **شوقي ضيف**: المعجم الوسيط، تحقيق : مجمع اللغة العربية، مطبعة الشروق الدولية، ط ٤، القاهرة ٢٠٠٣ .
- **الصلابي :**معاوية بن أبي سفيان "شخصيته وعصره" ، دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٨م .
- خلافة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة٢٠٠٦م .
- الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار ، ج١ ، مركز الكتاب الأكاديمي ، الإسكندرية ٢٠١٥م.
- عبد الحميد عبد الغني : قراءات ودراسات عن مصر والمصريين ، دار كتاب اليوم ، القاهرة ١٩٨١م .
- **عبد الحي الكتاني:** التراتيب الإدارية ،ط٢ ، تحقيق : عبد الله الخالدي ، دار الأرقم ،بيروت ب.د .
- **علي بن عبد الله دفاع :** رواد علم الطب في الحضارة العربية الإسلامية ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٩٨م.
- **لطيفة البكاي :**حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلي نهاية العهد الأموي، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

- **مصطفي عبد الكريم :** معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦.

المراجع المعربة

- **ديورَانت :** قصة الحضارة ، ت. الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين ، دار الجيل، بيروت١٩٨٨ م .
- **كارل بروكلمان :** تاريخ الأدب العربى (٩أجزاء) ترجمة محمود فهمى حجازى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب(ب.ط) القاهرة ١٩٩٣م.
- **كلود كاهن :** تاريخ العرب و الشعوب الإسلامية ،ط٢، دار الحقيقة، بيروت – لبنان ١٩٧٧م.

مواقع اليكترونية

https://2u.pw/AS6Az .

الفهرس

الموضوع .....الصفحة

المقدمة.....١

سقوط الخلافة الأموية ٢-٧

قيام الخلافة العباسية ٨-١٦

العصر العباسى الأول ١٧-٥٠

العصر العباسى الثانى ٥١-٦٣

نظم الحضارة الإسلامية فى العصر العباسى ٦٤-١٧١

قائمة المصادر والمراجع ١٧٢-١٧٦